vol I

﴿فهرست الجزء الاول من السيرة النبوية﴾

﴿تم فهرست الجزء الاول من السيرة النبوية﴾

الجزء الاول من السيرة النبويه والآثار المحمديه
لمؤلفها الامام الفاضل والجهبذ الكامل
مفتى السادة الشافعية بمكة المشرفة
السيد أحمد زيني المشهور
بدحلان نفع الله به
المسلمين
آمين

(الله)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾
فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني بن احمد دحلان غفر الله له ولوالديه
ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين انه لما من الله تعالى علىّ بقراءة الشفا في حقوق النبي
المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة في عام الثامن والسبعين بعد المائتين
والألف يسر الله لى مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة
الزرقاني ومع مراجعة شئ من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة
الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هى أصح الكتب المؤلفة في هذا الشان فأحببت أن
ألخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة
على صدق أشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لانى رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة
بمباحث لها تعلق بها الا أنها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الأزمان أن
يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم
قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون في العلم
مع أن الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من أعظم الاسباب التي يحصل بها

قوة

قوة الايمان و رسوخه فى القلوب لما فى ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبى صلى الله عليه وسلم وأحواله كأنها مشاهدة للنظار * قال الزهرى فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف فى السير وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعلم بنيه سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه و يقول يابنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وفى ذكر السير أيضا معرفة فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان وفيها معرفة معانى كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التى لا يمكن حصرها * و ينبغى قبل الشروع فى ذلك التبرك بذكر شئ من فضائل قريش وفضائل سائر العرب و يعلم من ذلك فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة (فمن ذلك) ماروى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفى الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الابهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله وعن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على أصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم * لايلاف قريش * قوله وعبدوا الله سبع سنين فى رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنين التى كانت فى أول بعثته صلى الله عليه وسلم فان أول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس رضى الله عنه حب قريش ايمان و بغضهم كفر * وعن أبى هريرة رضى الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم فى قريش وقال أيضا الائمة فى قريش وقال أيضا لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام أحمد رضى الله عنه هذا العالم هو الشافعى رضى الله عنه لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفى رواية ولا تعالموها أى لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه وفى رواية ولا تعلوها أى لا تعلوا عليها بمعنى لا تجعلوها فى المقام الأدنى الذى هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقر وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وقال صلى الله

عليه وسلم لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر أى من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أى كبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى رواية وشرار قريش شرار الناس والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم * وروى الترمذى عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضنى وروى الطبرانى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وروى الترمذى عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد بيدى يوم القيامة وان أقرب الخلائق من لوائى يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت فى خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب وفى الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبرانى حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من الكفر ومن أحب العرب فقد أحبنى ومن أبغض العرب فقد أبغضنى * وروى ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة فى هذا الباب وبالجملة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لا سيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج فى بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الختام

﴿ باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه صلى الله عليه وسلم مع ما ورد من ذلك على لسان آبائه ﴾

يروى

يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألهمه الله ان قال يارب لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور قال هذا النور نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمد لولاه ماخلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا * وروى الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه مرفوعا أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وأن الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمد ماخلقتك وفي المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى وهو لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم يارب هذا محمد من هو فقال الله هذا ولدك الذي لولاه ماخلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم في أهل السماء والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا ماغفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لانك لما خلقتني بيدك أي من غير واسطة أم وأب ونفخت في من روحك أي من الروح المبتدأ منك المتشرفة بالاضافة اليك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك رواه البيهقي في دلائله * وروى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أتاني جبريل فقال ان الله تعالى يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ماخلقت النار * وروى ابن سبع عن علي رضي الله عنه ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من أجلك أسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب قال العلامة الزرقاني وهذا ليس لغيره من نبي ولا ملك ولله در من قال

ومن عجب اكرام ألف لواحد * لعين تفدى ألف عين وتكرم

وقال آخر

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا * وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ماالضياء الذي أرى * جنود السما تعشو اليه ترددا

فقال نبي خير من وطئ الثرى * وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا * وألبسته قبل النبيين سوددا
وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهي امنن على بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي * خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلني عثاري يا الهي فان لي * عدوا لغيا جار في القصد واعتدى
فتاب عليه ربه وحماه من * جناية ما أخطاه لا متعمدا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الايسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها فمد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم تريد ذلك تنهيه فقال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وفي رواية ان آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال يارب وما أعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة * وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول العارف بالله سيدي على وفا رضي الله عنه

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه عيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه * لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تختشي فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى على صار أحد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره * في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمرود نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا * أنا قد ملأت من المنى عينا ويد

عين الوفا معنى الصفا سر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى * الجامع المخصوص مادام الابد

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما نفخ فى آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس قال بعض العارفين لكن ابليس لم يبصر ذلك لخذلانه ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة وتلك القبلة المقصد الاعظم منها انما هو النور المحمدى الذى فى جبهته ولما حملت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته عليه السلام ظهر ذلك النور فى جبهته وكان هو وصى آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن الى قرن الى ان وصل ذلك النور الى جده عبد المطلب ثم الى ابنه عبد الله ثم الى امه آمنة وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية (روى البيهقى) فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الا نكاح الاسلام أى نكاح كنكاح الاسلام يعنى بعقد صحيح وروى أبو نعيم فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم وفى الشفاء أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فتاب الله عليه وغفر له وهذا تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقيل ان الكلمات هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم قال بعضهم ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع وصح فى أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان فى صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وفى صلب ابراهيم عليه السلام حين قذف به فى النار وانه هو المراد من قول ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام * وأما ما نقل عن آبائه من ذكره عليه السلام والتنويه بشأنه فكثير (فمن ذلك) ماروى عن جده كعب بن لؤى فانه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى بيوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بانه من ولده ويأمرهم باتباعه فمما كان يقوله لهم سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا

يا ليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن خطبه التي كان يخطبها أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل وعشرون وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فأرخوا به ثم بموت عبد المطلب ثم كان التاريخ في الاسلام بالهجرة ومن ذلك ما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا يقضون أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وجاء في الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وجاء في الحديث أيضا لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسماعيل ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وجاء أن خزيمة ومدركة ونزارا كل منهم كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وان نزارا لما ولد ونظر أبوه الى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل بحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك وكان أجل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وجاء ان الله لما سلط بخت نصر على العرب أمر الله أرمياء عليه السلام أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة وقال فاني سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بخت نصر وحكى الزبير بن بكار أن أول من وضع أنصاب الحرم عدنان قيل وهو أول من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه وجاء انه انما سمي عدنان من العدن وهو الاقامة لان الله أقام من لا يمكنه حفظه وسبب ذلك ان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه روى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء أيضا أن مضر انما سمي بذلك لانه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله ولم يره أحد الا أحبه لما كان يشاهد في وجهه من نور النبي صلى الله عليه وسلم ومن كلامه خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو أول من حدا للابل وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال

يايداه يايداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما نزار أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء أن معدا سمي بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي في جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمي بذلك لانه خزم أي جمع فيه نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان في آبائه ومدركة سمي بذلك لانه ادرك كل عز وفخر بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم وكان ظاهرا بين نافيه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان أم النضر برة بنت أد بن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه أهل الجاهلية اذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال أبو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمي الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك في هذا الخبر والحمد لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا * قال الدميري وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه * قال الحافظ الشامي وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي ينثلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى وقد أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسماعيل اختلافا كثيرا ومن اسماعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلاف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الاسماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر وقال عروة بن الزبير ما وجدت أحدا يعرف بعد معد بن عدنان وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الانكار من أخبره بذلك فينبغي لمن أراد أن يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصله الى عدنان بن أدو يقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على أن عدنان ينتهي نسبه الى اسماعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن

الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولله در القائل

ونسبة عز هاشم من أصولها * ومحتدها المرضي أكرم محتد

سمت رتبة علياء أعظم بقدرها * ولم تسم الا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

قال الماوردي في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وفهر اسمه قريش واليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش ومافوقه كناني وسمي قريشا لانه كان يقرش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم وكلاب اسمه حكيم سمي بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب وقيل من المكالبة أي المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من الكلاب جمع كلب كانهم يريدون الكثرة وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد أن الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختار والهم هذه الاسماء وقصي اسمه زيد أو يزيد ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنجده من كربة وقعت له فوجده مربوطا ربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتله بمكة ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

الى أن قال

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصي من أكرم لئيما شاركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصي من خزاعة حبى بنت حليل الخزاعي فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى حليل الخزاعي فأوصى بها لابنته زوج قصي فقالت لا قدرة لي على فتح البيت واغلاقه فجعل

قوله حبى ضبطه المؤلف بشكل القلم على الحاء ضمة وعلى الباء شدة وفتحة وكتب أيضا بعض تلامذته أنها بضم ففتح الموحدة مشددة فليحرر اه مصححه الاول

ابوها

أبوها ذلك لأبي غبشان الخزاعي فاشترى منه قصي أمر البيت وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أزوادا من الابل وأتوا بافتنازعنه خزاعة فذعا قريشا وبني كنانة لاعانته فأعانوه حتى أزاح يد خزاعة وذلك بعد ان اقتتلوا أيام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين الا انه في خزاعة أكثر ثم تداعوا للصلح واتفقوا على انهم يحكمون بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا عربيا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد على أحد وقضى لقصي بأنه أولى بولاية مكة فتولاها وكانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر ولي أمر البيت بعد ثابت بن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لانه كان جدا لثابت وغيره من أولاد اسماعيل لأمهم لان اسماعيل تزوج من جرهم فجاءه الاولاد منهم فأخذ ولاية البيت بعد ثابت بن اسماعيل مضاض بن عمرو الجرهمي واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام لا تنازعهم ولد اسماعيل في ذلك لخؤلتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فأجمعت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم وذهب من بقي الى اليمن مع عمرو بن الحارث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو بن الحارث أبياتا منها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والدهور البواتر

ثم استقر الامر في خزاعة الى أن تزوج قصي منهم وحصل ما تقدم ذكره فأزاح يد خزاعة وولي أمر مكة وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد قصي وأحبهم اليه وكان عبد مناف أشرفهم لانه شرف في زمن أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه فأعطى قصي تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال أما والله يا بني لالحقنك بالقوم يعني بقية اخوته وبني عمه وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء للحرب الا أنت تعقده أنت ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم الا من طعامك وهذا هو المراد من الرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا في دارك يعني دار الندوة ولا يكون أحد قائدا لقوم في قتال الا أنت فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اختلف

أبناؤهم فأراد بنو عبد مناف وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل أن يأخذوا تلك الوظائف
من بني عمهم عبد الدار وأجمعوا على المحاربة وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها
لمن أراد أن يحالفهم ويكون معهم في المسجد عند باب الكعبة فغمس جماعة من قريش أيديهم
فيها للاشارة الى انهم معهم وتحالفوا بعد أن تطيبوا منها معهم فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف
وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فالمطيبون
قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن
كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوءة دما من دم
جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا لعقة الدم ثم
اصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد
الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوة بقيت في يد بني عبد الدار حتى باعها
بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصي فاشتراها بزق خمر ثم باعها
في الاسلام بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أتبيع مكرمة آبائك
وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد
بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون وكانت دار الندوة لقريش
يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار
الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وينقلب بها فتحجب وكانوا
لا يعقدون عقد نكاح الا في دار قصي أعني دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها وأما القيادة
وهي امارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو
سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب وأما يوم بدر فقاد الناس
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من أبي سفيان اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان
مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج النفير وأما الرفادة وهي اطعام الحاج أيام الموسم حتى
يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي
فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ثم
ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله
عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر وأما السقاية فقام
بها أيضا عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم فوض عمه المطلب
السقاية اليه فلما مات المطلب وثب أخوه نوفل بن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب
واغتصبه أركاحا أي أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا
وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما
وقف خاله أبو سعد بن عدي النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة

فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فأقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا انعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية ائن لم ترد على ابن اختي أركاحه لأملأن منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فأشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد ان جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب وقالوا له ان ام عبد مناف حبي بنت حليل الخزاعي فهلم فلنحالف فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد فقيل ان السقاية انتقلت من أبي طالب الى أخيه العباس في حياة ابي طالب وسبب ذلك ان أبا طالب كان يقذف في الماء التمر والزبيب تبعا لأبيه عبد المطلب فاتفق انه أملق أي افتقر في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لاكفلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لأخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت في بني عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فأنزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فرده صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبي ثم صارت بعده لأخيه شيبة ثم بقيت في بني شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحد أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم

﴿وأما عبد مناف بن قصي﴾ فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار كتابة منها أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه وكان في يده لواء نزار وقوس اسماعيل واياه عنى القائل بقوله

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

﴿وابنه هاشم﴾ اسمه عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين

وكانت رجل هاشم أى اصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما الى أن اشتد الامر بين بنى العباس و بنى أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وأول العداوة وقعت بين هاشم و بين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لأمية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى وكان بعسفان فخرج كل منهما فى نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الى الشأم فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثت ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أى الذهب و يقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب و وقعت مجاعة شديدة فى قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة فى الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع فى السراء والضراء قال الامام أبو سهل الصعلوكى فى قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد هاشم الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره و بقى له ولعقبه ذكره وقال ابن الصلاح الاولى حمل الحديث على العموم وأن المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى فالمراد أى ثريد وهذا لا ينافى بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ولبعضهم

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

ولآخر

عمرو العلا ذو الندا من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابى للوفود اذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه
او امحلوا اخصبوا منها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه

ولآخر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله

منه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف

الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وفي المواهب وشروحها ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه في وجه هاشم و يتلألأ ضياؤه لايراه حبر الاقبل يده ولا يمر بشئ الا خضع له تغدو اليه قبائل العرب و وفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الى حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم في الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدي الحق ويؤمن الخائف وكان اذا هل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها و يخطب و يقول في خطبته يامعشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أي عقولا وأوسط العرب أي اشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يامعشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بقية بني اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لايخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك و يخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة ومما نقل من شعر أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

وان حصلت انساب عبد منافها * ففي هاشم اشرافها وقديمها

وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

﴿وأما عبد المطلب بن هاشم﴾ فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد كان اذا دخل

شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفى رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاءانه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا عاش مائة وأربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لأخيه المطلب حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بنى عدى بن النجار من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقى عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون اى يتناضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت ياغلام فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه مارأى فذهب المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له ياابن أخى أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه قد ذهب به وقيل انه استأذن أمه وقال لها ان ابن أخى غريب فى غير قومه ونحن أهل بيت شرف فى قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة فى غيرهم فأذنت له فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا عبد المطلب وقيل ان الشمس أثرت فى شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن أخى هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربى يتيما فى حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبدا لمن تربى فى حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشأم ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته أى فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض عبد المطلب فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبى فى السيرة عن ابن الجوزى وزاد فى المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضىء فى غرته وفيه يقول القائل

على شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير يستسقى

الله

الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضره عبد المطلب معه في الاستسقاء فيسقون به وأمر ابا طالب ان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم معه في الاستسقاء ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه في ذلك اليوم

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين أراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب بالقداح عليه قوله

يارب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود من عندك الطارف والتليد

وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها الابن عم اليهودي ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي ويروى ان حربا كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق الا تأخروا وتقدم هو ولا يستطيع احد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه التميمي ومر قبله فقال حرب موعدك مكة فبقي التميمي دهرا ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فأنشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا * والصبح أبلج ضوءه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني * ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده * وأتيت أهل معالم وفخار
ليثا هزبرا يستجار بقربه * رحب المنازل مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم * والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعي من خوفه * ما كبر الحجاج في الامصار

فقال الزبير للتميمي تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب أخرج فقال كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا يطوفهم على الباب فألقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا انه أجاره فتفرقوا والى هذه القصة أشار ابن عباس

رضي الله عنهما حين دخل على معاوية رضي الله عنه في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاما فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فمن اكفأ عليه اناءه وأجاره بردائه فسكت معاوية رضي الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابني هذا لشأنا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع احد أن يجلس على فراشه ولا ان يطأه بقدمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه فاذا أراد أحد من اعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ماراه يصنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشئ أي بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي رواية ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب مالابني يبكي قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف ﴿ومما أكرم الله به عبد المطلب﴾ وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحارث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزلان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت الحجب عنها بار وأراها عبد المطلب دلته على حفرها بأمارات علمها روى ابن اسحاق بسنده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه

فجاءني

خفاء فى فقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب و ولده الحارث فوجد قرية النمل بين أساف ونائلة أعنى الصنمين الذين يذبحون عندهما و وجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم اى فى محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت أيضا المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفى الحديث مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانها فرق ما بيننا و بين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها رواه الدارقطنى و روى الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف أى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وقوله ولا تذم أى لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أى قليل ماؤها والغراب الاعصم فسره النبى صلى الله عليه وسلم بأنه الذى احدى رجليه بيضاء رواه ابن أبى شيبة فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها وعرف أنه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطى كبر وقال هذا طى اسماعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر أبينا اسماعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى و بينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف و ركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمأ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فأمرهم بحفر واقبورهم وقال من مات وأراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان القاءنا بأيدينا للموت عجز انضرب فى الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد و ركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه و بين زمزم ثم آذاه عدى بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرنى فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما

قوله باشراف الشام يعنى مشارفه وهى البلاد التى تدنو من أرض العرب نحو حمص وبلقاء اه

وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه وكان معه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة
بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة واحتفر عبد المطلب زمزم فى عامه
ذلك هو وابنه الحارث قال ابن اسحاق فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين
أساف ونائلة التى كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت
قريش والله ما نترك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردعنى حتى أحفر
فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم
يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين
والاسياف والادراع التى دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك فى هذا شركاء فقال لا ولكن
هلم الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة
قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له
قالوا أنصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران
على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب
الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم
حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال
الزهرى انه اتخذ عليها حوضا يستقى منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له فى
النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه
رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل بكسر الباء
مباح وقيل شفاء قال ابن اسحاق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها
لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ولانها بئر اسماعيل وافتخر بها بنو عبد مناف
على قريش كلها وعلى سائر العرب فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة
يجمعها فى الموسم ويسقى ألبانها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينبذه
بماء زمزم ويسقيه الحاج لانه يكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفى قام بالسقاية أبو طالب
ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما
دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه ولما تكامل بنو عبد
المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب
والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله وأقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى
فى المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر
بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ
من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه
للمساكين ثم نام فنودى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك قال قرب أحد

أولادك الذى نذرته فاغتم غماشديدا وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بالنذر فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بكسر القاف السهم قبل أن يريش ويوضع فيه النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان فى جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم يدفعون القداح له فيضرب بها فدفع عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم انى نذرت نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر عندهما النسائك وأصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضا وكان اساف يتعشقها فى أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات قريش فقالوا ماتريد أن تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله بن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى نعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عنى حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم اى أحضروه الى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة ثم اضربوا أيضا وهكذا حتى يرضى صاحبكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا وهى تخرج على عبد الله حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى أضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال

يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وخلفت المال عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال معاوية رضي الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعني بالذبيحين عبد الله واسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفي هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق وفي ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسماعيل عليه السلام أن الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا لشأن اسماعيل وأمه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وأمه ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشأم لا بمكة وأيضا مما يدل على أنه اسماعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليما في قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحاق عليه السلام سماه عليما في قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وأيضا فان الله بعد ان قص في كتابه قصة الذبح قال وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسماعيل وأيضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية أن أكبر الاولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فأمر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام ولبعضهم

ان الذبيح فديت اسماعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافى بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحاق واعلم أن بعض العلماء ذكر ان أعمام النبي صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل رؤى

ق

فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

وفى السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم

لقد حكم البادون فى كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض

وان أبى ذو المجد والسودد الذى * نشاهما ما بين نشز الى خفض

أى ارتفاع وانخفاض وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر

فلمئتها نورا يضىء به * ما حوله كاضاءة الفجر

ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر

ورأيتها شرفا نبوء به * ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقد روى عن العباس رضى الله عنه أنه لما بنى عبد الله بآمنة رضى الله عنهما أحصوا مائتى امرأة من بنى مخزوم وبنى عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على ما فاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة فى قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة ﴿ومن الارهاصات﴾ التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة أصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفا لقريش وتمهيد المولد النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته وأمر أبرهة سايس الفيل أن يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب اطلاق ابله التى أخذها جنود ابرهة فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان ابرهة قبل ذلك أرسل رجلا من قومه الى أهل مكة ليدخل الرعب فى قلوبهم فلما دخل مكة ورآى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربا فأتنى به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد ان أفاق من غشيته فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله

ماعنده دفع عنه ثم ذهب معه الى أبرهة واستأذن له وقال أيها الملك هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عزة بكة ويطعم الناس فى السهل والجبل والوحوش والطير فى رؤس الجبال فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم فعظم فى عين ابرهة فأجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وأن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه فقال عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان يمتنع منى قال أنت وذاك فرد عليه ابله فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا بالبيت وبثها فى الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاء بهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم أقبل الحبشيون يدون دخول الحرم فأرسل الله عليهم طيرا ابابيل وأهلكهم كما نص ذلك فى كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت فى عام الولادة على الصحيح أيضا وجاء فى بعض الروايات ان نور النبى صلى الله عليه وسلم استدار فى وجه عبد المطلب لما أقبل على ابرهة مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لانها فى ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح وأجاب المحققون عن ذلك بأن النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب فى ذلك الوقت الا انه كان يستدير فى وجهه مثل ذلك النور الذى كان قبل انتقاله ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما فى هذه القصة وذلك من جملة الارهاصات أيضا ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب روى أبو نعيم من طريق أبى بكر بن عبد الله ابن أبى الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم فى الحجر اذ رأيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها انى رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهرى قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم ار أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدى لأتناول منها نصيبا فلم انل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس فقال عبد المطلب لابى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج أى بعث ويقول كانت الشجرة

والله

والله أبا القاسم الأمين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أى أخشى أو يعنى وروى أبو على القيروانى فى كتاب البستان ان عبد المطلب رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه و يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض وقد صح فى احاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وفى رواية لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وروى البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت فى القرن الذى كنت فيه * وفى السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطى الذى تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أى فى الاحاديث وأقوال السلف و بقى بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وقد ذكر فى عبد المطلب ثلاثة أقوال الاشبه أنه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام أى لم يعبد الاصنام وقيل ان الله احياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات دليل على أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل فى ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وفى رواية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى ابى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح أهل الاسلام ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج قبلها بزوجات قيل أول زوجة تزوجها قيلة بنت جندب و يقال صفية بنت جندب وهى أم ولده الحارث وأن سبب تزوجه أنه بعد ان بلغ الحلم نام يوما فى الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فبقى متحيرا لا يدرى من فعل ذلك به فأخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فولدت له الحارث له ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور اليه وكان أى عبد الله أحسن رجل فى قريش خلقا وخلقا وفى رواية كان أكمل بنى أبيه وأحسنهم

وأعفهم وأحبهم الى قريش وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية يرى في وجهه كالكوكب الدرى وفي شرح المواهب كان يتلألأ نورا في قريش وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن أن تذهل عقولهن * قال أهل السير فلقي عبد الله في زمنه من النساء من العناء مثل مالقي يوسف في زمنه من امرأة العزيز وقد هدى الله والده فسماه باحب الاسماء الى الله ففي الحديث أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح كما تقدم وكان ذا عفة وكرم وسماحة ولما بلغ من العمر ثماني عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوجه على آمنة بنت وهب فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى لديانته وعفته فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي وقيل ان وهبا المذكور أبوها لا عمها فزوج آمنة لعبد الله وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فسبقته فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه وقال في بعض غزواته * أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب * أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة وعن بعض الطالبيين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم أحد أنا ابن الفواطم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل * وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولاهن أم لؤي بن غالب واللواتي من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي أمه صلى الله عليه وسلم وهب وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكار أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصي وقيل لم يرد خصوص الامهات التي في عمود نسبه بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا اقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ومن جداته الفواطم أم عمرو بن عابد وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله أعلم ﴿والسبب﴾ الذي دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال ممن الرجل فقال من بني هاشم قال أتأذن لي أن أنظر بعضك قلت نعم مالم يكن عورة ففتح احدى منخري فنظر فيها ثم نظر في الاخرى فقال أشهد أن في احدى

بديك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك قلت لا أدرى قال هل لك من شاءة أى زوجة من بنى زهرة قلت أما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس أيضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما أخبره به الحبر وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة فأمر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى ذلك المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة ولما حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من خوارق العادات ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم منها أنها لم تشك لحمله ثقلا وأتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها وتوفى أبوه وأمه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قدم ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند بنى عدى بن النجار وهم اخوال أبيه عبد المطلب لأن أمه منهم فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا عند أخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحارث وقيل الزبير فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا فى الغمائم
دعته المنايا دعوة فاجابها * وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره أصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما توفى عبد الله قالت الملائكة يا الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما لا أب له فقال الله تعالى لهم أنا له حافظ ونصير وفى رواية أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم أى ما حكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان أمه ماتت وعمره ست سنين وليعلم أن العزيز من أعزه الله وأن قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقير واليتيم * ولما دنت ولادتها أتاها آت فى المنام فقال لها قولى اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه

محمدا وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومثل هذا الايقال من قبل الرأى انتهى ومن علامات حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم انتقال النور الذي كان في عبد الله اليها وعن كعب الأحبار أن في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة ووقع ذلك أيضا عند ولادته صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم باسناد صحيح أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام وصح أيضا أنها رأت ذلك عند الولادة قيل ان الذي عند الحمل كان مناما والذي عند الولادة كان يقظة وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب في تلك السنة وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولد صلى الله عليه وسلم مختونا أى على صورة المختون مكحولا نظيفا ماله قذر ولبعضهم

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وقيل ختنه جده وقد يجمع بأنه تمم ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يديه يشير بالسبابة كالمسبح بها وفي رواية عن أمه أنها قالت فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل وفي رواية شاخصا ببصره الى السماء وفي رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الغلام ليغلبن هذا المولود أهل الارض أى لانه قبض عليها وصارت في يده وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى وفي رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت اعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضي الله عنه في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي ذلك النور وسبل الرشاد نخترق

وقال البوصيري في الهمزية

وترعت قصور قيصر بالروم يراها من داره البطحاء

قال في المواهب وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم * روى السهيلي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروى أيضا أنه قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وعن عثمان بن أبي العاص عن امه رضي الله عنها أنها قالت شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فلم انظر من البيت الا نورا واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي" وقولها ليلا أي قرب الفجر جمعا بين الروايات * قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التي ولد فيها في قوله تعالى والضحى والليل وقيل المراد ليلة الاسراء وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنها قالت لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي" فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير قول البوصيري في الهمزية

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

قال بعضهم لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذي فيه أنه قال حين خروجه الحمد لله كثيرا وعن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أنها قالت لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها وأخذني المخاض واشتد على" الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الى وناولتني شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثانية ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ولعل الحكمة في شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم أخت موسى عليه السلام وقد حمى الله هؤلاء النسوة أن يطأهن أحد فقد روى أن آسية لما زفت الى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضي منها بالنظر اليها قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عادتهم اذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه في رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب أي يسيل لبنا ولما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له يا أبا الحارث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال ليس بشرا سويا فقالت بلى ولكن

سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة وقع بعدن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و يأتون بأخبارها مما سيقع فى الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحدهم استراق السمع الا رمى بشهاب وازداد ذلك عند المبعث وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام يفعة أى غلام مرتفع ابن سبع أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة أى محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة أى الذى طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة وعن كعب الاحبار قال رأيت فى التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى من بطن أمه وموسى أخبر قومه أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها تروية عمن كان موجودا وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه فقال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات أى متتابعات كأنهن عرف فرس أى وتلك العلامة هى خاتم النبوة أى علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين وذلك فى الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودى ماذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودى فأخبروه الخبر أى قالوا له أعلمت ولد فينا مولود فقال اذهبوا معى حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقالوا أخرجى الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وعن الواقدى انه كان بمكة يهودى يقال له يوسف لما كان اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبى هذه

الامة هذه الليلة فى بحرتكم أى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبى والتوراة وكان بمر الظهران راهب من أهل الشأم يدعى عيص وكان قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك أى يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أى تذل وتخضع ويملك العجم أى أرضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه أى أدرك بعثته واتبعه أصاب حاجته أى ما يؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد مولود بمكة الا ويسأل عنه فيقول ماجاء بعد أى الآن فلما كان صبيحة اليوم أى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضا أنه وجع فيشتكى أى لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لاتذكر ماقلته لك لأحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها واذلك جل أعمار أمته وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم أنها تنكست أيضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت فى الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام وفى السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فاعادوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم أيا يا أيها المخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم صوت جهير أى مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

قال فى الهمزية

وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وارتجس أى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان وكان مبنيا بناء فى غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفوس وسمع انشقاقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة وليس ذلك لخلل فى بنائه وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض يروى أن الرشيد أراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكى يا أمير المؤمنين لاتهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار

فارس أي مع ايقادخدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شئ من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضا والى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلاصعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسرى قد رأى ما أهاله وأفزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرافات فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لايدخر هذا الامر عن مرازبته أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا الا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب أيليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره أن وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان فانا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال أي شئ هذا ياموبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليسألني الملك بما أحب فان كان عندي علم منه أعلمته والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح أي الموت وعمره اذذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسدا ملقى لاجوارح له وكان لايقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا اريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به الى حيث يشاء واذا اريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذي

ينهض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشأ يقول عبد المسيح الابيات المشهورة التى أولها * أصم أم يسمع غطريف اليمن * فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أى سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشأم لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم مات سطيح من ساعته وذكر الطبرى أن ابرويز بن هرمز جاءه جاء فى المنام فقيل له سلم ما فى يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا حتى كتب له النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى رحله وهو يقول أبياتا منها

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير

والخير والشر مقرونان فى قرن * والخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم بعضهم فى خلافة عمر رضى الله عنه وملك الباقون فى خلافة عثمان رضى الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء المنازل بنى تميم فر وا منه ومن جيشه وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون أن ملكنا سيصير اليهم على يد نبى يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها او يعظمونك بها فى دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وعن العباس رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك اشارة أى علامة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر اى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيثما أشرت اليه مال قال كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته اى سقطته حين يسجد تحت العرش وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وتقدم أن أمه رأت من يقول لها فسميه اذا ولدتيه محمدا وعن أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال امرت أمه آمنة فى المنام وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد ولا مانع من رؤية الامرين فأخبرت جده فسماه وقيل ألهم ذلك

ايضا ولا مانع منهما ولما سماه بمحمد قيل له ما حملك على أن تسميه بمحمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك فقال رجوت أن يحمد فى السماء والارض وقد حقق الله رجاءه ﴿فائدة﴾ جرت العادة أن الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم قال الحلبى فى السيرة فقد حكى بعضهم أن الامام السبكى اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصرى فى مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكى وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير فى ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووى ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين قال السخاوى ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزى من خواصه أنه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب اربل وألف له الحافظ ابن دحية تأليفا سماه التنوير فى مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر بالف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله فى ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته فى الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط الجوزى فى مرآة الزمان حكى لى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت فى السنة وهو ما فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزى أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم

وأنه يخرج له من بين أصبعيه ماء يشرب به كما أخبر بذلك العباس فى منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافرجاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى انه فى يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

﴿باب فى ذكر شىء من الخوارق التى ظهرت فى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم﴾ أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة الاسلمية مولاة أبى لهب التى أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى أنها أدركت البعثة وأسلمت أم لا وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له فجاء نسوة من بنى سعد الى مكة يلتمسون الرضعى ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة أخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبي تعنى زوجها والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك فلآخذنه فقال لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته وفى رواية قالت فاستقبلنى عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بنى سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فأبين أن يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدى به فقلت ألا تذرنى حتى أشاور صاحبي قال بلى فانصرفت الى صاحبي فأخبرته فكان الله قذف فى قلبه فرحا وسرورا فقال لى يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرنى فقلت هلم الصبى فاستهل وجهه فرحا فأخذنى وأدخلنى بيت آمنة فقالت لى أهلا وسهلا وأدخلتنى فى البيت الذى فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقدا عليها على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فأشفقت اى خفت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الى فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وحملته وما حملنى على أخذه اى فى ابتداء الامر الا انى لم أجد غيره والا فما ذكرته من أوصافه مقتض لأخذه وفى شرح الزرقانى على المواهب أنها لما دخلت عليه صلى الله عليه وسلم سمعت جده هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا * خير الانام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع * نعم الامينة هى على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش * ونقية الاثواب والاوزار

لاتسلمنه الى سواها انه * أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة ثم أعطيته ثديي الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم ألهمه الله أن له شريكا فعدل وفي رواية ان أحد ثديي حليمة كان لايدر اللبن فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب أخوه معه حتى روى ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أى لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجي الى شارفنا فاذا هي حافل أى ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا رياوشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين أصبحنا والله ياحليمة لقد أخذنا نسمة مباركة فقلت والله انى لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته معي عليها فوالله انها قطعت بالركب مايقدر على مرافقتها شئ من حمرهم حتى أن صواحبي يقلن لى يابنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أى اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليست هذه أتانك التي كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فأقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشأنا قالت حليمة وكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتى ورد لى سمني بعد هزالى ويحكن يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل ترين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره في السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أوخفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بنى سعد ولا اعلم أرضا من اراضى الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا شباعا لبنا أى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي رواية فنحلب ماشاء الله ومايحلب انسان قطرة لبن ولايجدها في ضرع حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعائهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبي ذؤيب يعنوننى فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شبابا لايشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أى غليظا شديدا وعن حليمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبو الى كل جانب وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشى وفي خمسة حصلت له القدرة على المشى فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمى بالسهام مع الصبيان وعن حليمة أيضا رضى الله عنها قالت انه لفى حجرى اذ مرت بنا غنيمات فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت رضى الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلى عنه والى قصة ارضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء

اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن مافى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست * مابها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبى منها غذاء
يالها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء
* واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء *

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وتكلم بهذا أيضا عند خروجه من بطن أمه كما تقدم وفى رواية أول كلام تكلم به فى بعض الليالى وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيأ الا قال بسم الله وعن حليمة رضى الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة رضى الله عنها فقدمنا مكة على أمه اى بعد ان بلغ سنتين ونحن أحرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابنى عندى حتى يغلظ وفى رواية قلنا نرجع به هذه السنة الأخرى فانى أخشى عليه وباء مكة أى مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضى الله عنها قالت لحليمة رضى الله عنها ارجعى بابنى على الفور فانى أخاف عليه وباء مكة أى كما تخافين أنت ايضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه تعنى من الرضاع لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يشتد أى يعدو فقال لى ولأبيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أى يدخلان يديهما فى بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه أى متغيرا لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق لانه بغير ألم قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يا بنى قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو وقال نعم فاقبلا يبتدرانى فأخذانى فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيأ فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدرى ماهو قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا وقال لى أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب يعنى بشئ من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به واخرجى من أمانتك وفى رواية قالت قال زوجى أرى أن ترديه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسدا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن أربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن

ابن عباس رضى الله عنهما أن حليمة رضى الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما
ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يا أماه مالى لا أرى اخوتى بالنهار
يعنى أخوته من الرضاع وهم أخوه عبد الله وأختاه أنيسة والشيما أولاد الحارث قالت فدتك
نفسى انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثينى معهم فكان يخرج مسرورا
ويعود مسرورا اوقات فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتانى أخوه وفى رواية
ابنى ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادى يا أمه ويا أبت الحقا أخى محمدا فما تلحقانه
الا ميتا قلت وما قضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل
ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدرى مافعل به قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى
سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك
فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسى ما الذى دهاك قال خيرا يا أماه بينا أنا الساعة
قائم اذ أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفى يد الآخر طست من زمردة خضراء فأخذونى
وانطلقوا بى الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فأضجعنى الى الارض ثم شق من صدرى الى عانتى
وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الى آخر القصة وفى رواية انها لما قدمت به مكة
لترده بعد هذه القصة أضلته فى اعالى مكة فقالت انى قدمت بمحمد فى هذه الليلة فلما كنت
باعالى مكة أضلنى فوالله ما أدرى أين هو فقام عبد المطلب يدعو الله أن يرده عليه وأنشد

يارب رد ولدى محمدا ❊ اردده ربى واصطنع عندى يدا

فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لاتضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال
عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادى تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه
ورقة بن نوفل فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب غصنا من أغصانها فقال له جده
من أنت ياغلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال وأنا جدك فدتك نفسى واحتمله
وعانقه وهو يبكى ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم
أهل مكة وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ان هذه
القصة تكررت وانه حصل له ضياع مرة أخرى فوجده أبو جهل فأركبه بين يديه على ناقته
وجاء به الى جده وقال ماتدرى ماوقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفى فأبت
أن تقوم فأركبته امامى فقامت قالت حليمة فلما قدمت به قالت أمه ما أقدمك به ولقد كنت
حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت الذى على وتخوفت الاحداث فأديته
عليك كما تحبين قالت ماشأنك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه
الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابنى هذا شأنا ألا أخبرك خبره
قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم
حملت به فوالله ما رأيت اى علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ووقع حين ولدته وانه

لواضع

لواضع يده بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة وعن حليمة رضي الله عنها أنه مرت بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته أمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه وكل ما رأته هي بعد ان أخذته واسندت الجميع الى نفسها كأنها هي التي حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أو يتيم هو فقالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما اقتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة أيضا رضي الله عنها انها نزلت به صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ وكان سوق الجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون وانما سمي عكاظ لان المعاكظة المفاخرة يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة قيل كان سوق عكاظ لثقيف وقيس وغيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله ﴿وفي الوفاء للسيد السمهودي﴾ لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون أي صبي هذا فقال هذا الصبي فلا يرون أحدا فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق هو سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يأتونه اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر أمرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات وفي السيرة الهشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها أنا خذ هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلادنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فأبت وأدت به الى أمه ﴿وقصة شق الصدر﴾ جاءت بروايات كثيرة ففي بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم أي بأجمعهم واذا بظئري أي مرضعتي امام الحي تهتف أي تصيح بأعلى صوتها وتقول واضعيفاه

فأكبوا على يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئري واوحيداه فأكبوا على فضموني الى صدرهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت من وحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الارض ثم قالت ظئري وايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا على وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ماأريد بك من الخير اقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت لا أراك الاحيا بعد فجاءت حتى اكبت على وضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها و يدي في أيديهم يعني الملائكة والقوم لايعرفونهم أي لايبصرونهم فأقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم اي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه و يداويه فقلت ياهؤلاء مابي مما تذكرون شئ ان آرابي اي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح وليس بي قلبة اي علة فقال أبي وهو زوج ظئري ألا ترون كلامه صحيحا اني لارجو أن لايكون بابني بأس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فسألني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته ياللعرب ياللعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت أن هذا قولك ماأتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى أهلهم ثم أصبحت فزعا مما فعلوا يعني الملائكة وأصبح اثر الشق مابين صدري الى منتهى عانتي ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذا أحاطت به ملائكة الله فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لايمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع مالم يذع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

(وقد تكرر شق الصدر) هذه المرة الاولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن

ابى بن كعب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما أوّل ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة انى لفى صحراء وأنا ابن عشر سنين وأشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا رجل يقول أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا الىّ يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدى لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فأضجعنى بلا قصر ولا هصر أى من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا الذى أدخله يشبه الفضة ثم نقر ابهام رجلى اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت وعندى رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشر ين غلط من بعض الرواة والمرة الثالثة عند ابتداء الوحى والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة فى الشق الثانى الذى كان وعمره عشر سنين قال فى السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الاحوال من التطهير والحكمة فى الرابع الزيادة فى اكرامه ليتأهب للمناجاة * وعن حليمة رضى الله عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاع وهى الشيما وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبى صلى الله عليه وسلم أيضا وكانت ترقصه وتقول

هذا أخ لى لم تلده أمى * وليس من نسل أبى وعمى * فأنمه اللهم فيمن تنمى

ومما كانت ترقصه به أخته الشيماء

يا ربنا أبق لنا محمدا * حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيدا مسوّدا * واكبت أعاديه معا والحسدا * وأعطه عزا يدوم أبدا

قال الازدى ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة فى هذا الحر أى ما ينبغى أن يكون الخروج والوقوف فى هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى اذا انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت أى والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما تحذر على ابنى وفى كلام بعضهم أن حليمة رضى الله عنها فى بعض الاوقات رأت الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ووفدت عليه حليمة رضى الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضى الله عنها تشكوا اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة رضى الله عنها فأعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات من الابل وفى رواية أربعين شاة و بعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفى رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه وفى رواية وأجلسهم على ثوبه وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبا بكر فبسط لها

رداءه ثم جاءت عمرة ففعل ذلك قال فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن أبى الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فأقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التى أرضعته وفى رواية استأذنت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمى أمى وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه قال ابن حجر فى شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها وغلط من أنكر اسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضى الله عنها وفى السيرة الحلبية أن بنتها الشيما أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت فى السبى يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يارسول الله أنا أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام المواهب يقتضى انهما قضيتان فى كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجىء أخته وواحدة عند مجىء أمه خلافا لمن وهم فى ذلك وأنكر مجىء الام وقال بل هى الاخت فقط قال ابن عبد البر فى الاستيعاب حليمة السعدية أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيما أغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازان فأخذوها فيمن اخذوا من السبى الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاى تأليفا فى اسلام حليمة رضى الله عنها ردا على من أنكره

﴿ باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم ﴾

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه روى الزهرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخوال جده وهم بنو عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال هنا نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبى هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به أمه الى مكة وفى رواية أبى نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الى رجل من اليهود يختلف ينظر الى فقال يا غلام ما اسمك قلت احمد ونظر الى ظهرى فسمعته يقول هذا نبى هذه الامة ثم راح الى اخوانه

فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت على تخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت أولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة ﴿وروى أبو نعيم﴾ في دلائل النبوة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام * فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث الى الانام * تبعث في الحل وفي الحرام
تبعث في التحقيق والاسلام * دين أبيك البر ابراهام
فالله أنهاك عن الاصنام * أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهرا قالت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

نبكي الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه * أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة متينه
لا تبق ظعانا ولا ظعينه * الا أتت وقطعت وتينه
أما هلكت أيها الحزينه * عن الذي ذو العرش يعلي دينه
فكلنا والهة حزينه * نبكيك للعطلة أو للزينه
أو للضعيفات وللمسكينه

قال الزرقاني في شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطي بعد ذكر أبياتها السابقة وهذا القول منها صريح في انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شيء غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله والاهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف في التبري من الكفر وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن بكل من كان في الجاهلية انه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون امه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من اهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قرب بعث

نبي من الحرم صفته كذا وامه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك اكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حملة وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التخضر ورؤيت النور الذي خرج منها أضاءت له قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن في كلمات اخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد انها تحنفت في حياتها واما ابوه رضي الله عنه فنقل عنه كلمات واشعار تدل على توحيده ايضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه

يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذي تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيأ وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه كالكوكب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات فالكافر لا يوصف بانه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وامهاته من الكفر قال في المواهب وقد روى ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبراني وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفي رواية وهو باك حزين فاقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال يخاطب عائشة رضي الله عنها سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلي من حديث عائشة رضي الله عنها ايضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ولفظه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فاحياهما له فآمنا به ثم اماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم اهل ان يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بأن ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي مال الى ان الله احياهما حتى آمنا به طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم انه موضوع وهذا مردود والحق انه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل ولقد احسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا

فأحيا امه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا

فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من

العرب

العرب هاشم وزهرة قال الزرقاني في شرح المواهب بعد ذكر حديث احيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على انه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

أيقنت أن أبا النبي وأمه * احياهما الرب الكريم الباري

حتى له شهدا بصدق رسالة * سلم فتلك كرامة المختار

هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقاني الذي يظهر لي أن المراد صححوا العمل به في الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه في مرتبته قبر جمع الكلام للسيوطي وقال التلمساني روى اسلام أمه بسند صحيح وكذا روى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له وسيذكر في المواهب في المعجزات ان الله أحيا على يده صلى الله عليه وسلم خمسة منهم الابوان قال القرطبي في التذكرة ان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله كما نص الله ذلك في سورة البقرة وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى قال الزرقاني فأحيا ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفي شاب من الانصار وسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فأحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة الانصاري من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت (وأخرج) ابن الضحاك أن أنصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد أطبقت لأئمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص

على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسألة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل عنهما قال وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهي كثيرة ومعانيها متقاربة والصحيح منها ثلاثة (الاول) حديث الاسود بن سريع وأبي هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه وفيه وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعوه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (والثاني) حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين (والثالث) حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي قال الحافظ ابن حجر والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة ان يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض في الاحاديث التي فيها انه صلى الله عليه وسلم جاء قبر أمه فبكى بكاء هائلا بكاؤه صلى الله عليه وسلم ليس لتعذيبها وانما هو أسف على مافاتها من ادراك أيامه والايمان به قال الزرقاني وقد رحم الله بكاءه فاحياها له حتى آمنت به ثم قال وما ألطف هذه العبارة من القاضي عياض فانها صريحة في ان البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازي في تفسيره ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه بل ان آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك في الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من اصلاب

الطاهرين

الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب وهذا لازم في جميع الآباء وقد أيد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة وألف في ذلك رسائل فجزاه الله خيرا وشكر سعيه فمن تلك الادلة حديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه مع ما ثبت أن الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي رضي الله عنه قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك اهلكت الارض ومن عليها وأخرج الامام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعني بعثت من خير قرون بني آدم الخ وأن الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما أن يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو المدعى واما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت انهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض في زمانهم وساق نصوصا وأدلة كثيرة في ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الاحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي الذي يقال له عمرو بن لحي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه أن أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ في جباه الساجدينا

تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى أن جاء خير المرسلينا

قال السهيلي ان عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سيد الناس ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن

هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالاكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية و يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وأبهة الاشراف ذكره فى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما و يؤيده أيضا ما اتضح له من المبشرات التى بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والاشارات حتى تبين له أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبى الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم فى الصحابة منهم الحافظ ابن حجر فى الاصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة وقد روى عن عبد المطلب أخبار كثيرة تقتضى أنه عرف بها نبوة النبى صلى الله عليه وسلم فمن ذلك أن قوما من بنى مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له فى حق النبى صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذى فى المقام منه أى وهى قدم ابراهيم عليه السلام و بينا عبد المطلب يوما فى الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى فى دينهم وذلك الاسقف يحدثه و يقول انا نجد صفة نبى بقى من ولد اسماعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ما هذا منك قال هذا ابنى قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه وعن أم أيمن رضى الله عنها قالت كنت أحضن النبى صلى الله عليه وسلم أى أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابنى قلت لا أدرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان أهل الكتاب يزعمون انه نبى هذه الأمة وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول على بابنى أى أحضروه و يجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه و يؤثره بأطيب طعامه وعن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف قيل أدركت الاسلام ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون أى أزمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال وأشفين أى أشرفن على الانفس فسمعت قائلا يقول فى المنام يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان أى وقت خروجه و به يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أى أشرافكم نسبا طوالا عظاما أى طويلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين أهدب الاشفار أى طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أى لا شعر بهما رقيق العرنين أى الانف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا و يتطيبوا ثم استلموا الركن ثم رقوا الى رأس أبى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فانكم تسقون فأصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما أمرتم به ثم علوا على أبى قبيس ومعهم

النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك واماؤك
وبنو امائك وقد نزل بنا ماترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر
أي البقر والابل والخيل والبغال والحمير فأشفقت على الانفس أي أشرفت على ذهابها
فأذهب عنا الجدب واتتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قالت وسمعت شيخان
قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئالك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء وفي هذه القصة
تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر

فجاء بالماء جونى له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت حقا به مضر

مبارك الاسم يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب
وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد
المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات
وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد
المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال اللهم رب
البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير
البشر قد تشعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس
والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خوّاره وسماء خرّاره لتضحك أرضهم ويزول ضرهم
فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوي وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب
يامعشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر ابن الجوزي انه صلى الله
عليه وسلم في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب
ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى
خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال ياعبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم أخرج
اليك لخرب على ديري فارجع به واحفظه لا يغتاله بعض أهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه
مايعالج به وفي رواية أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال ياعبد المطلب هذا رمد قال نعم قال ان دواءه معه خذ
من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى
الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب ياعبد المطلب وتالله هذا الذي أقسم على الله به فأبرئ

المرضى وأشفى الاعين من الرمد وتقدم جملة من مناقب عبد المطلب وفيها مايدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الاخلاق وتحنثه بغار حرا والمعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش فى رؤس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموؤدة وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن ذلك قوله والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لأهل مكة عند مجيء أصحاب الفيل

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك * وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله فكان يضرب القداح ويقول يارب أنت الملك المحمود وأنت ربى الملك المعبود * من عندك الطارف والتليد * فهل التوحيد شئ غير هذا كلا والله وأما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم انه كان يوضع له فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجيء النبى صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فأراد بعض أعمامه أن ينحيه فقال عبد المطلب ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكى خلف سريره (وروى أبو نعيم فى الحلية) والبيهقى أن سيف بن ذى يزن الحميرى لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته لاهلاك ملوك الحبشة وولايته عليهم لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر فى يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف ابن ذى يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر به على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمى وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصى بن عبد الدار فأخبر بمكانهم وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فأذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب (وفى الوفاء للسيد السمهودى) وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا وأنبتك نباتا طابت أرومته وعظمت جرثومته وأنت ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا من كشف الكرب الذى أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم

قال

قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم
قال ادن ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا
ربحلا أى كثير العطاء قد سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل
والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء أى العطاء اذا ظعنتم ثم أمرهم بالنهوض الى دار
الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم
بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأدناه ثم قال يا عبد المطلب انى مفض
اليك من سر علمى ما لو غيرك يكون لم أبح له به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه أى عليه فليكن
عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى
ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة
الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو
فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد غلام بتهامه بين كتفيه شامه كانت له الامامه
ولكم به الزعامه الى يوم القيامه فقال له عبد المطلب أيها الملك أبت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا
هيبة الملك واعظامه لسألته من مسارته اياى أى مسارته اياى بما أزداد به سرورا فقال له الملك
هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا
والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب
بهم الناس عن عرض أى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان
أى يزجره ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف
ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك
فهل الملك سارى بافصاح فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات
على النقب انك لجده يا عبد المطلب غير كذب ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست
شيئا مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا وانى
زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا
مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب فقال له الملك ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ
من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أى فحفظه والخوف
عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط
الذين معك فانى لست آمن أن تداخلهم النفاسة فى أن تكون لهم الرئاسة فينصبون له الحبائل
ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ولولا انى أعلم أن الموت مجتاحى أى
مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه فانى أجد فى الكتاب الناطق
والعلم السابق ان يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات
وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره وأعليت على أسنان العرب كعبه

ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة
اعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة
ومائة من الابل وكرسيا مملوأ عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول
فاتنى بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا
مايقول لمن معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى
ذكره وفخره فاذا قيل له ماهو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين قال الزرقانى فى شرح المواهب
وماذكره الفخر الرازى من تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين بتنقله فى أصلاب
الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه فى تفسير الآية وليس مراده الحصر فى هذا
الوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم
عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى ومن نبى
الى نبى حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط
وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر
عن ابن جريج فى قوله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى قال فلن تزال من ذرية ابراهيم
ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى
وجعلها كلمة باقية فى عقبه أنها لا اله الا الله باقية فى عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة فى الآية
قال هى شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن
حجر الهيتمى ان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما
كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك
ابراهيم واسماعيل مع انه عم يعقوب وقد سبق الرازى على ذلك جماعة من السلف فقد روى
بالاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر أبا
ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر فى تاريخ ابن المنذر صرح فيه بانه عمه
قال الزرقانى وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم
انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم
على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف فى اسمه وأطال فى بيان ذلك بما لا طائل تحته
وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وتخطئته هى الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل كيف
وقد قال أولئك السلف انه عمه وحكاه الرازى ونقله حافظ السنة فى عصره وأقره وأيده بما لا
محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار وقد وافق الرازى على الاستدلال بهذه الآية
لهذا المعنى الماوردى من أئمة الشافعية وناهيك بهما وأما الاخبار الواردة فى تعذيب
بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها
انها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف

أكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتاويل وانها منسوخة بما ورد فى الابوين مما يخالفها (فن الاحاديث المعارضة) ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبى كان يصل الرحم وكان فأين هو قال فى النار فكانه وجد من ذلك فقال أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا مامررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجمل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا سأله اعرابى وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب اجابه بجواب فيه تورية وايهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى كرواية مسلم ان رجلا قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال ان أبى وأباك فى النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب وأحسن مايقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وان الصواب هى الرواية الاولى فهى فى غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبى صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابى بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة فى أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته أدلة اخرى وجب تاويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر فى الاصول ﴿فان قيل﴾ حيث قررت ان أهل الفترة لا يقضى عليهم بشئ حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبى السائل بأنه فى النار أجاب السيوطى بجوازانه يعصى عند الامتحان وأوحى اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فحكم بأنه من أهل النار وبأن حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها وبجوازانه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصر ومات فى عهده وهذا لاعذر له البتة قال الزرقانى وفى الثالث نظر لانه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه اذ الفرق لائح لان أباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بان الاعرابى توهم انه لا يكفى بلوغ البعثة حتى يشاهد النبى ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن حينئذ تفقه فى الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به فى حديث سعد وابن عمر رضى الله عنهما وبعضهم روى هذه القصة بأن السؤال عن الام وجمع بأنه سأل مرة عن أبيه ومرة عن أمه ﴿ومن الاحاديث المعارضة للنجاة﴾ حديث مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا استأذنت ربى أن أستغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنته ان أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وأجيب كما فى الزرقانى بأن حديث عدم الاذن فى الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل انه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا فى أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له مع انه من المسلمين

وعلل بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الى منزله فى الجنة والمدبون
محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضى دينه فقد تكون أمه مع كونها متحنفة محبوسة فى البرزخ
عن الجنة لامور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار لها الى أن أذن الله فيه بعد
ذلك قال وأما حديث أمى مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها فى النار لجواز انه أراد
بالمعية كونها معها فى دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وايهاما تطييبا لقلوبهما قال وأحسن
منه انه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه أنها من أهل الجنة كما قال فى تبع لا أدرى تبعا أ نبيا
كان أم لا أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال بعد أن أوحى اليه
فى شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن
عباس رضى الله عنهما فكأنه أولا لم يوح اليه فى شأنها شئ ولم يبلغه القول الذى قالته عند موتها
ولا تذكره فأطلق القول بأنها مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى اليه أمرها بعد
قالت ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير انها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك اصل كبير
فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى
تمت الشريعة ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذ
معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضى عياض ان الاحاديث التى فيها البكاء عند قبر أمه تحمل على
أن بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان أسفا على ما فاتها من ادراك أيامه أى بعثته والايمان به وقد
رحم الله بكاءه فأحياها حتى آمنت ﴿ومن الاحاديث المعارضة للنجاة﴾ ما رواه الحاكم عن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما الى المقابر أى أشار الى أنه
يريد الذهاب اليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام
فقام اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان
القبر الذى جلست عنده قبر آمنة وانى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى وانى استأذنته فى الدعاء
وفى رواية فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وأنزل على "ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربى" فأخذنى ما يأخذ الولد للوالد أى من الرقة والشفقة والجواب عنه انه
حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبى فيه أيوب بن هانى ضعيف قال السيوطى
فهذه علة تقدح فى صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التى فيها ان الآية
نزلت فى أبى طالب وأما ما يذكره بعض المفسرين من أن قوله تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم نزلت فى الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الآية نزلت فى اليهود
والنصارى قال أبو حيان فى البحر وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت فى أبى
طالب وسيأتى الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث
البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار
وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن فى النار وهو الذى يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به أحد قال

انما تعلق بمجنى وان غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك بأجوبة أحدها انها أخبار آحاد تفيد الظن فلا تعارض القطع بأنهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها وان صحت الثانى قصر التعذيب المذكور فى هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافى القاطع والله أعلم بالسبب الموقع لهم فى العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب المذكور فى هذه الأحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحى فانهم فعلوا من الضلال والاضلال مالا يعذرون به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام ﴿القسم الأول﴾ من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أى بعلمه وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة الايادى فانه آمن بالبعثة فى زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه وبشر الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فأجيبوه ولو علمت انى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وفى كلام آخر روى اليعمرى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتى شئ من اخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول انى خالفت قومى واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وأنا أنتظر نبيا من بنى اسماعيل يبعث ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فأقرئه منى السلام قال عامر فلما أعلمت النبى صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته فى الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون فى الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من أبى بكر وعلى رضى الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه كرم الله وجهه لكن اشتهر الصديق فى أبى بكر وكرم الله وجهه فى على رضى الله عنهما وكل منهما لم يسجد لصنم قط ومنهم من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا فى الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقانى ولا بدع أن يكون الابوان الشريفان كالقسم الاول أعنى زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان أولى بذلك كما تقدم ﴿القسم الثانى﴾ من أهل الفترة من غير وبدل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر أول من سن للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجده قمعة بن خندف أبو خزاعة وخندف زوج الياس بن مضر وقد ذكر ابن اسحاق فى سبب تغيير عمرو بن لحى وتبديله واشراكه انه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة

فنصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة جاءه ليلة فقال
اجب أبا ثمامه فقال لبيك من تهامه أدخل بلا ملامه فقال ائت سيف جده تجد آلهة معده
فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التي كانت تعبد
زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام في العرب
وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان
عمرو بن لحي فبيناهو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لا شريك
لك فقال الشيخ الاشريكا هو لك فأنكر ذلك عمرو فقال ماهذا فقال قل تملكه وما ملك فانه
لا بأس به فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب
ووصل الوصيلة وحمى الحامي فكانوا اذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا
أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة
وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضي أو قدمت من سفري فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم أو ذكرا فهو لآلهتهم وان
ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم واذا أنتجت من صلب الفحل عشرة
أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الاقسام يجعلونها
لطواغيتهم وتبعته العرب في غير ذلك ايضا مما يطول ذكره كعبادة الجن والملائكة وخرق
البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة
﴿القسم الثالث﴾ وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه
شريعة ولا اخترع دينا بل بقي مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على
ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثاني لاجل
كفرهم بما تعبدوا به من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن
كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى في مقام الرد والانكار
لما ابتدعوه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وانما قيل لهم لا يعقلون لانهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن
أكثرهم بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الاول وأما
القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم أن والدي النبي
صلى الله عليه وسلم اما أن يكونا من أهل القسم الاول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم
المنقولة عنهم فيما تقدم واما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد
ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما في زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها
من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين في
أقطار الارض كالشأم وغيرها وما عهد لهما تقلب في الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا

لمو بلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة أن أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجوبة
فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا
وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية
والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب
أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فلو كان عندهم علم من
بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه
فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينها
أزيد من ثلاثة آلاف سنة وأما أهل القسم الأول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو وقد قال
عليه الصلاة والسلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر
بأنهما كانا على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى
واذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لآبائه الكرام وأمهاته الفخام واختلفوا فى
ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والأكثرون على عدم
ثبوت الصحبة لان اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم
مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام انهم يبعثون بينه وبين
عيسى عليه الصلاة والسلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم
أهل الدين الذى دخلوا فيه ما لم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك
الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه فيه لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا
ثم لما أوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أى وحد الله وصدق بالنبى صلى الله عليه
وسلم قبل ظهوره وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لم يمت تبع حتى
صدق بالنبى صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطى
انى لم أدع أن مسئلة الابوين اجماعية بل هى مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل
المختلف فيها غير انى اخترت أقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام والحذر الحذر
من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه
اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده
بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه
قال جاءت سبيعة بنت أبى لهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الناس
يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال
أقوام يؤذوننى فى قرابتى من آذانى فقد آذى الله وروى الطبرانى والامام أحمد والترمذى
عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا
الاحياء ولا ريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل

وان ثاب فاذا سئل العبد عن الابوين الشريفين فليقل هما ناجيان فى الجنة امالانهما أحييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلى والقرطبى وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين واما لانهما ماتا فى الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابى فى شرح مسلم واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسى والتلمسانى محشى الشفاء فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيأ من ذلك وقد نقل العلامة الطحطاوى من علماء الحنفية المتأخرين فى حواشيه على الدر المختار فى كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف فى ذلك قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وسئل القاضى أبو بكر بن العربى احد أئمة المالكية عن رجل قال ان أبا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى اعظم من أن يقال أبوه فى النار وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم أن رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كور رجلا كان أبوه يزن بالمنافية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له ما حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمنافية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبى صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تلى لى شيأ ما بقيت وعزله عن الدواوين وقد أطنب الجلال السيوطى رضى الله عنه فى الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته فى ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا فى نجاة آباء المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فى مسالك الحنفا وقد سنح لى أن أنظم فى هذه المسئلة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت

ان الذى بعث النبى محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف
ولأمه وأبيه حكم شائع * أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذى * آ بانه خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة * أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة * وبنحو ذا فى الذكر آى تعرف
ولبعض أهل الفقه فى تعليله * معنى أرق من النسيم وألطف
ونحا الامام الفخر رازى الورى * منحى به للسامعين تشنف
اذهم على الفطر الذى ولدوا ولم * يظهر عناد منهم وتخلف
قال الألى ولدوا النبى المصطفى * كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لأبيه عبد الله ما * فيهم أخو شرك ولا مستنكف

فالمشركون

فالمشركون كما بسورة توبة * نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب * في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في * أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه * وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهلية فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة * للاشعري وما سواه مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما * في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما * ورأت من الآيات مالا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه * أبويه حتى آمنا لاتحرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * في ذاك لكن الحديث مضعف
هذي مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته * أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الاله على النبي محمد * ماجدد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * أو في رضاه يدوم لا يتوقف

﴿باب في وفاة جده عبد المطلب ووصيته لأبي طالب﴾

كان جده عبد المطلب هو الكافل له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك ثم توفي وكانت وفاة جده وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفي مائة وثمانين سنة وقيل مائة وعشرة وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصي ولما حضرته الوفاة أوصى به الى عمه شقيق أبيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا وحين أوصى به جده لأبي طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه أحدا من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه بأحسن الطعام وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما فخرجت القرعة لأبي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من

شفقته عليه وموالاته له وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب فى كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة فى الكتب القديمة فهى من علامات نبوته ففى خبر سيف ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا قال بعضهم لم يبك على أحد بعد موته مابكى على عبد المطلب وكان صلى الله عليه وسلم يمشى خلف سريره و يبكى وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

أعينىّ جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمقتصر
على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتى ابنى فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب أى القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أى جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان أول بكرة النهار شيأ يأكلونه فيجلسون و ينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافى ماقبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر فى البكرة الذى يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة ألوانهم و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه فى أنعم عيش لطفا من الله به قالت ام أيمن مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا فى صغره ولا فى كبره وكان يغدو واذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا فى بعض الاوقات فلا ينافى ماسبق وكان يوضع لابى طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخى ليحس بنعيم أى بشرف عظيم وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه و يخرج به متى خرج *وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا لمناة الثالثة الاخرى

فقال

فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل قالوا كأنك عنيت أبا طالب فقال أيها فقاموا بأجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام اى أشار بأصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجئ وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق ودق الوادي أي أمطر وكثر قطره وأخصب النادي والبادي وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالأوا على أذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده و بركته عليهم من صغره

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابي حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضد صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا في الحال فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال أعني قوله وأبيض يستسقى البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتا لأبي طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى الجدب والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بأن أبا طالب منشئ البيت وأول القصيدة

ولما رأيت القوم لا ود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول
أعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم * تكونوا كما كانت أحاديث وائل

أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق فى الدين مالم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق لبر فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال الزرقانى وما أحلى قوله فى ختامها عن ابن اسحاق

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش * يوالى الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجئ بسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة * تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

قال الامام عبد الواحد السفاقسى فى شرح البخارى ان فى شعر أبى طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها الاستسقاء به فى صغره ومعرفة أبى طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت فى كثير من الاخبار زيادة على أخذها من شعره وتمسك بها الشيعة فى انه كان مسلما وألف على بن حمزة البصرى الرافضى جزأ جمع فيه شعر أبى طالب وقال انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم أنه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ فى سبهم والرد عليهم قال الحافظ بن حجر قد أكثر فى هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبى طالب ولا يثبت شئ من ذلك واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه والحاصل أن مذهب أهل السنة من المذاهب الاربعة عدم اسلامه وانقياده على حسب ما نطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبى بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهرى روى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة ياعم قل لا اله الا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة وفى رواية أحاج وفى رواية أشهد لك بها عند الله وفى رواية يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن أخى لولا مخافة قول قريش انى انما قلتها اجزاعا من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها الا لاسرك بها وجاء فى بعض الروايات عند غير البخارى فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر اليه العباس

فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفي رواية قال العباس انه أسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن أجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بأن شهادة العباس لأبي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم مع أن الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد أثبتت لابي طالب الوفاة على الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد ابن المسيب عن أبيه ان أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقوله هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم أن المحققين على نجاة عبد المطلب لانه أراد حكاية ظاهر الحال لهم مع أن عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله ايضا في أبي طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفي رواية لولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار قال الزرقاني لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسئل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ ابن حجر لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن أنه لا يصح وروى أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبي الآية وفي رواية لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه زاد في رواية حتى يسيل على قدميه قال البيهقي ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين

فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه أبي طالب ويؤخذ من الحديث أنه يجوز أن الله يضع عن بعض الكافر بن بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع قال السهيلي ان أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته مخيرا ناصرا له الا أنه كان مثبتا لقدميه على ملة قريش حتى قال عند الموت انه على ذلك فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على تلك الملة فيكون من مشاكلة الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط المستقيم قال القرافي في قوله السابق * لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا * ولا يعني بقول الاباطل * تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول انى لاعلم أن مايقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره من هذا النحو كثير كقوله حين اجتمعت قريش وجاؤه بعمارة بن الوليد وقالوا له خذه بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمدا نقتله فقال ما أنصفتموني يامعشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ثم قال

والله ان يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة أو حذار ملامة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وروى أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ يعنون القتل للنبي صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم فاخبروه بما جاؤا له فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فاخبره بمرادهم وقال يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك أعط سادات قومك ماسألوك فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان أعطيتكم ماسألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لنعطيكها وعشرا معها فما هي قال تقولوا لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم وقالوا يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجيب فأنزل الله ص والقرآن ذي الذكر الآيات وفي رواية قالوا يسع لحاجاتنا جميعا اله واحد سلنا غير هذه الكلمة وقال أبو طالب يا ابن أخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها قال ياعم ما أنا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ماسألتكم غيرها فقال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيأ مماتريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى

يحكم الله بينكم وبينه ثم قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا وفي رواية لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن الذي يأمرك بهذا وقال أبو طالب عند ذلك والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا أي أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أي عم فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخي لولا مخافة السب عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن يظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لأقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكني أموت على ملة الاشياخ فأنزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الآية وفي رواية ان أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله فقال يا ابن أخي قد علمت انك صادق لكني اكره أن يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة أخرى عند أبي طالب فأوصاهم أبو طالب فقال يا معشر العرب أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم فان في صلة الرحم منسأة أي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما اشرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وأوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفي رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه وترشدوا قال الزرقاني فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ومع ذلك سبق فيه قدر القهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار ولهذا الحب الطبيعي كان أهون أهل النار عذابا

كما فى صحيح مسلم والحاصل أن ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كلها تدل على أنه مات على كفره وانه كان عنده تصديق بالنبى صلى الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واسلام فلم ينفعه تصديقه واما حديث العباس رضى الله عنه الذى فيه أنه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص وقالت الشيعة باسلامه تمسكا بذلك الحديث وبكثير من أشعاره لكن مذهب أهل السنة على خلافه ونقل الشيخ السحيمى فى شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الامام الشعرانى والسبكى وجماعة أن ذلك الحديث أعنى حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصح عندهم اسلامه وان الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفارا الا انه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم كما تقدم نظيره فى حديث الذى قال ابن أبى وأيضا لو ظهر لهم اسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبى صلى الله عليه وسلم ولما تمكن من حمايته والدفع عنه فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وانجاه فى باطن الامر لكثرة نصرته للنبى صلى الله عليه وسلم وحمايته له ومدافعته عنه ولكن هذا القول أعنى القول باسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغى التكلم به بين العوام بل لا ينبغى كثرة الخوض فى شانه وانما يفوض الامر فيه الى الله تعالى فانه أعلم للعبد قال فى السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوى لابن القيم وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما فى ذلك من المصالح التى تبدو لمن تأملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تأخر اسلام من أسلم منهم ولو أسلم أبو طالب وبادر أقرباؤه وبنو عمه الى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم أن ذلك انما هو على بصيرة صادقة ويقين ثابت ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم من الاذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى أن بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبى صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكى لا تبكى يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت منى قريش شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت واتفق أن ابن الغيطلة سب النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبأ أبو عتبة يعنى أبا لهب فأقبلت قريش على أبى لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقته وفى لفظ قالوا له أصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن اخى أن يضام حتى يمضى لما يريد

قالوا قد أحسنت وأجلت ووصلت الرحم فمكث صلى الله عليه وسلم أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الى أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبي معيط الى أبي لهب فقالا له أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك يزعم أنه فى النار فقال أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم أنه فى النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفى رواية من مات على عبادة غير الله فهو فى النار فترك أبو لهب نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وحمايته وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى وانه مات فى الفترة أو انه كان موحدا وانما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لانهم كانوا يعتقدون انهم على ما كان عليه عبد المطلب ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سببا لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الاصنام فاللائق بالمقام أن يجعل الكلام عاما وأن يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير أن يفصل لهم ويظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لان ذلك أبلغ فى تنفيرهم ومن تأمل اجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفى رواية من مات على عبادة غير الله فهو فى النار وجاء فى رواية من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل أنها من تصرف الرواة ويحتمل أنها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب فى النار وهكذا كانت عادته صلى الله عليه وسلم فى اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به وبفهمه وعقله ويأتي بالكلام محتملا يتحرى الصدق ومن تأمل الحديث السابق فى سؤال الرجل الذى قال له اين أبي يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شئ من أمثاله فالنبى صلى الله عليه وسلم كان أعقل العالمين وأعلمهم فخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة أبي طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام اليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه الى ذكر الكلام على أبي طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله أعلم ﴿ومن الارهاصات﴾ التى ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير أنه كان مع عمه أبي طالب بذى المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه أبو طالب فشكى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى قد عطشت فأهوى بعقبه الى الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ قال أبو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه فى ذلك السفر عمه الزبير فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الارض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان

لهذا الغلام شأنا وفي السيرة الهشامية أن رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشأم فصب به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفي رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أي لزمه وقبض عليه وفي رواية مسك بزمام ناقة أبي طالب وقال يا عم الى من تكلني لا أب لي ولا أم فأخذه معه وأردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حي لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي أي النبي المنتظر بدليل قوله ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة أن يموت أبوه وأمه حامل به وأن تموت أمه وهو صغير قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أي النبي الذي يبعث لهذه الأمة الاخيرة لان ماذكر علامته في الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ألا تسمع ما يقول قال أي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو سرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم أني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يابحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيف وقد احببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة فلما

نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي
يجدها عنده ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها تخلفت على رأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف أحد
عن طعامك ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا
الغلام معكم فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني أراه من أنفسكم فقال القوم
هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب
وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه
مع القوم وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر رضي الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا
مشكل من حيث انه أصغر من النبي صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من
احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى
أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من
طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك
عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما وقال في الشفاء انه
اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى شيأ فوالله
ما أبغض شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عما بدا لك
فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ثم كشف عن ظهره
فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا
الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال
ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه
قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت
فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا
فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وروينا عن آبائنا واعلم أني قد أديت
اليك النصيحة فأسرع به الى بلده وفي رواية لما قال له ابن أخي قال له بحيرا أشفيق عليه
انت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشأم أي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشأم
الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان
الامر كما وصفت فهو في حصن من الله ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة من طلب التوقي
فبعثه عمه مع بعض غلمانه وفي رواية فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة وفي رواية ان
بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ
من قريش ما أعلمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا

ولا يسجد الا لنبي وأن الغمامة صارت تظله دونهم وانى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه وفي رواية أن سبعة من الروم عرفوه صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فردهم بحيرا وقال لهم افرأيتم امرا أراد الله ان يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه أبو بكر و بلال فقيل ان هذه الزيادة خطأ وقيل انها صحيحة وان بلالا كان مع أمية بن خلف في تلك العير وكذا كان في العير أبو بكر رضي الله عنه مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لقاربتهما له في السن وجاء في بعض الروايات حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصرى من أرض الشأم وفي ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الذي في ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الأمة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم الا محمد أي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى الا النبي الهاشمي" قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون سفر أبي بكر رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم في سفرة أخرى وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة وأن ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة واختلف العلماء في بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون في الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة و بحيرا هذا غير بحيرا الذي قدم من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فان ذلك صحابي " روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في التحذير من شرب الخمر وقد حفظ الله النبي صلى الله عليه وسلم مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم تنزها من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال وأفضل قومه مروءة واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واكثرهم حلما وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الجيدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة (فمن ذلك) ما ذكره في السيرة الحلبية عن ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني اى رأيت نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم اى من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة لم تكن وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته علي " ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري علي " من بين اصحابي و وقع له مثل ذلك عند اصلاح أبي طالب بئر زمزم فعن ابن اسحاق وصححه أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ

ازاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتانى آت عليه ثياب بيض فقال لى استتر فما رؤيت عورته من يومئذ و وقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبة ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بالنبوة الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل من فعلهما قلت لفتى كان معى من قريش بأعلا مكة فى غنم لأهله يرعاها وفى رواية قلت لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت من هذا قالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عيناى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال ما فعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن أم ايمن قالت كانوا فى الجاهلية يعملون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك اى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه و رأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب و جعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك فقال انى أخشى أن يكون بى لمم اى لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم منها اى من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم ﴿ومن ذلك﴾ ما روته عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها الماء من السماء وأنبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله قال فما ذقت شيأ ذبح على النصب اى الاصنام حتى أكرمنى الله تعالى برسالته اى فكان ما سمعه من زيد سببا لتركه ما ذبح على الاصنام اى مؤكدا لما عنده فلا ينافى أن السبب الاصلى حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية و زيد بن عمرو هذا كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وكان يحييها اى اذا أراد أحد ذلك اخذ الموؤدة من أبيها او كفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم و يسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم يوما يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت و بلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال انه يبعث

يوم القيامة أمة وحده اى يقوم مقام جماعة و زيد بن عمرو بن نفيل رابع أربعة تركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان حتى أن قريشا كانوا يوما فى عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه و يطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعة لبعض تعلمون والله ما قومكم على شئ لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأحجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الاربعة هم زيد بن عمرو بن نفيل و ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخى الخطاب والد سيدنا عمر رضى الله عنه ولم يدرك البعثة وكذا ورقة بن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة ايضا وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فأدرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك ومات على نصرانيته وهو الذى كان متزوجا بأم حبيبة بنت أبى سفيان قبل النبى صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى حتى أن عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم و يسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء يروى أنه قال لعامر بن ربيعة أنا انتظر نبيا من ولد اسماعيل ولا أرى انى أدركه وانا أؤمن به واصدقه واشهد أنه نبى وان طالت بك حياة فرأيته فسلم منى عليه قال عامر فلما أسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم اسلام عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اى شجرتين عظيمتين ﴿ومن ذلك﴾ ما روى عن على رضى الله عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا ومازلت أعرف أن الذى هم عليه كفر وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الايمان اى كيفية الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاصنام وبغض الى الشعر

﴿باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم﴾

لزيادة الرحمة فى قلبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث

الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يارسول الله قال وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط
اى وهى من اجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة وقيل القراريط هنا اسم
موضع بمكة وفى رواية باقراريط بأجياد فالاول لبيان الاجرة والثانى لبيان المكان ومن
حكمة الله أن الرجل اذا استرعى الغنم التى هى أصعب البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا
انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون
فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم عند النبى صلى الله عليه
وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم
وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وانا راعى غنم اهلى بأجياد وهو موضع بأسفل مكة من
شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال فى الغنم منها معاشنا
وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية منها معاش وصوفها رياش وفى الحديث
الفخر والخيلاء فى أصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم وعن جابر رضى الله عنه
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث وهو النضيج من ثمر الاراك فقال صلى الله
عليه وسلم عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فانى كنت أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا
وكنت ترعى الغنم يارسول الله قال نعم وما من نبى الا وقد رعاها ولا ينبغى لاحد غير برعاية الغنم
أن يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كمال فى حق
الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى ذلك فى كل ما يكون
كمالا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمى فقال كان النبى
صلى الله عليه وسلم أميا أدب * وحضر النبى صلى الله عليه وسلم حرب الفجار وكان له من
العمر أربع عشرة سنة وكان يقول حضرته مع عمومتى ورميت فيه باسهم وما أحب انى لم أكن
فعلت وقيل لم يرم وانما كان يناول عمومته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفارى كان له
مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن
زعم انه أعز منى فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها
وقيل جرحه فقط فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجئ هزمت كنانة فقالوا لا أبا لك لا تغب عنا ففعل
ذلك ويروى انه صلى الله عليه وسلم طعن فى تلك الحروب أبا براء ملاعب الاسنة وكان
رئيس بنى قيس وحامل رايتهم والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم وسميت حرب الفجار
لان العرب فجرت فيه لانه وقع فى الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول وثم حروب تسمى حرب
الفجار غيره وكلها أربعة وفى اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا امية بن عبد
شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أى الاسود وحرب والد أبى
سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتى ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ

فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمي وقيل كان الى حرب بن أمية والد أبي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره وهو ابن عمه فضن أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعروا الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وقيل ودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند أم معاوية زوج أبي سفيان رضي الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق أي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار واول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تيم في حياته كأهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا يعللان به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الوفاء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أجحره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية بعد ان كان مغرما بها وسبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يده و يقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف لا يشرب بها أبدا وممن حرمها على نفسه فى الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحى وقال لا أشرب شيأ يذهب عقلى و يضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على ان أنكح كريمتى من لا أريد فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام و يقرى الضيف و يفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا من مسلم وكان يكنى أبا زهير وقال صلى الله عليه وسلم فى اسرى بدر لو كان أبو زهير حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبى صلى الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبى صلى الله عليه وسلم أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى صكة عمى أى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى فيعقل عنه أبوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أى رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك موتى ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيأ فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام مكتوبا عليه انا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها و باطنها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى أبيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز و يطعم الناس و يفعل المعروف وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما زاد بعضهم ما بل بحر صوفة وما رسى حراء وثبير مكانهما والمراد الابد وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ما أحب ان لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم أى الابل وانى أغدر به

بالغين المعجمة والدال المهملة أى لا أحب الغدر به وان أعطيت حمر الابل فى ذلك وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لأجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لأجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع فى بعض الروايات أنه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لان حلف المطيبين كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم لانه وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنى زهرة وبنى أسد بن عبد العزى وبنى تيم وبنى الحارث بن فهر وهم المطيبون مع بنى عمهم عبد الدار بن قصى واحلافهم بنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وبنى عدى ويقال لهم الاحلاف وأجيب أن الذين تعاقدوا فى حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الاول وأطلق عليه أنه هو والسبب فى هذا الحلف أعنى حلف الفضول الواقع فى دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل السهمى وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف بنى عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصى وانتهروه أى أظهروا له الشر فرقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر

ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى العاصى بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه وذكر السهيلى أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فنزعها منى قسرا فساروا اليه فقالوا ردها فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا والله ولا شخب لقحة اى مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم وفى سيرة الحافظ الدمياطى قال كان بين الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان منازعة فى مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدعون لحلف الفضول اى لحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير لانه كان اذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من

حقه حتى رضى والله أعلم

باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها

وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له يا ابن أخى
أنا رجل لا مال لى وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة
وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها
ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن
تأتى الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل
الىّ فى ذلك فقال أبو طالب انى أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة
ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم اخلاقه فقالت
ما علمت أنه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك
وعظم أمانتك وكرم اخلاقك وأنا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك فذكر ذلك صلى
الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضى
الله عنها فى تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به
أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف
ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش وكانت تستأجر الرجال
وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشئ
فسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا
الراهب فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه
الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال لهم الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة بعد
عيسى عليه السلام الا نبى وفى رواية أن الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف
العلامات الدالة على نبوته المذكورة فى الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبل رأسه وقدميه وقال
آمنت بك وأنا اشهد انك الذى ذكره الله فى التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفى رواية قال
يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة
خلا خصلة واحدة فأوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله
ويقول أشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدى تحت
هذه الشجرة الا النبى الامى الهاشمى العربى المكى صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد
ولا بعد فى بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليهما وسلم لاحتمال أن بقاءها
معجزة اوأنها كانت شجرة زيتون لأن شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضا
أن الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه وسلم أو المراد ينزل تحتها فيميل

ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفي رواية قال لميسرة أفي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا
قال هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر
صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف في
سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك
ثم قال الرجل لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده انه الذي تجده احبارنا منعوتا في كتبهم
فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في
الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية اى غرفة عالية لها رأت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلانه رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها
فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة
أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي
حالفه في البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له
ما كانت سمته له وفي رواية باعوا امتاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة
يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سفرة ما رأينا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك وقبل
أن يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده
على أخفافهما وعوذهما فانطلقا في أول الركب ولهما رغاء وألقى الله محبة النبي صلى الله
عليه وسلم في قلب ميسرة حتى كأنه عبده ولما بلغوا مر الظهران أمره النبي صلى الله عليه
وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها وفي رؤية ميسرة للملائكة
الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه
السلام لجمع من الصحابة رضي الله عنهم قال الغزالي في كتابه المسمى المنقذ من الضلالة ان
الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم
العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما
وعملا مستمرا نقله الحلبي في السيرة وذكر فيها أن خديجة رضي الله عنها استأجرت النبي
صلى الله عليه وسلم أيضا سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين وهو موضع باليمن
وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد أنه صلى الله عليه وسلم سافر لها سفرات
﴿وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوما﴾ وكانت تدعى في
الجاهلية والاسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضا سيدة نساء قريش وكانت
تحت النباش ويكنى بأبي هالة بن زرارة التميمي ومات في الجاهلية وكانت ولدت له هند
ابن أبي هالة وهو من الصحابة رضي الله عنه كان يروي عنه الحسن بن علي رضي الله عنه ويقول

حدثتني خالي لانه أخو فاطمة رضي الله عنها لأمها وقتل رضي الله عنه مع علي يوم الجمل وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمى هالة فهند وهالة ذكران ثم بعد موت أبي هالة تزوجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتا اسمها هند أسلمت وصحبت النبي صلى الله عليه وسلم ولم تروشيأ وقيل ان عتيقا تزوجها قبل النباش وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخر وكانت عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك * وعن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فأرسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشأم فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت اليه ان ائت لساعة كذا وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وقد ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة فان محمدا نبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحاق أنه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رأته هي قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك الا هذا فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد أو عمرو وللنبي صلى الله عليه وسلم فرضي وأصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية وقيل على أربعمائة دينار وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضي الله عنه ذلك العقد فقال أبو طالب الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله

بعد هذا النبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا على يا معشر قريش انى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبى صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذى أنكحها عمها عمرو بن أسد وان أباها خويلد مات قبل حرب الفجار قيل لما تزوجها صلى الله عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهى أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفى رواية أمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك يحر بكرا من بكراتك وأطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فأقر الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل أن تتزوج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت بأبى أنت وأمى ما أفعل هذا الشئ ولكن ارجو أن تكون أنت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندى ما لا أضيعه أبدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء

وأتاها أن الغمامة والسرح أظلته منهما أفياء

وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

فدعته الى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة ﴿وحضر﴾ صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وذلك انه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق أصابها بسبب أن امرأة بخرتها فطارت شرارة فى باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما أرادوا ان يضعوا الحجر الاسود واختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه فى ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفى رواية أنهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بنى شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر فى وسطه وأمر كل فخذ من قبائل قريش ان يأخذ بطائفة

من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحاق ان الذى أشار لهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومى أخو الوليد بن المغيرة واسم ابى أمية حذيفة وكان أسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبى أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفى كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله

ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حاسد
ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

وذكر السهيلى أن ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته يامعشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى اسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحضر صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من أجياد وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ونودى يامحمد غط عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقى بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما قتله الحجاج ردها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن ﴿فائدة﴾ لما حوصر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه أناس ثم اشتد الامر عليهم فانصرفوا وأخذوا الأنفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه الا عبد الله بن صفوان بن أمية فقاتل معه أشد القتال فأذن له عبد الله فى الانصراف وان يأخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فأبى وقال انى أقاتل على دينى فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متعلق بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضى الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضى الله عنه

﴿باب ماجاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وصفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما * قال ابن اسحاق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به

الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها وفى هذا تصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده * فأما أخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة رضى الله عنه وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الاشهل فذكر عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به ويود الشخص أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه اى وينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أى ذلك اليهودى بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذى قلت لنا ما قلت قال بلى ولكن ليس به ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية أى تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء وهى قرية بين المدينة والشام فقلت انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه اله فيخرج فيأتى بأربعة أحجار فيعين ثلاثة لقدره أى يستنجى بها ويجعل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو أحسن منه تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلنى على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتى بأفضل الدين فلم يكن لى همة منذ قال لى ذلك الا مكة آتى فأسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لى حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتى برحلها ثم قدمت منزلى الذى كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته اى شئ أنت قال نبى قلت من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادته وحده لا شريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرنى أن امكث معك او أنصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث معى كن فى أهلك فاذا سمعت بى قد خرجت مخرجا فاتبعنى فكنت فى أهلى حتى خرج الى المدينة فسرت اليه وقلت يا نبى الله أتعرفنى قال نعم أنت السلمى الذى أتيتنى بمكة ﴿ومن ذلك﴾ ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه

قالوا

قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله اناوهداه مانسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا انا قد تقارب زمان نبى يبعث لان نقتلكم قتل عاد وارم اى نستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففى ذلك نزلت هذه الآية فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴿ومن ذلك﴾ ماحدث به شيخ من بنى قريظة أن رجلا من يهود من اهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا فوالله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضل منه اى لا نظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه لان المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أى حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسق لنا فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة اى لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل اكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أهل الخمر بالتحريك الشجر الملتف الى أرض البؤس والجوع فقلنا أنت أعلم قال انما قدمت هذه الارض أتوكف اى أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه اى أقبل وقرب كأنه لقرب به أظلهم اى ألقى عليهم ظله وهذه البلاد مهاجره وكنت ارجو أن يبعث فاتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال لهم نفر من هذيل اخوة بنى قريظة وهم ثعلبة بن سعيد وأسد بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا شبانا احداثا يا بنى قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم ﴿ومن ذلك﴾ خبر العباس رضى الله عنه قال خرجت فى تجارة الى اليمن فى ركب فيه أبو سفيان ابن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبى سفيان ان محمدا قائم فى أبطح يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك فى مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم فخشيت من أبى سفيان أن يكذبنى ويرد على فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل فى كداء أى بالفتح والمد فقلت ما تقول قال كلمة جاءت على فى الا انى أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع

على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اى والله انى لأذكرها ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن أمية بن أبى الصلت الثقفى قال لأبى سفيان انى لاجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت أظن انى هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لى أنه من بنى عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا أنه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت أنه غيره قال أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لأمية فقال أمية اما أنه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت أخبرهن أنى هو فكيف الآن أتبع فتى من بنى عبد مناف ﴿وأما أخبار الرهبان﴾ من النصارى فمنها ما تقدم ذكره ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل فيكم أحد من اهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه اى يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ماقال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر رضى الله عنه فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدهما فى حبل فلذلك سميا القرينين ﴿ومنها﴾ ماحدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشأم فمكث سنة ثم قدم فأول شئ سأل عنه ان قال مافعل محمد فقال له عمى عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية اى أشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة اى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هنالك يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال كم منذ خرج فقلت عشرون سنة فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطا فى صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الأمة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال اقرأ لى عليه السلام وكان ذلك فى زمن الحديبية لانها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب ﴿ومنها﴾ ماحدث به حكيم بن حزام رضى الله عنه قال دخلنا الشأم لتجارة قبل أن اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من اى العرب أنتم من هذا الذى يزعم أنه نبى قال فقلت يجمعنى واياه الجد الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما سألتكم عنه فقلنا نعم فقال هل أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل

قال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم النبي مرسل فاتبعوه ولوددت أني عنده فأشرب غسالة قدميه ﴿ووقع﴾ نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبي بكر رضي الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبي بكر فقال هل تعرفون الذي أخذ بعقبه قلنا هو أبو بكر فقال هل تعرفون الذي أخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد ان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذا هو الخليفة من بعده ﴿ومنها﴾ ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وشد الياء وفي افظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي افظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبي فمن أصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبير اهل قريته وكنت أحب خلق الله الى أبي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي قاطنها يعني خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو أي تطفأ ساعة وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل عنها في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم فاذهب الى الضيعة وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني فان احتبست عني كنت أهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري فخرجت أريد ضيعته التي أمرني بها أو يعني الهافمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي اياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أي بني أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيته من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخافني أن أهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى قلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فأخبروني بهم فأخبروني فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك

وأتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم
فيها فاذا جمعوا اليه شيأ منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من
ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت
لهم ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط
المساكين منها شيأ فقالوا لى وما علمك بذلك فقلت أنا ادلكم على كنزه فأريتهم موضعه
فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف أردب
فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع أن
هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع
اهل كل ملة على أن الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا
عليه من الدنيا التى حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب
الشعرانى رحمه الله ومن قواعد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون ذهبا ولا فضة
وقال رأيت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب اى الملوك فلم يرض وقال النظر
الى الدينار منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من
الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا انه قد أمر بوطء على
عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان
وعند ذلك جاؤا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى أنه افضل منه
اى لا أظن احدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب
ليلا ونهارا فأحببته حبا شديدا لم أحبه شيأ قبله فأقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له
يا فلان انى كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيأ قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى
من توصى بى قال اى بنى والله ما أعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا
اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت
بصاحب الموصل فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على
أمر صاحبه فأقمت عند خير رجل فلما احتضر قلت يا فلان ان فلانا أوصى بى اليك وأمرنى
باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال يا بنى والله ما اعلم
رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب
نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على أمر
صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله مالبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا
أوصى بى الى فلان ثم ان فلانا أوصى بى اليك فالى من توصى بى والى من تأمرنى فقال يا بنى والله
ما أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل
ما نحن عليه فان أحببت فأته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبرى فقال أقم

عندى فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لى بقرات وغنيمة
ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فأوصى بى الى فلان
ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرنى فقال اى بنى والله
ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل اى أقبل وقرب
زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل له
علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك
البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين
عيسى عليه السلام أربعة وفى كلام السهيلى أنهم ثلاثون وقيل أربعة وعشرون قال سلمان
ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنمى
هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها فحملونى حتى اذا بلغوا بى وادى القرى وهو محل من أعمال
المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون
البلد الذى وصف لى صاحبى ولم أتحقق ذلك فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة
من المدينة فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها أى تحققتها بصفة
صاحبى فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع
ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى عذق اى نخل لسيدى أعمل فيه بعض
العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة أى
وهم الاوس والخزرج لان قيلة أمهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة
اليوم يزعمون أنه نبى قال سلمان فلما سمعتها أخذتنى العرواء وهى الحمى النافض حتى ظننت
أنى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدى
ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لاشئ انما أردت ان أستثبته
فيما قال قال سلمان وقد كان عندى شئ جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما
أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له
انى قد بلغنى انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة
فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا
وامسك يده فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحدة اى من العلامات أعنى كونه لا يأكل الصدقة
قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة فجئته
فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل
عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم

ثم أتيته وهو جالس مع أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله عنهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ذلك اى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله صلى الله عليك وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربى الفصيح وهذا الذى قدمه سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم صرح فى بعض الروايات بأنه سأل سيده أن يهب له شيأ فوهبه له فجاء به للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يشكل ذلك بأنه مملوك لا ملك له ثم أسلم سلمان وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان صاحبك قال فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة ودية وهى الصغيرة أحييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف اى الحفر أى احفر لها واغرسها بتلك الحفر وتصريحية وأتعهدها الى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقر أى احفر لها فاذا فرغت فأتنى أكن انا أضعها بيدى قال ففقرت لها وأعاننى اصحابى حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فخرج معى اليها فجعلنا نقرب اليه الودى فيضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة وفى رواية فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله عنه فأطعم النخل كله الا تلك النخلة التى غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان بيده قال الحلبى يحتمل أن كلا من عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر واشترك فى غرسها قال سلمان فأديت النخل وبقى على المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة اى بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب فقال ما فعل الفارسى فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما على فقلبها على لسانه صلى الله عليه وسلم ثم قال

خذه فان الله سيؤدي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقي عندي مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

وو في قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * أن عرته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل أن يعتق اى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل شغل عما قبله بالرق ووقع في بعض الروايات في قصة سلمان زيادة ونقص والذي تقدم هو أصح الروايات قال الحلبي في السيرة ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجري عليك رزقك فقال انى أحب ان آكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم ولحمه ودعا المجذومين فأكلوا معه (وأما أخبار الكهان) لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفي أيام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج * والارض ذات الادراج * والريح ذات العجاج * ان هذا الامر آج * ولقاح ذات نتاج * قالوا وما نتاجه قال ظهر نبي صادق بكتاب ناطق * وحسام فالق * قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح * ويعطل القداح * وينهى عن الراح والسفاح * وعن الأمور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم * حافر زمزم * وعزه سرمد * وخصمه مكمد (ومنها) خبر قس بن ساعدة الايادي وهو أول من قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول ايها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا * من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * مهاد موضوع * وسقف مرفوع * ونجوم تمور * وبحار لا تغور * أقسم قس قسما حاتما لئن كان الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون * أرضوا بالمقام فقاموا * أم تركوا هناك فناموا * ثم قال صلى الله عليه وسلم

أيكم يروى قوله فأنشدوه

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى من ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا كنت بين يدي القوم أقفو أثره كان من أسباط العرب عمر سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أول من ترك عبادة الاصنام من العرب وأول من قال أما بعد وأول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر رضي الله عنه فاني أحفظه يا رسول الله كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا * واذا وعيتم فانتفعوا * من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * مطر ونبات * وأرزاق وأقوات * وآباء وأمهات * وأحياء وأموات * وجمع وأشتات * وآيات بعد آيات * ان في السماء لخبرا * وفي الارض لعبرا * ليل داج * وسماء ذات أبراج * وأرض ذات فجاج * وبحار ذات امواج * مالي أرى الناس يذهبون * فلا يرجعون * ارضوا بالمقام فقاموا * أم تركوا هناك فناموا * اقسم قس قسما حاتما * لا حانثا فيه ولا آثما * ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخاليه والقرون الماضيه يا معشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة

الشداد أين من بنى وشيد و زخرف ونجد وغرّه المال والولد أين من طغى وتمرد وبغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة وفى رواية زيادة أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلمحة عين وفى رواية قال فى خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا قال رجل أبلج أحور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت انى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة يقوى بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزى ببطلان هذا الحديث ثم ان بعض طرقه يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حافظا لكلامه و بعضها على أنه نسى فيحتمل أنه كان ناسيا ثم لما ذكره أبو بكر رضى الله عنه أو غيره تذكره فرواه بعد ذلك واختلاف رواياته قد تدل على تعدد مجىء وفد عبد القيس ففى كل مرة تذكر واشياء وقد جاء فى الحديث رحم الله قسا انه كان على دين اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل انه أدرك الحواريين وكان على دين عيسى عليه السلام ومن شعره

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا * خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلبا فى الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله

شهدت بأن الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عنى رسالة * بأنى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة ﴿ومن ذلك﴾ خبر نافع الجرشى نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير وتسمى به بلادهم أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ﴿وألحق﴾ بعضهم بهذا الباب ما نقل عن تبع من ذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فى أشعاره يروى أن

الانصار شكوا الى تبع ما يلقون من اليهود من الاذى فأراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معه من علماء اليهود الملك أجل من أن يطرقه مفرق أو يستخفه غضب وامره أعظم من أن يضيق حلمه أو يتخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله

شهدت على أحمد أنه * نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور * وأمته هي خير الامم

ومن ذلك قوله أيضا

ويأتي بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمدا ياليت أني * أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذي منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع في رواية أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسماعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وأن منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها ولما قال له شامول ماذكر وقص القصة كان معه أحبار قالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه او أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فسكنوا بالمدينة وأعد دارا للنبي صلى الله عليه وسلم قيل هي دار أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه التي نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فما نزل الا في داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبي صلى الله عليه وسلم فصاروا يتوارثونه ويستحفظون عليه حتى بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فاخرجوه اليه والقصة مبسوطة في الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودي رحمه الله وسيأتي التعرض لها مع زيادة على ما هنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في دار أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه ﴿وألحق بذلك﴾ بعضهم أخبار كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعني يوم الجمعة ويذكر في خطبته النبي صلى الله عليه وسلم ويبشر به فمن ذلك قوله أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ونهار وهاج والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم اعلام الى أن قال حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وأنشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها

منونان بالاحداث حين تناوبا * وبالنعم الضافى علينا سرورها
على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

﴿ومن ذلك﴾ خبر سفيان بن مجاشع التميمى جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومة ديات فخرج لحى من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من حالاه والموفور من والاه والموتور من عالاه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤس ورابض شموس وماحن بؤس وماهد رغوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو فقالت نبى مؤيد قد أتى حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله أبوك أعربى أم عجمى فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فأمسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء أن يكون هو النبى المذكور وهو أحد من تسمى باسم النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وتقدمت قصة سيف ذى يزن أحد ملوك اليمن وكلامه مع عبد المطلب وبشارته بالنبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لعبد المطلب ايضا أشهد أن فى احدى يديك ملكا وفى الأخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية ﴿ومن ذلك﴾ خبر زيد بن عمرو بن نفيل أنه لقى راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان فى ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج فى أرضك أو هو خارج نبى يدعو اليه فارجع اليه فصدقه فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فقال ياعم مالى أرى قومك قد أبغضوك فقال أما والله ان ذلك لغير نائرة منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم أنه هو النبى الموعود به ﴿ومن ذلك﴾ ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميرى وكان شيخا كبيرا وكنت أنزل عليه اذا جئت اليمن فسألنى مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكانى فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لى انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة الا أبشرك ببشارة هى خير لك من التجارة قلت بلى قال أنبئك وأبشرك ان الله قد بعث فى الشهر الاول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت عن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرف ولا تباله هو من بنى هاشم وأنتم اخواله ياعبد الرحمن أخف الوقعه وعجل الرجعه ثم امض

و وازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصباح
أنك ذو السر من قريش * يا ابن الفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعى الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضى الله عنها رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا أن ارجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بى وماشاهدنى أولئك من اخوانى حقا ﴿ومن ذلك﴾ خبر مخيريق اليهودى كان عالما حبرا بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا أنه غلبه الف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يامعشر يهود انكم تعلمون أن نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لاسبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه باحد وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع بها ما أراه ثم أسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل النبى صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ﴿ومن ذلك﴾ مارواه كعب الاحبار فى صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من أحبار اليهود فأسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر أخبارا كثيرة فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر رضى الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادى المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بها ثم يقبض ويدفن بها ﴿ومن ذلك﴾ خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبى لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عنده قال أدخلنى عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى قال دحية فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانى قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع

دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان أعظم عندهم مني
وأخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره
واستقصاؤه وما أنكر ذلك منهم من أنكره الا حسدا وبغيا والله الهادى الى سواء السبيل
﴿وأما اخبار الكهان﴾ على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد بن قارب رضى الله عنه
وكان من دوس قوم أبي هريرة رضى الله عنه كان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم أسلم فعن
محمد بن كعب القرظى قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل
فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى أتاه رئيه اى تابعه
من الجن الذى يتراآى له أتاه بظهور النبى صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضى
الله عنه بعد أن قال وهو على المنبر اى منبر النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس فيكم سواد بن
قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجىء الناس للزيارة من الآفاق قال أيها
الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن
قارب فقالوا لعمر رضى الله عنه هذا سواد فأرسل اليه عمر رضى الله عنه فجاء فقال له أنت سواد
ابن قارب قال نعم قال أنت أتاك رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على
ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير
المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم اى ما كنا عليه من عبادة الاصنام
أعظم مما كنت عليه من كهانتك وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى
الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم
وبالاسلام وفى كلام السهيلى أن عمر رضى الله عنه مازح سوادا رضى الله عنه فقال ما فعلت
كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام
وأكل الميتات أفتعيرنى بأمر قد تبت منه فقال عمر رضى الله عنه اللهم غفرا ثم قال يا سواد
حدثنى ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان
اذ أتانى رئيى وضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه
قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم
يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو
الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها

تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضرب بني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتجساسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي حتى أتيت مكة وفي رواية المدينة قال البيهقي والرواية الأولى أصح فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي فقال هات فأنشأت أقول

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤي الفرح في وجوههم وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد قال البراء فرأيت عمر رضي الله عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا وقال يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقاوتهم أن لا يتعظوا الا بأنفسهم وان من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغي لأهل البلاء الا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة ﴿ ومن ذلك ﴾ أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع

من

من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لاتدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه
قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿وأما ما سمع﴾ من جوف الاصنام فكثير أيضا فمنها خبر عباس بن مرداس
رضي الله عنه قال كان لأبيه مرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة
وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أي
بني اعبد ضمارا فانه ينفعك ولا يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار
مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد
أن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ أن عباس بن مرداس كان في
لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال يا عباس ألم تر
الى السماء قد تعب حراسها وأن الحرب قد جرعت أنفاسها وأن الخيل وضعت احلاسها
وأن الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا قال العباس فراعني ذلك فجئت
وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح
من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما
رآني صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال
صدقت وأسلمت أنا وقومي ﴿ومن ذلك﴾ خبر مازن بن الغضوبه قال كنت أسدن اي
أخدم صنما بقرب عمان يدعى سمائل وسمال يقال له باجر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة
فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف
الصنم يقول

يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر
بعث نبي من مضر * بدين الله الاكبر
فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر

قال مازن ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتا منه يقول

أقبل الي أقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل

آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي قال مازن فبينما نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا انبأ ما سمعته فثرت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وقلت

كسرت بادر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ملأ بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيأ على بال
ياراكبا بلغا عمرا وأخوتها * أني لما قال ربي بادر تالي

قال مازن فقلت يارسول الله اني مولع بالطرب اي مغرم به و بشرب الخمر و بالهلوك الفاجرة من النساء التي تتمايل وتتثنى عند جماعها وألحت اي دامت علينا السنون اي أعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد و يأتيني بالحيا و يهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أي الزنا العفة وأته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصب عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر و وهب الله لي حبان يعني ولده وأنشأت أقول

اليك رسول الله خبت مطيتي * تجول الفيافي من عمان الى العرج
لتشفع لي ياخير من وطئ الحصى * فيغفر لي ذنبي وأرجع بالفلج
الى معشر خالفت في الله دينهم * ولا رأيهم رأيي ولا شكلهم شكلي
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابي حتى أذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفا وخشية * و بالعهر احصانا فحصن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي * فلله ما صومي ولله ما حجي *

قال مازن فلما رجعت الى قومي أنبوني اي عنفوني وشتموني ولاموني وأمروا شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما أهجو نفسي فتنحيت عنهم و بنيت مسجدا أتعبد فيه فكان لا يأتي هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا و يدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره الا عوفي ثم ان القوم قدموا وطلبوا مني الرجوع اليهم فأسلموا كلهم ذكره الحلبي في السيرة ﴿وأما ما سمع﴾ من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنا يوما في حي من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيأ يقول يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر

يقال أحمر ذريحي اى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا لانه قد جلح جلده اى كشف عنه جلده

﴿وأما ماسمع﴾ من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل اى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا أيها الراقد فى الليل الاحم * قد بعث الله نبيا بالحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

أدرت طرفى فما رأيت شخصا فأنشأت أقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلم * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج الاقمر والطرف الاحور صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا * خير نبى قد بعث
عليه صلى الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

قال فلاح الصباح واذا بالفنيق اى الفحل الكريم من الابل يشقشق اى يهدر الى النوق فسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب أى تعب فنزلت فى روضة خضراء فاذا أنا بقس ابن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به فى الارض وهو يقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث * عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به واذا بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ما هذان القبران قال هذان قبران لاخوين لى كانا يعبدان الله عز وجل فى هذا المكان لا يشركان بالله

شيأ اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده اى يقوم مقام جماعة ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أمر وحين من أعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكره الواقدى باسناده قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينما هم عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يقول

يا أيها الناس ذوو الاحكام * ومسندو الحكم الى الاصنام
أما ترون ما أرى أمامى * من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبى سيد الانام * من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام * جاء بهدم الكفر بالاسلام

قال أبو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة اى جاءهم ذلك بغتة ﴿وأما خبر﴾ زميل ابن عمرو العذرى فهو أنه قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون اى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول

يا بنى هند بن حرام * ظهر الحق وأودى خمام * أى هلك ورفع منا الشرك الاسلام * قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول

يا طارق يا طارق * بعث النبى الصادق * بوحى ناطق * صدع صدعه بارض تهامه * لناصريه السلامه * ولخاذليه الندامه * هذا الوداع منى الى يوم القيامه * فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها * أكلفها حزنا وقوزا من الرمل
لأنصر خير الناس نصرا مؤزرا * وأعقد حبلا من حبالك فى حبلى
وأشهد أن الله لاشئ غيره * أدين له ما أثقلت قدمى نعلى

﴿ومن هذا النوع خبر تميم الدارى الآتى﴾ ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وقد روى له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثنى تميم الدارى الخ القصة المذكورة فى غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ما ذكر ان أبا بكر رضى الله عنه مر يوما على ابنته عائشة

رضي الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى بن مريم عليهما السلام كان يعلمه أصحابه ويقول لو كان على أحدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطر بن رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك قال أبو بكر رضي الله عنه فكان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته ﴿رجعنا الى خبر تميم الداري﴾ قال رضي الله عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما أخذت مضجعي اذ مناد ينادي عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله قال فقلت أيم أي أي شئ تقول فقال قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت لي دير أيوب فسألت راهبه وأخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة وهو خير الأنبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ماذكر غلط وأن مسيره انما كان الى المدينة بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم ﴿ومن ذلك﴾ ماحدث به سعيد بن جبير رضي الله عنه أن رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لأسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في منامي وبيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء الناقة جاري الانسي فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومامحمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن اذكر له شيأ بما وقع لي ودعاني الى الاسلام فأسلمت ﴿ونظير هذا﴾ ماحدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي فأدركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال * ومنزل الحرام والحلال

ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذى الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاحوال * وفى سهول الارض والجبال
قد صار كيد الجن فى سفال * الا النبى وصالح الاعمال

فقلت له
يا أيها القائل ما تقول * أرشد عندك أم تضليل

فقال
جاء رسول الله ذو الخيرات * جاء بيس وحاميمات
وسور بعد مفصلات * يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام من هنات * قد كن فى الاسلام منكرات

فقلت امانه لو كان لى من يؤدى ابلى هذه الى أهلى لأتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وفى رواية فوافيت الناس فى صلاة الجمعة فبينا أنا أنيخ راحلتى اذ خرج الى أبو ذر فقال لى يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآنى قال فما فعل الرجل وفى رواية ما فعل الشيخ الذى ضمن لك أن يؤدى ابلك أما انه قد أداها سالمة وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهائه بقوله تعالى وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن أى حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أى زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن ﴿ومن ذلك﴾ ما حكاه وائل بن حجر الحضرمى ويكنى أبا هنيدة كان أبوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عز وجل وفى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فلقينى أحد من الصحابة فقال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وأدنانى من نفسه وقرب مجلسى وبسط لى رداءه فأجلسنى عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يارسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فمن الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لى صنم من العقيق فبينا أنا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذى نفع ولا ذى ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمرى

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني قال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلي * محمد النبي خير الرسل

ثم خرالصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت سريعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث ﴿وأما ماسمع من بعض الوحوش﴾ فمنه ماحدث به أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا راع يرعى بالجزيرة اذعرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب و بين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقي الله تحول بيني و بين رزق ساقه الله الي فقال الراعي واعجبا من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق وفي رواية يخبركم بما مضى وما هو كائن بعد كم فساق الراعي شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي أن من أشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اي وهو أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه اي طرفه ويخبره بما فعل أهله وفي لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي أخبرهم فأخبرهم وفي رواية أن راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية أن الذئب قال له أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ما بينك و بينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة ﴿وأما ماسمع من بعض الاشجار﴾ فكثير فمن ذلك ماروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسي فجعلت أنظر اليه وأقول ماهذا فسمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبي يخرج من وقت كذا وكذا فكن أنت أسعد الناس به ﴿وأما أخبار تساقط النجوم﴾ وطرد الجن بها عن استراق السمع وما جاء عن العرب فيه فكثير فمن ذلك خبر ابن اسحاق قال لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها و بين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن أن ذلك لأمر حدث من الله في العباد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وأنا لمسنا السماء اى طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أي ملائكة أقويا يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع أى صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اى أرصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة

منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله اى او يحرق وجهه أو يخبله قبل أن يلقيها للكاهن
وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشئ من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله
عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التى سببها
استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء فى حياته
صلى الله عليه وسلم و بعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان أول العرب
فزعا من الرمى بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى
العرب وأنكرها رأيا اى أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا عمرو ألم
ترأى تعلم ماحدث فى السماء من الرمى بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هى
التى يرمى بها فهو والله طى هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوما غيرها وهى
ثابتة على حالها فهو لأمر أراده الله لهذا الخلق ونبى يبعث فى العرب فقد تحدث بذلك وقوله
معالم النجوم اى النجوم المشهورة التى يهتدى بها فى البر والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء
والصيف * لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول
رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال
لما بعث صلى الله عليه وسلم اى قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا
عبد ياليل بن عمرو الثقفى وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا
أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التى تعرف وهى التى يهتدى بها فى البر
والبحر و يعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهى من حدث فنظروا فاذا
نجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ
فامكثوا الايسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه
نبى مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التى تعرف الخ يؤيده هذا ما جاء فى الحديث
عمار واه سلم أنه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى اهل
السماء ما يوعدون وأنا أمنة لأصحابى فاذ ذهبت أتى اصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لأمتى فاذا
ذهب اصحابى أتى أمتى ما يوعدون ولا منافاة فى سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مرة
عمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل وان كلا منهما كان أعمى و يحتمل اتحاد الواقعة ووقع
الاختلاف فى اسم الذى سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وسماه بعضهم عبد ياليل بن عمرو
وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما كان اليوم اى الوقت الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب ﴿ومن ذلك﴾ خبر أبى لهب أو لهيب بن
مالك وكان من بنى لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة
فقلت بأبى أنت وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك
انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخا كبيرا

قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر * اى قبيل الفجر أخبركم الخبر * بخير أم ضرر * أولأمن أو حذر * قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه أصابه خامره عقابه * عاجله عذابه * أحرقه شهابه * زايله جوابه * ياويله ماحاله * بلبله بلباله * عاوده خباله * تقطعت حباله * وغيرت أحواله * ثم أمسك طويلا ثم قال يامعشر بني قحطان * أخبركم بالحق والبيان * أقسم بالكعبة والاركان * والبلد المؤتمن السدان * قد منع السمع عتاة الجان * بثاقب من ذي سلطان * لاجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان * وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان * فقلنا له ويلك ياخطر انك لتذكر أمرا عظيما فماترى لقومك قال أرى لقومي ما أرى لنفسي * ان يتبعوا خير الانس * برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث بمكة دار الحمس * بمحكم التنزيل غير اللبس * فقلنا له ياخطر ومن هو قال والحياة والعيش * انه لمن قريش مافي حكمه طيش ولا في خلقه هيش * فقلنا بين لنا من أي قريش * فقال والبيت ذي الدعائم * والركن ذي الاحائم * انه لمن نسل هاشم * من معشر أكارم * يبعث بالملاحم * وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان * أخبرني به رئيس الجان * ثم قال الله أكبر * جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر * ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة اى وحي وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أي يقوم مقام جماعة كاتقدم نظيره وقوله الحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهي الشدة سموا بذلك لتشددهم في دينهم ولذلك تركوا الغزو لمافيه من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ﴿ومن ذلك﴾ مارواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نفر من الانصار قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية اى قبل المبعث قالوا يارسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك ولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان اذا قضى في خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء اى يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا * وفي البخاري

اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها فى الجاهلية صريح فى أنه كان يرمى بالنجوم للحراسة فى زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ما روى عن أبى بن كعب رضى الله عنه لم يرم بالنجوم بعد رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث نبى عليكم بالارض المقدسة اى لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس لطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفى رواية أن ابليس قال لما أخبروه بأنهم منعوا من خبر السماء قال ان هذا لحدث حدث فى الارض فأتونى من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنصوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأجيب بأن الرمى قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثر ارهاصا وتخويفا وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفا للرمى به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذى أراده أبى بن كعب رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبل وهو الذى أراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وصار الرمى بعد المبعث لا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى فكان ذلك سبب الفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطئ فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقى ما يسترقه الى كاهنه فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتى انقطعت الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا فى اتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم كان قدم أيها الناس أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من فى السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذلك والمحققون على أن الذى يرمى به شعلة نار تنقض من الكوكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء
فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي ما لهن امحاء

(فائدة) وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجأوا الى الله بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي في السيرة أقول وقد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل فكان أمرا عجيبا لم يعهد مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم (وأما ما جاء من ذكره) صلى الله عليه وسلم اى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته في الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام وغيرهما قال تعالى وانه لفي زبر الاولين وقال الامام السبكي في تائيته

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك أنه قد جاء أن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فأنزل الله تعالى الآية واسمه في التوراة أيضا أحمياطا اى يحمي الحرم من الحرام وقد وميا اى الاول السابق وأحيد وقيل أريد أى يمنع نار جهنم عن أمته وطاب طاب اى طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن ووصفه فيها بالضحوك اى طيب النفس وفيها أيضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة كلها عبرية مأخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض لأن أكثرها تعاريض من غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا ومعناه بالسريانية محمد وعن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فأخذت الانجيل فقرأته حتى مرت بي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد الى الآن وفي الانجيل أيضا اسمه خبط أى يفرق بين الحق والباطل ووصفه بأنه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير وفي الانجيل ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا اطلب ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به وأنبئهم

بالحق و يخبرهم بالحوادث والغيوب اى وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث والغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى و رسولى سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما أخطأ فى حرف وفى رواية عن كعب وأعطى المفاتيح ليبصر به أعينا عورا و يسمع به آذانا صما و يقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما ﴿وعن بعض أحبار اليهود﴾ أنه قال وقفت على جميع ما وصف به فى التوراة الا هذين الوصفين وكنت أشتهى الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر يوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث فأخذت بمجامع قميصه و ردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ألا تقضينى يا محمد حقى انكم يا بنى عبد المطلب أهل مطل فقال لى عمر أى عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وهو يبتسم فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن الطلب اذهب وفه حقه و زده عشرين صاعا مكان ما روعته فأسلم اليهودى وذكر القصة ﴿وفى التوراة﴾ لا يزال الملك فى يهود الى أن يجىء الذى اياه تنتظر الامم أى لا يزال أمرهم ظاهرا الى أن يجىء الذى تنتظره الامم أى المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى التوراة أيضا سوف أقيم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلمتى فى فيه وأيما انسان لم يطع كلامه أنتقم منه وفى قوله من أخوتهم رد على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور فى التوراة هو المسيح عليه السلام ووجه الرد أن المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود و بمثل هذا يرد على بعض اليهود الزاعمين أن النبى المذكور فى التوراة هو يوشع بن نون عليه السلام وقد قيل فى تفسير قوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك و يحل لهم الطيبات وهى الشحوم التى حرمت على بنى اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى التى حرمتها الجاهلية و يحرم عليهم الخبائث التى كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير و يضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وأن يقطعوا ما أصابه البول ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن النعمان السبائى رضى الله عنه وكان من أحبار يهود اليمن قال لما سمعت بذكر النبى صلى الله عليه وسلم

قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر و يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الأمم واسمك أحمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال أشهد اني رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وأنك كذاب مفتر على الله ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي أحرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر اصحابه فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية أصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشرا واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و يؤمنون بالكتاب الاول اي بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن وروى الامام أحمد وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى اني باعث بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم أن هذه الأمة آخر الأمم فكان الحلم والعلم الذي قسم بين الأمم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق جدا نصيب هذه الأمة منه فلم تدرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء أنهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلماء وعلماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد

﴿وفي صحف شعيا﴾ اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها اني باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام

رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الأرملة لو يمر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فادركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب في حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه للجمل فلا ينافي ذلك وصفه أيضا بأنه يركب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق أي يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط أو بارقليط وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر أتدري من أنا أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا أنا اسمي في التوراة أحيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حمناطا وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء في الزبور اني أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولي ووصف بأنه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المسكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار ففي الزبور تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بأن الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفي الزبور أيضا يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء وقوله وقد غفرت له الخ أي على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الأولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم ﴿وفي بعض﴾ ما جاء عن داود عليه السلام ان الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث أخوناخ ومعناه صحيح الاسلام وفي بعض الكتب المنزلة اني باعث رسولا من الأميين أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته أرفع به من الوضيعة وأهدي به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة وأجعل أمته

خير الأمم ﴿وأما ما جاء﴾ مما يدل على وجود اسمه الشريف أعني لفظ محمد مكتوبا على الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام كان سماويا أي من السماء أتى اليه فوضعه في خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر رضي الله عنه رواه بالمعنى وكان سليمان عليه السلام ينزعه اذ دخل الخلا واذا جامع وكان عند نزعه يتسكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقي مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر الاول أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني والثاني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا الله لا اله الا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي قال الحلبي ولم يذكر الرابع ثم نقل عن بعضهم أن في سنة اربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس أن القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا واذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فسار واليها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا اله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد أزفت اي قربت ﴿وجاء أن آدم عليه السلام﴾ قال طفت السموات فلم أر في السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة * قيل ان أول شئ كتبه القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها أيضا

قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت أى من السماء والجنان ومافيها وسائر مافى الملكوت وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ماخلقت أرضا ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفى رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا ولله در القائل

لولاه ما كان فلك ولا فلك * كلا ولا بان تحريم وتحليل

﴿ومن ذلك﴾ ماحدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقفت فى غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت فى جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت فى بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تنفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت فى سائر الورد وفى البلد شئ كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق فى شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فأرسينا فى جزيرة فرأينا وردا أحمر زكى الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿ومن ذلك﴾ ماحكاه بعضهم قال رأيت فى بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفى عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه فى أقرب زمن فأذابوا الرصاص وجعلوه فى أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب ﴿ومن ذلك﴾ أنه وجد فى سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ومنه ماذكره بعضهم أنه اصطاد سمكة مكتوبا على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها فى النهر احتراما لها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فأدلاها فى البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فاذا مكتوب بالاسود على احدى أذنيها لا اله الا الله وعلى الأخرى محمد رسول الله فقذفناها فى البحر وعن ابن عباس

رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لؤلؤة خضراء
فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب باطنها بالاصفر لا اله
الا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة ومنه أيضا ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان
قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة
وحصل منهم امتحان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى اخذت
ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا اله الا الله
محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان في
البلد من اليهود والنصارى ﴿ومن ذلك﴾ ماجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
بلغني في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوح من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه
عجبا لمن أيقن بالموت أي بأنه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي بأنه يحاسب كيف
يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقي وغيره عن علي رضي الله عنه أن الكنز الذي
ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف
ينصب أي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا
الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي * قال الحلبي أقول قد يقال
يجوز أن يكون ما ذكر أولا في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانيا في الوجه الثاني وان
بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لأجل صلاح أبيهما
وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته
التي هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره ويذكر أن هارون الرشيد هم بقتل
بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه قال
قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي رضي الله عنهم
﴿ومن ذلك﴾ ماجاء عن جابر رضي الله عنه قال مكتوب بين كتفي آدم عليه السلام محمد رسول
الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه
مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله ومنه ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام
أربعة وسبعين وتسعمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط
في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم أيضا قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب
رجلا مكتوبا في بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر
الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية
قال وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من اعلام النبوة وذلك أن شخصا أتاني برأس خروف
شواها وأكلها وأراني مكتوبا فيها بخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله أرسله بالهدى

ودين الحق يهدى به من يشاء من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلوه مقام الهداية كيف وهو المجانب للضلالة والغواية وعن الزهرى قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت مكتوبا على حجر بالعبرانى فأرشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

﴿باب سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة﴾

عن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لأعرفه الآن قيل انه الحجر الأسود وقيل انه الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا ولله در القائل

لم يبق من حجر صلب ولا شجر * الا وسلم بل هناه ما وهبا

وقال فى الهمزية

والجمادات أفصحت بالذى * أخرس عنه لاحمد الفصحاء

وعن على رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله والى ذلك أشار السبكى فى تائيته بقوله

وما جزت بالاحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وفى كلام السبكى يحتمل أن يكون نطق الشجر والحجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتا مجردا غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من أعلام النبوة وفى كلام الشيخ محيي الدين بن العربى رضى الله عنه أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار فى جميع العالم وقد ورد أن كل شئ سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال فى بيان ذلك وقال وقد أخذ الله بأبصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها عيانا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم﴾

قال ابن اسحاق لما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من

خالفه

خلافه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فهم واتباعهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم
وأول مابدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد به
الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الاجاءت كفلق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها
أحد كما لايشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفى لفظ فكان لايرى شيأ فى المنام الا كان
اى وجده فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وانما بدئ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالنبوة اى الرسالة فلا تحتملها القوى البشرية
لان القوى البشرية لاتحتمل رؤيا الملك وان لم يكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على
سماع صوته ولا على مايجيء به لاسيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له والمراد بالملك جبريل
عليه السلام ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التى خلقوا عليها لانهم خلقوا
على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم وعن علقمة بن
قيس قال أول مايؤتى به الانبياء فى المنام أى مايكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى فى
اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحى وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخييل من الشيطان
اذ لاسبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة فجميع ماينطبع فى عالم
مثالهم لايكون الاحقا ومن ثم جاء نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا وكانت
مدة الرؤيا ستة أشهر ثم أوحى اليه فى اليقظة وفى البخارى الرؤيا الحسنة اى الصادقة من
الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة قال بعضهم معناه أن النبى صلى الله عليه
وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه فى
اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحى اليه فى المنام التى هى الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء
من ستة وأربعين جزأ وحينئذ يكون المعنى ورؤياى جزء من ستة وأربعين جزأ من نبوتى ولكن
المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لاخصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وانما هى أصل
جعل غيرها مقيسا عليها وشبيها بها والحديث فيه روايات كثيرة أشهرها رواية ستة وأربعين
جزأ وحملوا الروايات الأخر على اعتبار الاشخاص لتفاوتهم فى مراتب الرؤيا ففى بعضها جزء
من خمسين وفى بعضها تسعة وأربعين أو ستة وسبعين وغير ذلك ﴿وجاء عن عمرو﴾ بن شرحبيل
رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يامحمد يامحمد
وفى رواية أرى نورا أى يقظة لامناما وأسمع صوتا وقد خشيت أن يكون والله لهذا أمر
وفى رواية والله ما أبغضت بغضى هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان وانى لأخشى أن أكون
كاهنا أى فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لأن الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب
سدنتها والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية وأخشى أن يكون بى جنون أى لمة من
الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم
وتصدق الحديث وفى رواية ان خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت

رضى الله عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على أنه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردى عن الشعبى أن الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فعلمه الشئ بعد الشئ ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة بشرى بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفى رواية انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا فلا يرى شخصه وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيأ غير ذلك وأن المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التى هى اثنان وعشرون سنة ﴿وبعد ذلك﴾ حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة قال البوصيرى رحمه الله فى الهمزية

ألف النسك والعبادة والخلـوة طفـلا وهكذا النجباء

واذا حلت الهداية قلبا * نشطت فى العبادة الاعضاء

(قوله طفلا) اى حين كان عند حليمة رضى الله عنها فقد قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم ولما قرب الزمن الذى أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة فى الخلوة لان الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شئ أحب اليه من أن يخلو وحده وكان يخلو بغار حرا بالمد والقصر فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه اى يتعبد الليالى ذوات العدد أى مع ايامها وغلب الليالى لأنها أنسب بالخلوة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهر رمضان أو غيره فالليالى ذوات العدد محمولة على القدر الذى يتزوده فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها وكانت خديجة رضى الله عنها تزوده الكعك والزيت لانه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لان اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحرا من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حرا وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبى أمية بن المغيرة قال السراج البلقينى فى شرح البخارى لم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش فى ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين مع الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كانوا على باطل لان فى الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة فى البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا أنه أتم فيه من التفكر فى غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه تعبد صلى الله

عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى فجأه الوحى وجاءته الرسالة فالولى الكامل
يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له فى قلبه عين الفهم عنه فيلهم معانى
القرآن و يكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا
قضى جواره من شهره ذلك اول مايبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ماشاء
الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذى أراد الله به ماأراده من كرامته وذلك شهر رمضان
وقيل ربيع الاول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرا كما كان يخرج لجواره حتى
اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته و رحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من
ذلك الشهر أعنى شهر رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل السابع والعشرين من رجب أتاه
جبريل ليلة مالليلة السبت أو ليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله عليه
وسلم فقلت ما أنا بقارئ اى انا أمى لا أحسن القراءة وكنت نائما بنمط وهو نوع من البسط
فغطنى به أى غمنى بذلك النمط بأن جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال
اقرأ فقلت ماذا أقرأ وفى رواية فقلت والله ماقرأت شيأ قط وما أدرى شيأ أقرأ قال اقرأ باسم
ربك وفى رواية أنه فعل ذلك به ثلاثا ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق
اقرأ و ربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها وانصرف عنى وقد استقر
ذلك فى قلبى وفى رواية فكأنما كتب فى قلبى كتابا اى حفظته فرجع الى خديجة فأخبرها
وقال قد خشيت على نفسى فقالت كلا فوالله لا يخزيك الله أبدا قال الحافظ الشامى ومن
اللطائف ان هذه الكلمة أى كلمة كلا التى ابتدأت خديجة النطق بها عقب ماذكرناه من
القصة هى التى وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقا لانها
لم تنزل الا بعد فى قصة أبى جهل على المشهور وفى بعض الروايات أنه قبل نزول اقرأ عليه سمع
صوت جبريل عليه السلام فى الافق ورآه وهو يقول له يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فاخبر
خديجة رضى الله عنها فجمعت عليها ثيابها التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة
ابن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس
والذى نفسى بيده لئن كنت صدقت ياخديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى
يعنى جبريل وانه لنبى هذه الأمة فقولى له يثبت وفى رواية قال وما جبريل يذكر فى هذه
الارض التى تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه و بين رسله لئن كنت صدقت ياخديجة
الخ فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة وفى رواية أن
ورقة بعد ان أخبرته خديجة بذلك لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقال له
يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى
نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى عليه السلام
ولتكذبنه * ولتؤذينه * ولتقاتلنه * ولتخرجنه * ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله

نصرا بعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه اى وسط رأسه ثم انصرف
صلى الله عليه وسلم الى منزله ﴿وقد جاء﴾ أن ابا بكر رضى الله عنه دخل على خديجة رضى
الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة
أى بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل وذهب به الى ورقة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لورقة اذا خلوت وحدى سمعت نداء يا محمد فأنطلق هاربا فقال له لا تفعل
اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى اى وهذا كان قبل أن يرى جبريل ويجتمع به ويجيء
اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة فلا تنافى بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذى
على يد أبى بكر رضى الله عنه على أنه كان قبل أن يرى جبريل والذى وقع فى المطاف كان حين
سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجىء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت
اليه خديجة ثم أخذت النبى صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فكل راو اقتصر على شئ وقد
اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهى أن يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم
فيه ويشير الى ما سيق الكلام لأجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى
غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطى فى الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى
عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة فى اوله وكرر جبريل الغط
ثلاثا للمبالغة وأخذ منه القاضى شريح أن المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرآن أكثر من
ثلاث ضربات وذكر السهيلى أن فى ذلك الغط اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له
شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الأولى ادخال قريش الشعب والتضييق عليه
والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى
الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر
ما تقدم فى الكلام على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره
جمع بادرة وهى اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع وفى رواية يرجف بها
فؤاده اى قلبه ولا مانع من الامرين حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملونى
زملونى أى غطونى بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على
نفسى وفى رواية على عقلى فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا أى
لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل اى الشئ الذى يحصل منه
التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لا مال له لأن من لا مال له
كالمعدوم أى توصل اليه الخير الذى لا يجده عند غيرك وتقرى الضيف وتعين على نوائب
الحق اى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له اسمع من ابن
أخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال له

ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى اى هذا صاحب الوحى وهو جبريل عليه السلام
ياليتنى فيها جذعا أى ياليتنى أكون فى زمن الدعوة الى الله اى اظهارها شابا حتى أبالغ فى
نصرتها ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال ورقة
نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودى اى فتكون المعاداة سبب الاخراجه وقد جاء أن كل نبى
اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت وفى رواية قال
ورقة وان أدركت يومك لانصرنك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفى رواية
قال لخديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد
خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى
أن لا تحمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحى بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه
بالنبوة فان للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل وفى كلام الحافظ ابن
حجر اختلف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشر قولا وأولاها بالصواب وأسلمها من الارتياب
أن المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض وقال الحافظ الاسماعيلى أن هذه الخشية كانت
قبل أن يحصل له العلم الضرورى بأن الذى جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء
فى بعض الروايات أن خديجة رضى الله عنها قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس
وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس أذكرك الله
الا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل اى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من
أرض العرب فقال عداس قدوس قدوس ماشأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل
أوثان فقالت اخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى
وعيسى عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على
عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى
الطائف وأسلم على يديه يروى أن خديجة رضى الله عنها حين جاءت عداسا قالت له أنعم صباحا
يا عداس فقال كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال ادنى منى فقد
ثقل سمعى فدنت منه ثم قالت له ما تقدم يروى أنه قال لها حين أخبرته بالخبر يا خديجة ان
الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا فخذى كتابى هذا وانطلقى به الى صاحبك فان كان
مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت
منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون
ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون
بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فداك
أبى وأمى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين
كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا بقوله قدوس قدوس أنت والله النبى الذى بشر بك

موسى وعيسى قال بعضهم الصواب أن هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لأن اقرأ سابقة في النزول على نون والحاصل أن خديجة رضي الله عنها كانت في بدء الوحي تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت في الأمر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتثبتها في أمره صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلبه وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وذكر ابن دحية أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله وبين أنبيائه وأن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه ﴿وفي أسباب النزول﴾ للواحدي عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال لما سمع النداء صلى الله عليه وسلم يامحمد قال لبيك قال قل أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين كما هو رواية وكيع وابن أبي شيبة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر فاني أشهد انك الذي بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسى عليهما السلام وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل قال في الكشاف وعليه اكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل أن المعنى انها من أول ما نزل لا انها أول على الاطلاق وأما ما روي من أنها نزلت بالمدينة فيحتمل تكررنزولها مبالغة في شرفها الا ان ذلك أول نزولها اذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضا فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة قال الجلال السيوطي لم يحفظ أنه كانت صلاة في الاسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من أول القرآن نزولا وان الاول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الاحاديث وفي الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفي حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن ﴿ثم لم يلبث﴾ أن توفي ورقة قال سبط ابن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها والراجح عند المحققين أنه لم يعد من الصحابة لعدم ادراكه الرسالة ولما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفي رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة أو جنتين لانه آمن بي وصدقني وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة بناء على انه أدرك الدعوة الى الله تعالى

التي هي الرسالة فقد روى أنه مات في السنة الرابعة من المبعث و يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بي وصدقني وفي فتح الباري أن في سيرة ابن اسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الاسلام يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شيء من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبي الى المكان الذي رأى فيه مارأى فاذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه فترا آى له جبريل يوما وهو في بيت خديجة وكانت قد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه في بيتها جبريل * ولذي اللب في الأمور ارتياء

فأماطت عنها الخمار لتدري * أهو الوحي أم هو الاغماء

فاختفى عند كشفها الرأس جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء

فاستبانت خديجة أنه الكنز الذي حاولته والكيمياء

وفي السيرة الحلبية روى ابن اسحاق عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على أنه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه و يغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تألفا ليتحمل أعباء الوحي حين نزوله عليه وانما كانت خديجة رضي الله عنها تفعل هذه الاشياء لتتثبت في الامر و يصير عندها ضروريا وأما هو صلى الله عليه وسلم فكان الامر ملتبسا عليه قبل ظهور الملك وأما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضروري بأنه جبريل وأن الله أرسله اليه وأنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ثم بعد نزول﴾ اقرأ أي نزول أول السورة كما تقدم فتر الوحي ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى ذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يامحمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه اى قلبه وتقر نفسه و يرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى لذروة جبل تبدى له مثل ذلك وفي فتح الباري جزم ابن اسحاق بأن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين وجزم السهيلي بأنها كانت سنتين ونصفا وقيل خمسة عشر يوما

وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم فى مدة فترة الوحى يتردد الى غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحى وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن ابتداء الوحى اى بعد فترته فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا فلما انقضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أرشيأ فنظرت عن شمالى فلم أرشيأ فنظرت من خلفى فلم أرشيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ بين السماء والارض وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحرا جالس على كرسى فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثرونى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أى المتلفف بثيابه قم فأنذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فانذر وبشر مع أنه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لأن البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وأن نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعنى أنه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا بنزول يا أيها المدثر فما حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيي الدين ابن العربى فى قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثير انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحى وذلك أن الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلى أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فأنذر فبذلك علم رضاه الذى هو غاية طلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الى الاسفار قم يا نومان

﴿باب فى مراتب الوحى وأقسامه قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم﴾

﴿مراتب الوحى وأنواعه﴾

﴿فاحدى تلك المراتب﴾ الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح روى ابن اسحاق أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ مناما ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه شئ يقظة الا وقد أريه قبل ذلك فى منامه وفى كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحى من الأنبياء كان اذا جاءه الوحى يستلقى على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحى اليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ

عليه قيامه وقعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض ﴿الثانية﴾ ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم به أنه وحي لا مجرد الهام ﴿الثالثة﴾ خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت أنه كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان جميلا وسيما اي حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقيني يجوز أن الآتي جبريل بشكله الاول الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال في فتح الباري والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وقال العلامة القونوي يجوز أن الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا باتصال بعض ذلك الاثر أي ان جسم الملك الاصلي باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد وقد قيل انما سمي الابدال أبدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بأنه كان يندمج الى أن يصغر جسمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية أحسن ﴿الرابعة﴾ كان يأتيه مخاطبا له بصوت في مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذي يعلقه الجهال في رؤس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحي وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع أشد عليه لانه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحي كله شديد وهذا أشد وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ولان الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفي حديث لابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهي عنه فكيف يشبه الوحي به لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها بل يكفي اشتراكهما في صفة ما ولما كان الوحي من المسائل العويصة التي لا يماط نقاب التغور عن وجهه لكل أحد ضرب لها مثل في الشاهد فمثلت بالصوت الذي يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على أن الوحي يرد على القلب في هيئة الجلال وأبهة الكبرياء

فتأخذه هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقى من ثقل القول مالا علم له به مع
وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا
الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على مارواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى
السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وقد روى الامام أحمد والحاكم
وصححه والترمذى والنسائى عن عمر رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فأفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال
الحافظ أنه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضى
الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم
بأن سماعه كدوى النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك
الصوت وجاء فى بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بأن جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد
عرقا أى يسيل عرقا مبالغة فى كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله اذ هو على طبع البشر
وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ويحصل ذلك له فى اليوم الشديد البرد فضلا
عن غيره وان راحلته اذا أوحى عليه وهو عليها لتبرك به فى الارض ولقد جاءه الوحى مرة
كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها
وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحى لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفى لفظ كان اذا نزل عليه الوحى
استقبلته الرعدة وفى رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط
البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة
الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة أصابه
من ذلك على قدر لينها ﴿الخامسة﴾ أن يرى جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها له ستمائة
جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى فى السماء شئ فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه
اليه وهذا وقع له مرتين احداهما فى الارض حين سأله أن يريه نفسه فى الأفق وكانت هذه فى
أوائل البعثة بعد فترة الوحى والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج ﴿السادسة﴾
ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلى الذى
ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة ﴿السابعة﴾ ما أوحاه اليه
بلا واسطة أيضا بل بسماع الكلام الازلى لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام
وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجئ جبريل عليه السلام
فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشئ ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن وبعضهم
نازع فى هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه

عند الاجتهاد فى الاحكام لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث فى الروع وزاد بعضهم عاشرة وهى مجىء جبريل فى صورة رجل غير دحية كما فى الحديث الذى فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق أن هذه داخلة فى المرتبة الثالثة لان القصد منها التمثل فى صورة رجل وان كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافى أنه قد يأتى بصورة غيره كما فى الحديث المذكور فانه ذكر فيه أنه جاءهم فى صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان معروفا عندهم وبالغ بعضهم فى تعديد أنواع الوحى حتى أوصلها الى ستة وأربعين نوعا والتحقيق أنها تعود الى ما ذكر وقد روى أن جبريل ظهر له صلى الله عليه وسلم فى أول ما أوحى اليه فى أحسن صورة وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة وفى رواية بجبل حراء فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله أى ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ثم قام جبريل يصلى مستقبلا نحو الكعبة وأمره أن يصلى معه فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم الى أهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله فسار صلى الله عليه وسلم حتى أتى خديجة رضى الله عنها فأخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام فكانت أول من صلى وفى رواية انها قالت حين شاهدت ذلك أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم توضأت وصلت فكان ذلك أول فرض الصلاة من حيث هى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى واليها الاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال أن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لأصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وأنه قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال

﴿ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم﴾

قال فى المواهب اللدنية أول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة رضى الله عنها فقامت بأعباء الصديقية وكانت تقول للنبى صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل وعرفت أن من كان كذلك لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها رضى الله عنها قال ابن اسحاق وآزرته صلى الله عليه وسلم على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيأ يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر

الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها رضي الله عنها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وأبدى العلم بلى لنفي النصب لطيفة هي أنه صلى الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت ايضا بأنها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنها وعنهن

﴿وأول ذكر آمن بعدها صديق الأمة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضي الله عنه﴾ وكان رضي الله عنه صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت أنا وأبو بكر على هذا الأمر كفرسي رهان فسبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته ففيه اشارة الى أن كلا منهما مجبول على التوحيد ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تصديقا له أبو بكر رضي الله عنه روى الطبراني برجال ثقات أن عليا رضي الله عنه كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم ابي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم الى عبد الله وقيل كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لأنه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار وقيل لأنه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام وكني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة قال الزرقاني ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره فلما أسلم آزر النبي صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه أول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان رضي الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدما صدق الرسلا

وقوله والثانى التالى أى الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ففيه تلميح الى قوله تعالى ثانى
اثنين اذ هما فى الغار وقوله التابع اى التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله
ورياسته فى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه
وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التى لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن
الناس على فى صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندى يدا من أبى بكر واسانى بنفسه
وماله وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى ابنته وواسانى بماله قال الشعبى عاتب
الله أهل الارض جميعا فى هذه الآية أى آية الا تنصروه غير أبى بكر وقد جوزى بصحبة الغار
الصحبة على الحوض كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم
لأبى بكر أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار فيا نعم الجزاء وقوله المحمود مشهده أى
الممدوح مكان حضوره من الناس لانه كان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب
قريش لقريش وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجرا وفى السيرة الحلبية كان
أبو بكر رضى الله عنه صدرا معظما فى قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من
رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من أعف الناس رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا
فى قومه حسن المجالسة وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب وكذا عقيل بن أبى
طالب الا أن أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا يعد مساويهم فلذا كان محببا اليهم بخلاف
عقيل فانه كان يعد مساويهم وكان أبو بكر رضى الله عنه ذا خلق حسن ومعروف وكان
رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فلما أسلم وتبع النبى صلى الله عليه
وسلم وآزره وشد عضده جعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه
فأسلم بدعائه فضلاء الصحابة رضى الله عنه وعنهم وسيأتى ذكر بعض من أسلم بدعائه وكان رضى
الله عنه يتوقع ظهور نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لما سمعه من ورقة ومن غيره من الاحبار
والرهبان والكهان حتى انه أول من بادر الى التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر
رضى الله عنه كان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم
فى هذا اليوم أن زوجها نبى مرسل مثل موسى عليه السلام فانسل أبو بكر حتى أتى النبى
صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجىء الوحى له وأخبره بأن الله
أرسله فقال صدقت بأبى وأمى أنت وأهل الصدق أنت أنا اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول
الله فسماه يومئذ الصديق بوحى من الله ولما سمعت خديجة رضى الله عنها مقالة أبى بكر رضى الله
عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذى هداك يا ابن أبى قحافة وقد جاء فى تفسير
قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أن الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه قال ابن اسحاق بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبى بكر

رضى الله عنه ماعكم عنه حين ذكرته له اى أنه بادره قال السهيلى وكان من أسباب توفيق الله له
وانه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان
جميعه فى حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبى المنتظر الذى قد أظل زمانه تتبعه
وتكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الأثير
فى أسد الغابة عن ابن مسعود رضى الله عنه ان أبا بكر رضى الله عنه خرج الى اليمن قبل بعثة
النبى صلى الله عليه وسلم قال فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال
أحسبك حرميا قلت نعم قال واحسبك قرشيا قلت نعم قال واحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لى
فيك واحدة قلت وماهى قال تكشف لى عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرنى لم ذلك قال أجد فى
العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل أما الفتى فخواض
غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة
وما عليك أن تربنى ما سألتك فقد تكاملت لى فيك الصفة الا ماخفى على قال فكشفت له بطنى
فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال أنت هو ورب الكعبة وانى أوصلك بما هو فى أمره
قلت وما هو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك
وأعطاك فقضيت باليمن أربى ثم أتيت الشيخ لا ودعه فقال أحامل أنت منى أبياتا الى ذلك النبى
قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش فقلت
نابكم أو ظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى ولولا أنت ماانتظرنا به
والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شئ وذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه
الباب فخرج الى فقلت يامحمد فقدت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال انى رسول الله
اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذى لقيته باليمن قلت وكم لقيت
من شيخ باليمن قال الذى أفادك الابيات قلت ومن أخبرك بهذا ياحبيبى قال الملك المعظم الذى
يأتى الانبياء قبلى قلت مديدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليك وسلم
فانصرفت وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى وفى رواية فانصرفت وما بين لابتيها
أشد سرورا منى باسلامى ولا أشد سرورا باسلامى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الزرقانى يمكن الجمع بينه وبين ماتقدم من أنه بلغه أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند اجتماعه
بحكيم بن حزام بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه بعد اسلام خديجة وتحقق
الامر عندها فلقى صناديد قريش عند وصوله ثم اجتمع بحكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من
الجارية فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وأظهر اسلامه بين يديه ولما أسلم أظهر اسلامه للناس
ودعا الى الله ورسوله وفى السيرة الحلبية ان أبا بكر رضى الله عنه لم يسجد لصنم قط وكان
نقش خاتمه رضى الله عنه نعم القادر الله وخاتم عمر كفى بالموت واعظا ياعمر وخاتم عثمان آمنت
بالله مخلصا وخاتم على الملك لله وخاتم أبى عبيدة الحمد لله وفى المواهب وشرحها روى عن

الحسن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق سابقة الى الاسلام وأورى منه منقبة فقال له علي رضي الله عنه ويلك ان أبا بكر رضي الله عنه سبقني الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشيء سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرني قريش وتستوفيه والله لو أن أبا بكر زال عن مرتبته ما بلغ الدين العبر اي الجانبين ولكان الناس كرعة كرعة طالوت ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وقوله سبقني الى افشاء الاسلام يدل على أسبقية اسلام علي رضي الله عنه وان أبا بكر رضي الله عنه انما سبقه الى الافشاء والتحقيق ان كلا من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما بادر بالتصديق والاسلام وعلي رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي بيته فيحتمل أنه أسلم مع اسلام خديجة رضي الله عنها ويحتمل أنه قارن اسلامه اسلام أبي بكر رضي الله عنه ومثل ذلك زيد بن حارثة رضي الله عنه فانه كان مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان من السابقين في الاسلام وكذا بلال رضي الله عنه كان من السابقين في الاسلام ففي بعض الاحاديث ان أول الناس اسلاما خديجة رضي الله عنها وفي بعضها أبو بكر رضي الله عنه وفي بعضها علي رضي الله عنه وفي بعضها زيد بن حارثة رضي الله عنه وفي بعضها بلال رضي الله عنه قال الحافظ ابن الصلاح والاورع أن لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الاحرار أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وقال المحب الطبري الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فأول من أسلم مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة الكلبي وروى ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة فسمع أبو بكر رضي الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال من هذا الذي تحت الشجرة فأجابوه بأنه محمد بن عبد الله فقال هذا نبي الخ ما تقدم فوقع في قلب أبي بكر اليقين حينئذ وفي رواية لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوي وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت في قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة كما تقدم قال الحلبي في السيرة وبنات النبي صلى الله عليه وسلم كن موجودات عند البعثة فيبعد تأخر ايمانهن فهن من أول الناس ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن اشراك فلم يذكرن مع أول من آمن اكتفاء بذلك ولايمانهن تبعا

ولذلك قال الحافظ ابن كثير ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل كل أحد خديجة وبناته وزيد وزوجته وعلى رضى الله عنهم وأما فاطمة رضى الله عنها فولدت الا بعد البعثة فلا يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى ابن اسحاق عن عائشة رضى الله عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة أسلمت خديجة وبناته صلى الله عليه وسلم وكان أبو العاص زوج زينب عظيما فى قريش فكلمته قريش فى فراقها على أن يتزوج من أحب نسائهم فأبى ولا يشكل تزويجه زينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدى أبى لهب مع صيانة النبى صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية وقد كفاه الله ولدى أبى لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوجتا بعثمان رضى الله عنه واحدة بعد واحدة وأما أبو العاص فأسلم وهاجر وبقيت زينب رضى الله عنها عنده وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما كلمت أحدا الا راجعنى فى الكلام وأبى على الا ابن أبى قحافة فانى لم أكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر أتانى جبريل فقال ان الله أمرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفى عمر رضى الله عنهما وشاورهم فى الامر فكان أبو بكر رضى الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى أموره كلها وقد جاء أن الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبى بكر وعمر وفى حديث صحيح ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وأن بعضهم عده فى الصحابة وجعله أول من أسلم وبعضهم قال أنه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام وبعضهم جعله من أهل الفترة وأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسيأتى ذكر اسلامه فى باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتى أيضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الأولى وقيل الثانية فى السنة السادسة من المبعث وأما عثمان بن عفان رضى الله عنه فيأتى ذكر اسلامه قريبا فى عداد من أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه وأما حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فسيأتى ذكر قصة اسلامه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الاذايا لأن بعض تلك الاذايا كان سبب اسلامه رضى الله عنه وسيأتى أيضا أن اسلامه كان فى السنة الثانية من النبوة وقيل فى السادسة

﴿ثم أسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه﴾ وتقدم أن بعضهم جعل اسلامه أسبق من اسلام أبى بكر رضى الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بانه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أول من أسلم من الاحرار البالغين وعن سلمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول الناس ورودا على الحوض اولها اسلاما على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما زوجه النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها قال لها زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه

لأول أصحابي اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لأن قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ أنت واحدا وأنا واحدا فجاآ اليه وقالا له انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وترك له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسميته النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وغذاه أياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها أنها قالت لما ولدته سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ماشاء الله تعالى وعنها رضي الله عنها أنها أرادت في الجاهلية أن تسجد لهبل وهي حامل بعلي رضي الله عنه فتقوس في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي رضي الله عنه أصغر أخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب كذلك فكل واحد أكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل رضي الله عنه أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت أعلم من حب عمي اياك

﴿وسبب اسلام علي رضي الله عنه﴾ أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سواء فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي رضي الله عنه هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنها وهو يوم الثلاثا كما في سيرة الدمياطي لأن صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضي الله عنها كانت آخر يوم الاثنين وكان علي رضي الله عنه يخفي اسلامه خوفا من أبيه الى أن اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فأظهره حينئذ وفي أسد الغابة لابن الأثير ان أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصلى على يساره فأسلم جعفر رضي الله عنه وكان اسلامه

بعد اسلام أخيه على رضى الله عنه بقليل وكان اسلام على رضى الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى * يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى * مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ابناى منها * فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى هذا الشعر مما يجب على كل متوان فى على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام وزعم المازنى وصوبه الزمخشرى أن عليا رضى الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ذكره فى القاموس قال الزرقانى وهو مردود بما فى مسلم فى غزوة خيبر من قول على رضى الله عنه مجيبا لمرحب اليهودى

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره
* أوفيهم بالصاع كيل السندره *

وروى الزبير بن بكار فى عمارة المسجد النبوى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت قال على رضى الله عنه

لا يستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا
* ومن يرى عن التراب حائدا *

ولم يتقدم من على رضى الله عنه شرك أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كفالته كأحد أولاده تبعه فى جميع أموره وفى الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب وآسية امرأة فرعون وفى الحديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم والمراد من عدم كفره أنه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان أبا بكر رضى الله عنه كذلك ولما علم أبو طالب باسلام على رضى الله عنه وصلاته مع النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه أى بنى ما هذا الذى أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه ويذكر عنه أنه كان يقول انى لأعلم أن ما يقوله ابن أخى لحق ولولا انى أخاف أن تعيرنى نساء قريش لاتبعته وعن ابن اسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة

وخرج معه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان أبا طالب عثر أي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ماهذا الذي أراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني الى الله تعالى وأعانني عليه فقال له أبو طالب اني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه وفي رواية أنه قال له ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني أستي أبدا وهذا ينبغي أن يكون صدر منه قبل أن يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى عن علي رضي الله عنه أنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا الفعل الذي أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا اني لا أحب أن تعلوني استي فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على أبي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله رضي الله عنه أفردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل

﴿ثم أسلم بعد اسلام علي رضي الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضي الله عنها لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد ممن سباه من الجاهلية لان عمته خديجة رضي الله عنها أمرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع وعمره ثمان سنين وقد أسر من اخواله طي قال السهيلي ان أمه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة رضي الله عنها أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه ممن عمته خديجة أي اشتراه لها فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي وقيل ان الذي اشتراه لخديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضي الله عنها فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لأعتقته قالت هو لك فأعتقه قال أبو عبيدة لم يكن اسمه زيد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو اسم جده قصي ثم أنه خرج بابل لأبي طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربي أنت أم عجمي قال عربي قال ممن أهلك قال من كلب قال من أي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت قال في أخوالي قال من اخوالك قال طي قال ما اسم أمك

قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه
عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرنى على أهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع
الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفى رواية أن ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه
وعرفهم فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه قال الحلبى وقد يقال لا مخالفة
لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد أخبار أولئك الناس فلما جاء أهله فى طلبه ليفدوه
خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ لما قدم أبوه وعمه فى فدائه سألا عن النبى صلى الله عليه
وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم
أهل حرم الله وجيرانه تفكون الأسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن
علينا وأحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقال وماذاك قالوا زيد بن حارثة قال أوغير ذلك قالوا
وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى
أختار على الذى اختارنى فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال أتعرف هؤلاء
قال نعم أبى وعمى ولم يذكر أخاه لاستصغاره ولأن الخطاب كان معهما وفى رواية ذكرها
السهيلى أن زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم من هذان قال هذا أبى حارثة بن شرحبيل وهذا
عمى كعب بن شرحبيل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنا من علمت وقد رأيت صحبتى فاخترنى
أواخترهما فقال زيد ما أنا بالذى أختار عليك أحدا أنت منى مكان الأب والعم فقالا ويحك
يازيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما أنا بالذى أختار عليه
أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى أخرجه الى الحجر الذى هو محل جلوس
قريش فقال ان زيدا ابنى أرثه ويرثنى فطابت أنفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه
حين تبناه النبى صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش
يقول هذا ابنى وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل
يقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وأرثك تطلب بى
واطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر
أمر الاسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث وفى أسد الغابة أن حارثة أسلم وقيل لم يثبت
اسلامه الا المنذرى ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم
يذكر فى القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو رضى الله عنه فى قوله تعالى فلما قضى زيد منها
وطرا قال ابن الجوزى الا ما يروى فى بعض التفاسير أن السجل الذى فى قوله تعالى يوم نطوى
السماء كطى السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أبدى
السهيلى حكمة لذكر زيد باسمه فى القرآن وهى أنه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار
يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر

اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم رضي الله عنها ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم رضي الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله اي لأن زيدا أفضل منه لسبقه الى الاسلام * وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة رضي الله عنها * ومن السابقات الى الاسلام أسماء بنت أبي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنها وأم أيمن بل ينبغي أن تكون سابقة على أم الفضل

﴿ بيان من أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه ﴾ لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عثمان رضي الله عنه أخبرتني خالتي سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية رضي الله عنها ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحثتني على اتباعه وكان لي مجلس من الصديق رضي الله عنه فجئته فأصبته وحده وصرت متفكرا فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي فحثني أبو بكر رضي الله عنه ورغبني في الاسلام قال فما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه يحمل له ثوبا فقام أبو بكر رضي الله عنه فسار النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل علي فقال أجب الله تعالى الى جنته فاني رسول الله اليك والى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته أن قلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم لم ألبث أن زوجني رقية رضي الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضي الله عنه كذلك وكان يتمنى ان يتزوج بها من قبل قال رضي الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن أبي لهب بنته رقية فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز فأخبرتني ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر قصة اسلامه ثم لم ألبث أن تزوجت رقية أي بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها كما يأتي ثم بعد ان توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ولذا لقب بذي النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره رضي الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة في الوتر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضي الله عنه ليرجع عن الاسلام ولا مانع من تعداد ذلك ومن أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي وهو ابن ثمان سنين أو اثنتي عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا

﴿وأسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة﴾
وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان
أمية بن خلف صديقا لي فقال لي يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال أنا
لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك * وسبب اسلام عبد الرحمن
ابن عوف الزهري المذكور رضي الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت
اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكن الحميري فكان يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبأ له
ذكر هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم فأقول لا حتى كانت السنة التي بعث فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لي بذلك قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها
في أخبار الكهان التي ليست على ألسنة الجان وفي آخرها فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي
الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله وأتاه فلما أتيت بيت خديجة رضي الله عنها
رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا أن أرجو له خيرا فما
وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن
مصدق بي وما شاهدني أولئك من اخواني حقا وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنت أمين في أهل الارض أمين في
أهل السماء وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار * وممن أسلم
بدعاية أبي بكر رضي الله عنه ايضا سعد بن أبي وقاص الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة
رضي الله عنه لقيه أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الاسلام و رغبه فيه وحثه عليه فأتى النبي
صلى الله عليه وسلم وسأله عن أمره فأخبره به فأسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالي فليرني امرؤ خاله وفي كلام السهيلي
انه عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت
ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا أكلت طعاما
ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس أسافا ونائلة وكانوا يفتحون فاها أعني أم سعد
في مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فأبى أن يمتثل قولها وفيه أنزل الله تعالى ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفي رواية
أنها مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل
ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا
ما تركت دين محمد فكلي ان شئت أو لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت وفي الانساب للبلاذري
عن سعد رضي الله عنه قال أخبرت أمي اني كنت أصلي العصر يعني الركعتين اللتين كانوا
يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح ألا أعوان يعينوني عليه من عشيرتي أو عشيرته
فأحبسه وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت

لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الى أن عد الى منزلك ولا تتضيفن الناس
فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني بأخي عامر وتقول
هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقي منها مالم يلق أحد من الصياح والاذى
حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت ماشأن
الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا لا يظلها نخل ولا تأكل
طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين
حتى تتبوئي مقعدك من النار * وممن أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا طلحة بن عبيد الله
التيمي رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة لقيه أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الله
تعالى ورغبه في الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وله
قصة كانت هي السبب الاول في اسلامه رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في
صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد
قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء
مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع في
قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله
الامين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله
عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبره بذلك فسر به فأسلمت ولما تظاهر أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام
أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى أسد قريش فشدهما في حبل يريد أن يفتنهما أو يرجعا
عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية
وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية وقد شارك طلحة
رجل آخر في اسمه واسم أبيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي فالاول أحد العشرة المبشرين
بالجنة وهذا ليس كذلك وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال لئن مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن
عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لأتزوجن عائشة
من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن
طلحة أحد المبشرين أجل مقاما أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه
واسم أبيه ونسبه نقله عنه الحلبي في السيرة والحاصل أنه أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه من
العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة
الجود والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم
سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن

ابن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ثم دخل الناس
في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء * ومن السابقين الى الاسلام سعيد بن زيد بن عمرو بن
نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر رضي
الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج
العباس رضي الله عنهما ومن السابقات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وأما عائشة رضي
الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف
المستشهد يوم بدر ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله
عليه وسلم أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي
وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الارقم
ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه وسبب اسلامه ما حدث به
قال كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي
الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل
عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص وهي التي لا ضرع لها وقيل
لا لبن لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب
ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكي في تائيته بقوله

وربّ عناق ما نزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرّت

فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يا رسول الله علمني فمسح
رأسه وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود
ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي أمامه صلى الله
عليه وسلم ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في
ذراعيه ولذلك كان مشهورا عند الصحابة أيضا بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها
ما سخط لها ابن أم عبد * ومن السابقين الى الاسلام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه واسمه
جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل أن ألقى النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهني ربي فبلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت
لأخي أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وائتني بخبره فلما رجع أنيس قلت له ما عندك قال
والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق
قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت
اكفني حتى أذهب فأنظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا حتى أقبلت

وأتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه فكنت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي
طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع والسخفة
بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا برسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما قضى صلاته أتيته فقلت السلام عليك يارسول الله أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل فقلت من
غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك
قلت ما كان لي من طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسر عكن بطني وما أجد على بطني سخفة
جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك
الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهي همزة جبريل
وسقاية الله اسماعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين
المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان أباذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام عليك التي هي تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه في الله لومة لائم وعلى أن
يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أي
السماء ولا أقلت الغبراء أي الارض أصدق من أبي ذر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم
في حقه أبوذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم عليه السلام وفي الحديث أبوذر زاهد
أمتي وأصدقها وقد هاجر أبوذر رضي الله عنه الى الشام بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه واستمر
بها الى أن ولي عثمان رضي الله عنه فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية رضي الله عنه وأسكنه
الربذة فكان بها حتى مات وذلك ان أباذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لقيا أبي ذر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت بدلالة علي رضي الله عنه وأنه قال له ما أقدمك هذا البلد فقال له أبوذر ان كتمت على
أخبرتك وفي رواية ان أعطيتني عهدا وميثاقا أن ترشدني أخبرتك ففعل قال أبوذر فأخبرته
فأرشدني وأوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفي رواية أن عليا رضي الله
عنه استضافه أبوذر رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يسأله عن شئ وهو لا يخبره ثم في الثالث قال له
ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على أخبرتك قال فاني أفعل قال له بلغنا أنه خرج
ها هنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت اليه أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه
فقال أما انك قد رشدت هذا وجهي اي خروجي اليه فاتبعني أدخل حيث أدخل فان رأيت
أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كأني أصلح نعلي وفي رواية كأني أريق الماء فامض أنت
قال أبوذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له أعرض
على الاسلام فاعرضه علي فأسلمت مكاني الحديث ثم ان أبابكر قال يارسول الله ائذن لي

فى طعامه الليلة قال أبوذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح أبو بكر رضى الله عنه بابا فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته اى من الزبيب فلا ينافى اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه فأسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فأسلم بأن يكون أبوذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد الخ والا فيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف فى مدة ثلاثين يوما وقوله من الرجل زيادة فى الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن أنه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فأخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بهذا بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفى رواية رابعا اى من الاعراب فلا ينافى زيادة من أسلم غيره على خمسة قال أبوذر فلما اجتمعت قريش فى المسجد ناديت بأعلى صوتى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابى فقال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فأكب على العباس وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بى مثل ماصنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت أنيسا فقال ماصنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فانى أسلمت وصدقت فأتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثانى لانه صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذرانى قد وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويؤجرك فيهم وقد ذكر أن أباذر رضى الله عنه وقف يوما عند الكعبة فى حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن احدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا مايصلحكم فقالوا ومايصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور * ومن السابقين للاسلام خالد بن سعيد بن العاص وهو اول من اسلم من اخوته فيحمل عليه قول ابنته أم خالد اول من اسلم أبى اى من اخوته وسبب اسلامه أنه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريد أن يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فانى

فأتى أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال له أبو بكر رضى الله عنه أريد بك خيرا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يا محمد ما تدعوا اليه قال أدعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم خالد وفى الوفاء للسيد السمهودى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ثم أصاب مكة كلها ثم تحول الى يثرب فأضاءها حتى انى لأنظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا أخى ان هذا الامر فى بنى عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال يا خالد أنا ذلك النور وأنا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وعلم بذلك أبوه وهو سعيد أبو أحيحة وكان من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

أبا أحيحة من يعتم عمته * يوما وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد أرسل فى طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى فان الله يرزقنى ما أعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى نواحى مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد اول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد أنه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن أبى كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص قيل وسبب اسلامه أنه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤية وقعت لأخيه خالد وكانت سببا لاسلامه وأنه قصها على أخيه عمرو والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا أن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما وأسلم من بنى سعيد أبان بن سعيد والحكم بن سعيد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * ومن السابقين للاسلام صهيب رضى الله عنه كان أبوه عاملا لكسرى فأغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ فى الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق

عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب
على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر أين تريد يا صهيب
قال اريد أن ادخل على محمد فأسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا اريد ذلك ند خلا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن
فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وأبيه فسألاه
أين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فأعجبهما
فأسلما على يده وكان اسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا * ومن السابقين للاسلام
حصين والد عمران بن حصين رضي الله عنهما وكان اسلامه بعد اسلام ابنه عمران وسبب
اسلامه أن قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا
ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حصين فلما رآه
النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذي
بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من إله قال سبعة في الارض
وواحد في السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال قال
الذي في السماء قال يستجيب لك وحده وتشرك معه أرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم
فأسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم
وفى بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب اى عتبته رأته قريش فقالوا قد صبأ وتفرقوا
عنه * ولما دخل الناس في الاسلام ارسالا اى جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله
رسوله أن يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن في الصلاة وأنزل عليه فاصدع بما
تؤمر وأعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردوا عليه بل
كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن
عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك أنه دخل
عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما
نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنمهم وكان ذلك في سنة أربع من النبوة
وقيل في سنة خمس فأجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل
مستخفون وحدب بكسر الدال اى عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه حاجزا بينه وبينهم فاشتد
الأمر وتضارب القوم وأظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم
عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ما عدا
أبا لهب منهم وبني المطلب بن عبد مناف اخي هاشم وكانوا معهم بطلب من أبي طالب بخلاف

بنى أخويهم نوفل وعبد شمس ابنى عبد مناف فانهم كانوا من أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم
قال ابن اسحاق كان صلى الله عليه وسلم يدعوا الناس خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين
فكان من أسلم اذا أراد الصلاة اى صلاة الركعتين بالغداة وبالعشى يذهب الى بعض الشعاب
يستخفى بصلاته من المشركين فبينما سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى نفر من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون
فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه
رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو أول دم أهريق فى الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم
واشتد الامر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه مستخفين فى دار الارقم المعروفة
الآن بدار الخيزران لان المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدى العباسى
فوهبها المهدى المذكور لجاريته الخيزران وهى أم ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد
فوقفتها مسجدا وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه المنصور عن جده عن ابن
عباس رضى الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون
الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى واختلفوا فى مدة استخفائه فقيل أربع سنين وقيل
أقاموا فى تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا أربعين باسلام عمر
وحمزة رضى الله عنهما * ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو
هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف اشتد ذلك على النبى صلى الله
عليه وسلم وضاق به ذرعا اى عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا فى
بيته حتى ظن عماته أنه شاك اى مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيأ لكن
الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد أن أجمع بنى عبد المطلب لأدعوهم الى الله
فقلن له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه أبا لهب قيل كنى بأبى لهب لشدة احمرار
خديه فانه غير مجيبك الى ما تدعوا اليه وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بما
أنزل الله عليه أسمعه أبو لهب ما يكره فقال تبا لك ألهذا جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به وقال ما رأيت
أحدا جاء بنى أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى
ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن فى أول الامر أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون
الى ما يحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم أنه ليس لك بقومك
طاقة وأن احق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك
من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه
وقومه بأشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبى صلى الله عليه وسلم قال تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل
الله تبت يدا أبى لهب وتب بمعنى خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازا

ولما سمع أبو لهب تبت يدا أبي لهب وتب قال ان كان مايقول محمد حقا افتديت منه بمالي و ولدي
فنزل ما أغنى عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفي رواية الصحيحين
أنه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يابني كعب بن لؤي أنقذوا
أنفسكم من النار يابني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابني هاشم أنقذوا أنفسكم
من النار يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار
يابني زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة
أنقذي نفسك من النار ياصفية عمة محمد أنقذي نفسك من النار فاني لا أملك لكم من الله شيأ
وفي لفظ فاني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله
اي لا تبقوا على الكفر اتكالا على القرابة فهو حث لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك
الاتكال قال بعضهم ان ذكر فاطمة رضي الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الا أن
تقولوا لا اله الا الله وانما ذكرت في حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال
لهن لا أغني عنكن من الله شيأ حثا لهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما
ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم
ولو غررت الناس جميعا ماغررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى
الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون
بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة أبدا والنار أبدا يابني عبد المطلب ما أعلم شابا جاء
قومه بأفضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير
أبي لهب فانه قال يابني عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على يديه اي اقبضوه وامنعوه عن
هذا الامر بحبس أو غيره قبل أن يأخذ على يده غيركم فان أسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه
قتلتم فقالت له أخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وهي أم الزبير رضي
الله عنه اي أخي أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله مازال العلماء يخبرون أنه يخرج من
ضئضئ اي أصل عبد المطلب نبي فهو هو قال أبو لهب هذا والله الباطل والاماني وكلام النساء
في الحجال فاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم
الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع
قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير
عليكم أكنتم تكذبوني قالوا والله ما جربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم
من النار فاني لا أغني عنكم من الله شيأ اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد وفي رواية ان
مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف
ياصباحاه ياصباحاه أتيتم أتيتم أنا النذير العريان اي الذي ظهر صدقه من قولهم عرى الامر

اذا ظهر وقيل الذي جرّده العدو فأقبل عريانا ينذر بالعدو فإنه لا يتهم بخلاف الذي لم يجرّد فإنه
قد يتهم والمعنى أنا النذير الذي لا أتهم وفي رواية أنه وقف على الصفا وفي أخرى على أبي قبيس
وفي أخرى على أخمة من جبل فعلا أعلاها حجرا يهتف يا صباحاه قالوا من هذا الذي يهتف قالوا
محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يأتي أرسل
رسولا الحديث وفي رواية صاح يا آل عبد مناف اني نذير وفي أخرى جمع بني عبد المطلب
في دار أبي طالب وهم أربعون وفي رواية خمسة وأربعون وامرأتان فصنع لهم طعاما وهي
شاة مع مدّ من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا
وشربوا حتى نهلوا أي رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول
القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس
من الشراب في مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم
ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم
صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا
ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالأمس
من الطعام والشراب قال علي رضي الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى
نهلوا فقال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال
وأنذر عشيرتك الأقربين وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة
أن لا اله الا الله وأني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني اي يعاونني على القيام به
قال علي رضي الله عنه أنا يا رسول الله وكان أحدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم أعاد القول
على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال أنا يا رسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا
فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال أنا يا رسول الله قال اجلس فأنت أخي قال الامام أبو العباس بن
تيمية زاد في الحديث بعض أهل الضلال زيادات لا أصل لها وهي كذب بالحز قالوا قال فمن
يجيبني الى هذا الأمر يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ وزادوا
في آخر الحديث قال اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي فتلك
الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على أهل السنة والقدح في
خلافة الخلفاء قبل علي رضي الله عنه وفي رواية عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمر خديجة فصنعت طعاما ثم قال ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا
الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون علي فعل ذلك عند خديجة رضي الله عنهما
وجاء به الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له
السياق وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا
عليه ولم يجيبوه وصار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مرّ عليهم في مجالسهم

بشير ونذير اليه أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتنا كروه وأجمعوا على خلافه وعداوته وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا أى عقولنا بنسبتنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما أن تكفه عنا واما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شئ والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة واباء

أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أى أضمروا العداوة والحقد وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وحض بعضهم بعضا على حربه وعداوته ومقاطعته ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا اى عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي ان قومك جاؤني فقالوا لى كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله وأنه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يسارى على أن أنزل عن هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حصلت له العبرة التى هى دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وزعمت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وعرضت دينا لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار لا تخفى لأن الشمس النير الأعظم واليمين أليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين من حيث ضرب المثل بهما لان الذى جاء به نور قال الله تعالى يريدون أن يطفئوا

نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره فلما أن عرفت قريش ان أبا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أى اشد وأقوى فتى فى قريش وأجمله فخذه لك ولدا بأن تتبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فقال لهم أبو طالب بئس ما تسوموننى أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص عما تكره فما أراك تريد أن تقبل شيأ منهم فقال له أبو طالب والله ما أنصفونى ولكن قد أجمعت اى قصدت خذلانى ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع ما بدا لك وعمارة بن الوليد هذا قد مات على كفره بأرض الحبشة بعد أن سحر وتوحش وسار فى البرارى والقفار ومات المطعم بن عدى على كفره ايضا فعند عدم قبول أبى طالب اشتد الأمر ولما رآى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بنى هاشم وبنى المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير أبى لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضى الله عنه قال كنت يوما فى المسجد فأقبل أبو جهل فقال لله على ان رأيت محمدا ساجدا أن أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبى جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق الى أن بلغ آخر السورة فسجد فقال انسان لأبى جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له فى ذلك فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى وفى رواية رأيت بينى وبينه خندقا من نار وسيأتى أن قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل فى أبى جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر لنا ان أبا جهل قال يوما لقريش ان محمدا قد أتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم وانى أعاهد الله لأجلس له يعنى النبى صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به راسه فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشئ أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلى بين الركن اليمانى والحجر الاسود وقريش جلوس فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أى متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها فلم

بقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال فتاليه لافعل ماقلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم أن يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لأخذه والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

وفي رواية ان أبا جهل قال رأيت بيني وبينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الامرين معا وذكروا في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون اى رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الأولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه أثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ما وقع لأبي جهل قال أنا ألقي هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم بذلك وعن الحكم بن أبي العاص وهو أبو مروان بن الحكم أن ابنته قالت له ما رأيت يوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا ليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلا جئناه من خلفه فسمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا اى ظننا أنه يتفتت ويقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت احداهما بالأخرى فحالتا بيننا وبينه وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره أبو جهل اى انتهره وقال انك لتعلم أن ما بها أكثر ناديا مني فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله وقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فأنزل الله فيه ذق انك أنت العزيز الكريم قال الواحدي أي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ما ذكر توبيخا له ومن ذلك أنه لما انزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل قال بعضهم الأولى بها أم قبيح واسمها العوراء وقيل أروى بنت حرب أخت ابي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر يملأ الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية أى تأتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا والله وما يقول الشعر أي ينشيه وفي لفظ

لا ورب هذا البيت ما هجاك واللّه ما صاحبي شاعر أي لا يحسن انشاءه فقالت له أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش أني بنت سيدها تعني عبد مناف جد أبيها اى ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لأحد أن يتجاسر على ذمه قال أبو بكر رضي اللّه عنه قلت يا رسول اللّه لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه وفي رواية أنه صلى اللّه عليه وسلم قال لأبي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فسألها أبو بكر فقالت أتهزأ بي واللّه ما أرى عندك أحدا وفي رواية أنها جاءت وهو صلى اللّه عليه وسلم في المسجد ومعه أبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى اللّه عليه وسلم أخذ اللّه على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر رضي اللّه عنهما فأقبلت على أبي بكر رضي اللّه عنه فقالت له أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني أنه هجاني واللّه لو وجدته لضربت بهذا الحجر فه فقال عمر رضي اللّه عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت انى لا أكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر رضي اللّه عنه اما تعلمه من اينه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر وانى لشاعرة أي فكما هجانى لأهجونه وانصرفت فقيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم انها لم ترك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لأنه قرأ قرآ نا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية أقبلت ومعها فهر وهي تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا * فقالت أين الذى هجاني وهجاز وجي واللّه لئن رأيته لأضربنه بهذين الفهرين قال أبو بكر يا أم جميل واللّه ما هجاك ولا هجا زوجك قالت واللّه ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول اللّه انها لم ترك فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى وقد جاء أنه صلى اللّه عليه وسلم قال كيف صرف اللّه عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد وفي الدر المنثور للجلال السيوطي أنها أتت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو جالس في الملأ فقالت يا محمد علام تهجوني قال واللّه اني ما هجوتك ما هجاك الا اللّه قالت أرأيتني احمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى اللّه عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم بها على عداوته وأن الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا واللّه أعلم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من أحمد يقال الهجاء

وتولت ومارأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل معنى كونها حمالة الحطب أنها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه فى طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كأنها الورقاء يعنى أنها جاءت وهى فى غاية السرعة والعجلة كأنها فى شدة السرعة والعجلة الحمامة الشديدة الاسراع يروى أنها لما بلغتها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى أخيها ابى سفيان اى بناء على ان امرأة ابى لهب هى أروى بنت حرب كما تقدم فدخلت فى بيته وهى مضطرمة اى محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس اى شجاع أما تغضب ان هجانى محمد فقال سأ كفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا أختى أيسرك ان رأس اخيك فى فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا لو قرب أبو سفيان من النبى صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت هذه السورة التى هى تبت يدا أبى لهب قال أبو لهب لابنه عتيبة بصيغة التصغير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتب رضى الله عنهما رأسك من رأسى حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعنى رقية رضى الله عنها لانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوهما عتيبة بالتصغير متزوجا بابنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها ايضا وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع فى صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وبقوله تعالى فى صلح الحديبية فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلأوذينه فى ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفى رواية برب النجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته اى طلقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفى رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها أبو طالب وقال ما أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه انكم قد عرفتم نسبى وحقى فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فأجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوا بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفى رواية فضغ رأسه وفى رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفى رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والأسد يسمى كلبا فى اللغة ومما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى وقد نحر بعض الناس جزورا وبقى فرثه اى روثه وكرشه فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى

هذا القذر يلقيه على محمد وفى رواية ألا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور بنى فلان
فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية أيكم
يأخذ سلا جزور بنى فلان الجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام
شخص من المشركين وفى لفظ أشقى القوم وهو عقبة بن أبى معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه
على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة
الضحك قال ابن مسعود رضى الله عنه فهبنا اى خفنا أن نلقيه عنه وفى لفظ وأنا قائم أنظر
لو كانت لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله
عنها بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته
عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ولما ألقته أقبلت عليهم
تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد وطأتك اى عقابك
الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اللهم عليك بأبى الحكم بن هشام يعنى
أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد
وأمية بن خلف وفى رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى
اللهم عليك بعمرو بن هشام الخ ما تقدم وفى رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان
اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم
الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بأبى جهل بن هشام الحديث قال ابن مسعود والله
لقد رأيتهم وفى رواية لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر
والمراد أنه رأى اكثرهم لأن عمارة بن الوليد مات بأرض الحبشة كافرا مسحورا مجنونا وعقبة
ابن أبى معيط أخذ أسيرا يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم
يطرح فى القليب بل أهالوا التراب عليه فى مكانه لانتفاخه وتقطعه ولا مانع أن يكون النبى صلى
الله عليه وسلم كرر هذا الدعاء وأتى به وهو قائم يصلى وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة
والمراد بسنى يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف
والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أى يخلط الدم بأوبار الابل ويشوى على النار
وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع
من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع
الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت السماء عليهم سبعا فشكى
الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءهم قالوا ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون اى لا نعود لما كنا فيه فلما كشف عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما
كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة
الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام

وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الأخيرة من العشاء قال البيهقي قد روى في قصة أبي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة ومرة بعدها الصحة كل من الروايتين وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية في البخاري ايضا لما أبطئوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شيء وفي رواية اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر رضي الله عنه وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه ووسطته اى جعلته وسطا فكان بيني وبين أبي بكر فأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعت في صدره فوقع على أسته ودفع أبو بكر أمية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه اى ينزل عليكم عاجلا قال عثمان رضي الله عنه فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر أي بأيدي الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر بالنظر الى غالبهم فلا ينافي كون عثمان رضي الله عنه تأخر بالمدينة لأجل مرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لأنه في حاجة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ايضا كون عقبة بن أبي معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا أي ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا

أن عقبة بن أبي معيط ولى على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفى رواية دخل عقبة بن أبي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلى فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وفى البخارى عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال قلت لعبد الله ابن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لأمر قط كصبرنا لأمر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يامعشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك وما بقى رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى اذا ناداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذى أقول ذلك فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبي بكر رضى الله عنه فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر رضى الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر رضى الله عنه يضربونه وقالت بنته أسماء رضى الله عنها فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاءانهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم

وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده اني بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه وعن فاطمة رضي الله عنها ابنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركو قريش في الحجر يوما فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا ضربة فقتله فسمعتهم فدخلت على أبي وأنا أبكي فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاهدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومنات واساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال يا بنية اسكتي وفي لفظ لا تبكي ثم خرج بعد أن توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم أصابه ذلك الا قتل ببدر وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص وأمية والد مروان وعقبة بن أبي معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى في داره فاذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم الا الحكم وكان في اسلامه شئ ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي مما يزيده رفعة وهي دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله

لا تخل جانب النبي مضاما * حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار اصلاء

ومما وقع لأبي بكر رضي الله عنه من الاذية ما ذكره بعضهم كما في السيرة الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سرا أي كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضي الله عنه في الظهور أي الخروج الى المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر رضي الله عنه بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر رضي الله عنه بنعلين مخصوفتين أي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر رضي الله عنه الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون

في موته أي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبي
بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال مافعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالي علم بصاحبك
فقال اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنه اي فانها كانت أسلمت وهي
تخفي اسلامها فاسألها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت
لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن
جاءت أبا بكر رضي الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق
واني لأرجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضي الله عنه مافعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها اي انها لا تفشي سرك قالت سالم قال أين
هو قالت في دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ علي حتى
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه
المسلمون كذلك فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله مابي من بأس الا ما نال الناس من وجهي
وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاها الى الاسلام فأسلمت وذكر الزمخشري في كتاب الخصائص العشرة أن هذه الواقعة
حصلت لأبي بكر رضي الله عنه لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد
ومما وقع لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه من الاذية ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمعوا يوما فقالوا والله ماسمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن
منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم
انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام
وقت طلوع الشمس وقريش في أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم
القرآن واستمر فيها فقالوا مابال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ماجاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءتها حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى
أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذي خشينا عليك منه فقال والله مارأيت
أعداء الله أهون علي مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم مايكرهون
ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية أنه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة
عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لأنهم تواصوا بذلك وقالوا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا
منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله عنه وهو
ماحدث به ابن اسحاق قال حدثني رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم

عندا لصفا وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه وقيل انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش اى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه اى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر فقالت له يا أبا عمارة وهى كنية لحمزة رضى الله عنه ويكنى أيضا بأبى يعلى لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه مايكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد وقيل التى أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذى تقولين قالت نعم وفى رواية لما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول مايقول فرد على ذلك ان استطعت وفى لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبى جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم عشيرة أبى جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنه رسول الله والذى يقول حق والله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله قد أسمعت ابن أخيه شيأ وبقى حمزة على اسلامه بعد أن وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انى وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه واقامة مثلى على مالا أدرى أرشد هو أم غى شديدة فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله فى قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك لصادق فأظهر يا ابن أخى دينك فوالله ما احب أن لى ما اظلته السماء وأنا على دينى الاول وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى حمزة كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها يعنى أبا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان أعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة اى أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم

لما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وأقبلوا على بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اى لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى أن الواحد منهم لا يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بأن رجلا أسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك أو يهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الاسود وأبي القيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضي الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة وقال حمزة رضى الله عنه بعد ان أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شر جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

وحين أسلم حمزة رضى الله عنه و رأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو سفيان بن حرب ورجل من بني عبد الدار وأبو البختري والاسود بن المطلب و زمعة والوليد ابن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي امية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأتوا منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يأمره بازالة شكواهم وان يجيبهم الى أمر فيه الألفة والصلاح فأحضره وقال يا ابن أخي هذا الملأ من قومك فاشكهم اى ازل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر

الذى يأتيك رئيا قد غلب عليك لبذلنا أموالنا فى طلب الطب أى العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بى ما تقولون ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى ان أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوا على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم وفى رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة وفى رواية أن عتبة قال يوما وكان جالسا فى نادى قريش والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا قالوا بلى فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم وفى رواية لقد فضحتنا فى العرب حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ما نريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانا فاسمع أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اى فيصير لك الامر والنهى وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن يقرنك لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت أبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا اسلامه فذهبوا اليه وفى رواية رجع اليهم فقال لهم أبو جهل أرى أبا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذى ذهب به ثم قالوا والله ما وراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمتم أنه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعونى واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم وفى رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفى رواية لما أكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا أبدا وفى رواية

أن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد اليهم فقال أبو جهل والله يا معشر قريش ما أرى عتبة الا قد صبأ الى محمد وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئنا الا انك قد صبوت الى محمد وأعجبك أمره فقص عليهم القصة وقال والله الذى نصبها بنية يعنى الكعبة ما فهمت شيأ مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدرى ما قال فقال والله ما هو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا له مرة عتبة بن ربيعة وحده وفى رواية لابن عباس رضى الله عنهما أن القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك يسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق وببعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشى فى الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك الا أن يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة أيضا ارجع الى دينا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه فى دنياك وآخرتك وقالوا له مرة أيضا ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هى قالوا نعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة فنشترك نحن وأنت فى الامر فان كان الذى نعبده خيرا مما تعبده أنت كنت أخذت منه بحظك وان كان الذى تعبده أنت خيرا كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر ما يأتينى من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين وعن جعفر الصادق رضى الله عنه أن المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك إلهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك إلهك سنة فنزلت اى لا أعبد ما تعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما أعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضى الله عنه ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا فى القرآن لو قال امرؤ القيس

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

وكرر ذلك مرتين أو اكثر فى نسق أما كان عيبا فكيف وقع فى القرآن قل يا أيها الكافرون الخ السورة وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولى دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله

تأمروني اعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد أنزل الله
ردا عليهم ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآيات وأنزل الله ايضا ما يكون لي ان أبدله من تلقاء
نفسي الآية وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم
أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ما جئت به فقالوا بلى والله وفي لفظ هل ترون بما أقول
بأسا فقالوا لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها
وكان رجلا أعمى وهو ممن أسلم بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم وقد رأى
منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يارسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه فشق
عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه وفي رواية أشار الى قائد
ابن أم مكتوم أن يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى
الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله في ذلك بقوله تعالى عبس وتولى
أن جاءه الأعمى الآيات فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويبسط له رداءه
وكان كفار قريش يقترحون على النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها
وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة في اسلامهم رجاء أن
يسلم الناس باسلامهم فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه في اعطائهم ما يسألون واظهار تلك
الآيات لهم وقد علم الله أنها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله وكانت جرت عادة الله
القديمة المستمرة في خلقه ان أقوام الأنبياء اذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذوا
بعذاب الاستئصال وكان في علم الله ان هذه الأمة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا لها
بنبيها صلى الله عليه وسلم فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم أن يؤخذوا
بعذاب الاستئصال قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون أي فأخذوا
بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لأخذوا كما أخذ الاولون ثم ان منهم من
هداه الله ومنهم من بقي على كفره وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر
وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم
سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهارا
كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب
فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل وفي رواية فان صدقوك وصنعت
ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم صلى الله
عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقالوا له فسل ربك يبعث

فعلت ملكا يصدقك فيما تقول و يراجعنا وفى لفظ قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا
بأن الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة
قبيلا واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى
فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلا بد أن تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من
ربك ان كنت رسولا وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشى فى الاسواق
ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم
سل ربك أن يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم
صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا يروى أن كثيرا من هذه الاشياء خاطبوه بها
فى آخر المجلس الذى كان مقبلا عليهم فيه حين جاءه ابن أم مكتوم وأبدلوا اللين الذى كان منهم
فى أول المجلس بالغلظة فأيس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا أسفا على ما فاته من
هدايتهم التى طمع فيها وممن آذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى امية المخزومى وكان ابن
عمته صلى الله عليه وسلم وهو أخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأمه عاتكة بنت
عبد المطلب وكان من أشد الناس عليه وهذا كله قبل اسلامه ثم أسلم رضى الله عنه عام الفتح
واستشهد فى غزوة الطائف قال للنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم يا محمد قد عرض عليك
قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك
ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله ان
نؤمن بك أبدا حتى تتخذ من السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك
اى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى
أصدقك فأنزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسراء فى قوله
تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة الى أن الله تعالى
خيره بين أن يعطيهم جميع ما سألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالأمم
السابقة وبين أن يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لأنه
صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سألوا فيستأصلوا
بالعذاب لأن الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى الله تعالى
فى كتابه العزيز كثيرا من مقالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى حكاية
عنهم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها أجاب الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك من
المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ولما استعظموا أن يكون الرسول
بشرا وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا مثلنا أنزل الله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى
اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا

أن أوحينا الى رجل منهم ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بأنهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الأمر عليهم ولو بقي على صورته لقضي الأمر عليهم بأخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا لقالوا ان ذلك سحر وقالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى اى فانهم لا يؤمنون وقال تعالى في الرد عليهم حين صاروا يسألون كتابا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالى حكاية عنهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله وقال تعالى في الرد عليهم في قولهم أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ولما أنكروا عليه التزوج بالنساء وطلب الذرية كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية والحاصل أن الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة يوهمون أنها حجة لهم ردها الله عليهم بأحسن الرد كما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا اى نزلناه كذلك اى مفرقا بحسب الوقائع لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ومما قالوه له أسقط علينا السماء كسفا اى قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وقالوا مرة بلغنا أن الذي يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى قل هو الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال تعالى ردا لسؤالهم رؤية ربهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وعن محمد بن كعب القرظي أن الملأ من قريش أقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل أنهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله أن يعطيهم ما سألوا فأتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها

الا أمرت بعذابهم وفى رواية أتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وان شئت أن لا يصيرلهم الصفا ذهبا فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفى رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال بل حتى يتوب تائبهم وانما وافق صلى الله عليه وسلم على فتح باب التوبة والرحمة لأنه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات وأخبار الأمم السالفة كما قال تعالى أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الأنعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان فى ذلك لآية وقال فى آخرها أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وهم يعلمون أن الذى جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك الا بعد أن بلغ أربعين سنة قال تعالى ردا عليهم فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى فى قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى فى قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال فى شأن آدم عليه السلام ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين ثم بين قصة الملأ الأعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من أخبار الأنبياء والأمم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا عليه خلافا فى كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان أبو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فأنزل الله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله والحاصل أنها تحيرت عقولهم فيما جاء به صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم

قال انه سحر وكهانة وأساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبدا لبني الحضرمي نصرانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء
أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتي به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت * في حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم * عن حروف أبان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى أعجب الزراع منها سنابل وزكاء
فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله الفصحاء *

وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد وأترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفي وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعني مكة والطائف فأنزل الله تعالى وقالوا لولا نزل اي هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون وفي رواية قال بعضهم كان الأحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول اي التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا احبار اليهود وقالا لهم أتينا كم لأمر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الله وفي لفظ

رسول

رسول الرحمن قالوا صفوا الناصفانه فوصفوا فقالوا من تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم
وقال هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم أحبار اليهود سلوه
عن ثلاث فان أخبركم بهن على ما هي عليه بأن بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبي مرسل
وان لم يفعل فتقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول يعنون بذلك أهل الكهف فانه كان لهم
حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبئه
يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ما هي فاذا أخبركم بحقيقة الاولين وبعارض من
عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم
قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم
وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن اى لم يقل ان شاء الله
تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحي
وتكلم قريش في ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه
أبي لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك أى تركك وأبغضك وفي رواية قالت
امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل
بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف وخبر الرجل الطواف وهو
ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور في سورة الاسراء وهو أن الروح من أمر الله
قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي اى من علمه لا يعلمه الا هو وكان في كتب
أهل الكتاب أن الروح من أمر الله اى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من
خلقه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه
هذه الآية فهي مما تكرر نزوله وعاتب الله النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الكهف على
تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل غدا الا أن يشاء الله
واذكر ربك اذا نسيت وأنزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وأبغضه فكبر صلى الله
عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر على ذلك التكبير في بقية السور بعدها الى آخر القرآن
ولما أجابهم صلى الله عليه وسلم عما سألوا ازدادوا بغيا وكفروا ونسبوه في ذلك الى السحر
والكهانة ومن الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وسلم لهم وهي من أعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم قصة الزبيدي قال الحلبي في السيرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد
هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول
يا معشر قريش كيف تدخل عليكم الميرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل اى ينزل بساحتكم
تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم ومازال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر
أنه قدم بثلاثة أجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث أثمانها ثم لم يسمها الأجله سائم قال

فأكسده على سلعتي فظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أجمالك قال هذه هي
بالحزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر الى أجماله فرأى جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه
وسلم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها
بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس في ناحية
من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم
لأبي جهل اياك يا عمرو وأن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود
يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبي جهل أمية بن خلف
ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه
فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله
معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لأتوا على نفسي ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم
فأكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل بعد ان بعثه كفار
قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء ما يخلصك من أبي الحكم الا هذا يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لأبي جهل في ذلك
فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعنني ونظير ذلك بل
أعجب منه قصة الاراشي وحاصلها ان أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة
نسبة الى اراشة بطن من خثعم أجمالا فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم
لينصفه من أبي جهل استهزاء منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لزعمهم أنه لا قدرة له على أبي
جهل وكان ذلك بعد ان وقف على ناديهم وقال يا معشر قريش من يعينني على أبي الحكم بن
هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له
حاله مع أبي جهل فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام غلبني
على حق لي قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي بحقي منه
فأشاروا اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله فقام النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى أبي جهل
وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أي تغير وصار كلون النقع
الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له
فدخل وأخرج ما هو لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على أهل ذلك
المجلس الذين بعثوه الى النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله
عليه وسلم فقد والله أخذ لي بحقي وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله
عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رأيت فقال رأيت عجبا من أعجب
العجب والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا مرعوبا وكأنه ليس معه روحه فقال

أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه
فعند ذلك قالوا لأبي جهل ما رأينا مثل ما صنعت فقال ويحكم والله ما هو الا أن ضرب على بابي
وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلا من الابل ما رأيت مثله قط
لو أبيت أو تأخرت لأكلني والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي * وقد ساء بيعه والشراء

ورأى المصطفى أتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء

هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

وقوله هو ما قد رآه من قبل وذلك لما أراد عدو الله أن يلقي الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ساجد فيبس الحجر في يده ورجع القهقرى وهو ممتقع اللون كما تقدم وأخبر بأنه رأى عنق
الفحل لو تقدم لاختطفه عضوا عضوا وأبو جهل كان من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم
وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم انا كفيناك المستهزئين وما تقدم بعض من استهزائه
ومن استهزائه ايضا أنه سار في بعض الاوقات خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بأنفه وفمه
يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك الى أن مات قال ابن
عبد البر كان المستهزئون الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش
الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم والعاصي بن وائل
السهمي والحارث بن قيس بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في
الجاهلية قيل انه أسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث
ابن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن عبد العزى
ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية أعني انا كفيناك
المستهزئين لانه انما هلك كافرا يوم بدر وفي رواية أنهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن
أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن
أبي معيط به صلى الله عليه وسلم أنه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى
الله عليه وسلم كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتياني بالفروث
فيطرحانها على بابي ومن استهزائه ايضا أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه
على وجهه وصار برصا قال الحلبي في السيرة كان صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن أبي
معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه
وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال ما أنا بآكل
طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله
فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف
فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ما صبوت ولكن دخل

منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا في وجهه أنه صار كالبرص وأنزل الله في حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله يعض أنه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الأخرى فتنبت الأولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن العاص أنه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لأبي جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج أنفه وفمه بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شئ وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيري من الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد و بعد أن نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف بقي به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذي توفي فيه طلب عثمان رضي الله عنه وأخبره بأشياء تقع له وقال له انه سيقمصونك قميصا ويريدون منك خلعه فاحذر أن تخلعه حتى تلقاني على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التي تصيبه وأمره بالصبر قيل انه في ذلك المجلس استأذن من النبي صلى الله عليه وسلم في ارجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الأمر اليه فأذن له فلما كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سأل عثمان أبا بكر رضي الله عنه أن يرجعه وأخبره بأن النبي صلى الله عليه وسلم وعده بذلك فقال أبو بكر رضي الله عنه لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة أبي بكر رضي الله عنه ولما أدخله عثمان رضي الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده وكان في رجوعه تأسيس للبلوى التي وقعت لعثمان رضي الله عنه فان منشأها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم في أفعاله الذي لا يسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما في بعض شراح الشفا

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضى بما حكم الصديق فى الحكم

قال الشهاب الخفاجى بعد ان صح أن عثمان رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلا وجه فى التشنيع عليه بذلك والطعن فى خلافته كما زعم الشيعة مع أن عثمان رضى الله عنه علم أنه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضى الله عنه فى ذلك والأمور الاجتهادية لا اعتراض بها وعن هند بن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفى رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدى استأذن الحكم بن أبى العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنة الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وكان لا يولد لأحد بالمدينة ولد الا أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه لأنه يحتمل أنه اتى به اليه صلى الله عليه وسلم ولم يأذن بادخاله عليه بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفى كلام بعضهم أنه ولد بالطائف بعد ان نفى أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أبيك وجدك أى الذى هو العاص بن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن وقد ولى مروان الخلافة تسعة أشهر ولما امتنع عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى ان أخرج فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له أما انت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه تشير الى ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن أبى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل لأمتى مما فى صلب هذا وعن عمران بن جابر الجعفى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر والأحاديث الواردة فى ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان ومعاوية رضى الله عنهما لفضيلة صحبتهما النبى صلى الله عليه وسلم مع ماورد فيهما من الفضائل وأيضا لم يصدر منهما شئ من الظلم وانما صدر عمن بعدهما ولذلك قال القاضى عياض رحمه الله فى الشفا وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضى الله عنه وبملك

بني أمية تغاير بين الحالتين في التعبير لان الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وأوصى صلى الله عليه وسلم معاوية رضي الله عنه اذا تملك بالعدل والرفق قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فمازلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن معاوية رضي الله عنه قال ماحملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فأحسن وروى أنه رضي الله عنه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل فكان رضي الله عنه على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال أبو الدرداء رضي الله عنه ان معاوية سمع كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وأما ذم بني أمية من بعده فجاءت فيهم أحاديث كثيرة منها مارواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أوثلاثين اتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا وهو مايتداول اي يأخذه واحد بعد واحد والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لأمتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا أنه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الأمة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى في المنام بني أمية على منبره الشريف فأساءه ذلك فأنزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني أمية كان ألف شهر فأعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب قال في السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزي كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا أي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ماذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة أن يضرب خبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه عليه في يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على مافعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لي وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ومعه ابن عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي ياأمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فاني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم أشهدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية رضي الله عنه فكلمه فيها فلما أدبر قال معاوية رضي الله عنه أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم وقد ولي الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه فعمرو وابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ومن استهزائه أن خباب بن الارت رضي الله عنه كان قينا بمكة اي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فأنظرني الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك آثر عند الله ولا أعظم حظا في ذلك وفي لفظ أن العاص قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول ومن استهزاء الاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى أنه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ويصفرون اذا رأوهم ومن استهزاء الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبي جهل وكان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لأجل طعام غير ناره وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أي في الشرف

والسودد والجاه والرياسة واياه عنى سبحانه بقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات في سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد لأنه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بأنه بري من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفيرا للناس عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحاق والحاكم والبيهقي باسناد جيد أنه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يامعشر قريش قد حضر تم هذا الموسم وأن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا أنت أنم لنا رأيا نقوله فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ماهو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيأ الا أعرف أنه باطل وان أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون في سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها بل في جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الانصار وأمر الهجرة ما كان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقاني فانظر هذا اللعين يعني الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا في قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم الآيات وفي قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر ومن استهزاء أبي لهب به صلى الله عليه وسلم أنه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يوم من الايام رآه أخوه حمزة رضي الله عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفضه ويقول صابئ أحمق ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في أول أمره في منازلهم يقول ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يتبعه اذا مشى يقول ياأيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة

الزرقانى فانظر هذا الابتلاء فى الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لأن العرب كانت تقول
قوم الرجل أعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذى أحد ما أوذيت لانه صلى الله عليه وسلم
أصيب من قومه بأكبر البلاء آذوه أشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون
وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة فى كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على
رأسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه وسلا الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا فى
الايذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له أمرت
أن أكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم كيف تجد هذا
فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال قد كفيته فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق
بثوبه سهم فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لأخذه تكبرا وتعاظما فأصاب عرقا فى عقبه
فمرض فمات كافرا ثم مر العاص بن وائل السهمى فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء
فأومأ الى أخمصه وقال كفيته فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى وفى رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحارث بن قيس السهمى فقال كيف
تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال قد كفيته وقيل أشار الى أنفه فامتخط قيحا
فمات وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث
فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد
فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره وقيل
أشار جبريل الى بطنه بأصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج فى رأسه قروح فمات قال
الزرقانى ويمكن أنها بسبب نطحه الشجرة وقيل خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار
وحشيا فأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات
عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له ثم مر الاسود بن مطلب فقال كيف تجد
هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضى الله عنهما رماه
بورقة خضراء فعمى بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب
برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلنى رب محمد وفى رواية أنه خرج ليستقبل ولده وقد قدم
من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه
بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيأ وقيل ضربه
بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا الطعن بالشوك فى عينى فيقال له ما نرى
شيأ وقيل أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا على محمد بالعمى
فاستجيب له وزاد بعضهم وهلك أبو لهب بالعدسة يعنى الجدرى وهى ميتة شنيعة وعقبة بن أبى
معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله
تعالى انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أي * عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا في ليلة واحدة فعلم أن هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كماذكر وان كان المستهزئون غير منحصرين فيهم فلا ينافي أن منبها ونبيها ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فائت بملك يشهد لك ويكون معك واذا ذكراه ما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي ايضا عد أبي جهل وغيره منهم كما تقدم وفي السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدة من استهزأ بمحمد وأصحابه ومن استهزاء أبي جهل ايضا بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم اكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم على واحد منهم وفي رواية أن رجلا من قريش وكان شديدا قوي البأس بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح قال له أنا أكفيك سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين وقيل ان هذا الرجل دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفي رواية ان أبا جهل قال لهم أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والحصر ماذكره فهم اى لا ينبغي أن تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد لأن ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين حكما لذلك تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي اى القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لأحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار وما من أحد في النار الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لاذابها

وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم أتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ومن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أي والمتبادر أن هؤلاء من خزنتها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم ومن استهزاء أبي جهل ايضا أنه قال يوما لقريش يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة في النار مع أن النار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم اي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظها لها من الاحتراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما تحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مرّ له زفرة وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء أبي جهل قوله يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل وفي الدر المنثور للجلال السيوطي في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بأصبعه في أجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع احد أن يدنو منهم حتى ماتوا قال الحلبي فلينظر الجمع أي بين هذا وما تقدم ثم قال وقد يدعى أنهم طائفة آخرون غير من ذكر لأنهم المستهزئون ذلك الوقت اي فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم ومن استهزاء النضر بن الحارث أنه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين ويقال انه قال سأنزل مثل ما أنزل الله لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث والمشهور أنها في شراء المغنيات ولا بدع أن تكون الآية نزلت فيهما معا لتحققه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين وأنزل الله تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا له وجاء أن جماعة

من بني مخزوم ومنهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي اذ سمعوا قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك فأتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من امامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وقيل في نزولها غير ذلك ولا مانع من أن تكون نزلت للكل وجاء أن النضر بن الحارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل من ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فأغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى أسودا تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي أباجهل فقال من أين فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره ومما تعنتوا به أنه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أى وقودها وحصب بالزنجية حطب أى حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى أنا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه له فقال يا محمد هذا الشيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم أن عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح والملائكة فضج الكفار وفرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى ما أجهلك بلغة قومك مالما لا يعقل يعني ما في قوله تعالى وما تعبدون وأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون كعيسى وعزير والملائكة وهذا الحديث ان صح كان نصا من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ✱ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر قيل انهم سألوه آية غير معينة فانشق القمر وقيل بل سألوه آية معينة وهي انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بأنهم سألوا آية غير معينة أولا ثم عينوها بانشقاق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فاشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قيقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا وفي رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفي رواية أنه عاد بعد غروبه وفي رواية فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار

قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من
سحره أن يسحر الارض كلها اى جميع أهل الارض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا
القادمين من كل فج هل رأوا هذا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر
مستمر أى مطرد وهذا الكلام صريح فى أن رؤية الانشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق
لا أنها مختصة بأهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وسيأتى ان شاء الله هذه القصة
بأبسط مما هنا عند ذكر المعجزات فى آخر الكتاب ومن الآيات التى ظهرت على يديه صلى الله
عليه وسلم فى أول البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى
الصحابى المكى أسلم رضى الله عنه عام الفتح وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة
اثنتين وأربعين من الهجرة وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث
أنه لم يصرعه أحد قط ولا يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم صارعه
فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بواد وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج
صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له
أنت الذى تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بينى وبينك قتلتك ولكن ادع الهك أن
ينجيك منى اليوم وأنا أدعوك لأمر وهو أن تصارعنى وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان
غلبتنى فلك من غنمى هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعنى
وانما غلبنى الهك وخذلانى اللات والعزى وما وضع جنبى على الارض أحد قبلك ولكن عد فان
صرعتنى فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها
ثلاثين من غنمى تختارها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى
الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا أن ترينى آية فقال له ان رأيتك آية تسلم قال نعم وكان
بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه
صلى الله عليه وسلم ويدى ركانة فقال أريتنى أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها
فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له
أسلم فقال اكره أن يتحدث نساء المدينة يعنى مكة وصبيانها بأنى أجبتك لرعب قلبى منك ولكن
الغنم لك فقال له لا حاجة لى بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر رضى الله عنه فقال
للنبى صلى الله عليه وسلم تخرج الى هذا الوادى وبه ركانة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر
أبا بكر رضى الله عنه بالقصة فتعجب أبو بكر رضى الله عنه وتقدم أنه لم يسلم ركانة الا عام الفتح
رضى الله عنه

باب فى بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين

قال فى المواهب وشرحها ما زال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا هو والمسلمون فى دار الارقم

حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو وأصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوة وهي المدة التي أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمره الى أن أمره الله باظهاره فبادى قومه بالاسلام وكرر ذلك وأكده وبالغ في اظهاره حتى كأنه صدع قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل قال الزهري كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها ما دخل المسجد وما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فأجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب أي عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الأمر بين القوم وضرب بعضهم بعضا وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت اي تشاورت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكان ذلك باغراء من أبي جهل لعنه الله كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه فممن عذب في الله لأجل أن يفتتن في دينه فثبت عمار بن ياسر رضي الله عنهما كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف عن ظهر عمار فوجد أثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بأن النار تكون عليه بردا وسلاما وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وفي رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية أم عمار لأبي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتتن في دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها في فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها ما آمنت بمحمد الا انك عشقتيه لجماله قيل انها أول شهيد في الاسلام رضي الله عنها وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء أن عمارا رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبي صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار وكانت أمه سمية سابعة سبعة في الاسلام وقتلت وهي عجوز كبيرة ورؤي مرة في ظهر عمار رضي الله عنه أثر

كالمخيط

كالمخيط فسئل عنه فقال هذا ما كانت تعذبني قريش في رمضاء مكة وجاء أنهم بعد ان قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله ان الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وروى أنه كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة على رضي الله عنه وقتل بصفين وو ردت في فضائله أحاديث كثيرة رضي الله عنه وممن كان يعذب في الله خباب بن الارت رضي الله عنه ففي البخاري عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت أيضا رضي الله عنه يحكي عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا لي نارا ووضعوها على ظهري فما أطفأها الا ودك ظهري اى دهنه وكان خباب رضي الله عنه قينا أي حدادا وكان قد سبي من أهله في الجاهلية فاشترته امرأة تسمى أم أنمار فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تأخذ الحديدة وقد أحمتها في النار تضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكانت تأمر خبابا فيأخذ الحديد فيكوى به رأسها وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه وهم كثيرون منهم بلال رضي الله عنه وكان مولى لأمية بن خلف الجمحي واشترى حمامة أم بلال رضي الله عنها وعامر بن فهيرة رضي الله عنه وأبا فكيهة رضي الله عنه وجارية بني المؤمل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وأمة بني زهرة فمما كان يعذب به بلال رضي الله عنه ما رواه ابن اسحاق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي الرمل اذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيأبى ذلك وقيل ان بلالا رضي الله عنه كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن جدعان بهم فأخرجوا من مكة خوف اسلامهم وأخرجوا الا بلالا رضي الله عنه فانه كان يرعى غنمه وبكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التي حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله ابن جدعان قالوا له أصبوت قال ومثلي يقال له هذا فقالوا له ان أسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال رضي الله عنه ويجوز أن يكون

ابن جدعان بعد ذلك ملكه لأمية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافى ما تقدم وقدمر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال ورقة نعم أحد أحد والله يا بلال ثم اتى ورقة بن نوفل قال لأمية والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومترحما يروى أن بلالا رضى الله عنه حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل و يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول وا كرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبى محمد الشقراطى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد * أحله الصبر فيها أكرم النزل
اذ أجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطلل
ان قد قد ظهر ولى الله من دبر * فقد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه ما التعذيب بقدة فقد جوزى عدو الله أمية بقد قلبه يوم بدر لأنه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال عبد الرحمن رضى الله عنه فتسابقوا اليه فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه علي لأشغلهم به فقتلوه دونه فقتلوه ثم تبعونا وكان أمية رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت نفسى عليه لأمنعه فتخللوه بأسيافهم حتى قتلوه أى ضربوه بأسيافهم فشوه ضربهم بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم الاسنان فعلم أن النصر مع الصبر لما صبر بلال على تعذيبه له كان قتله على يديه تحقيقا لقول الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون ألا ان حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين قيل ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه هنى بلالا بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * لقد أدركت ثارك يا بلال

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال قال أبو قحافة والد أبى بكر رضى الله عنهما أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك و يقومون دونك فقال يا أبت انما أريد ما عند الله فأنزل الله تعالى فأما من أعطى واتقى الى آخر السورة قال فى السيرة الحلبية مر أبو بكر رضى الله عنه ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال أبو بكر رضى الله عنه لأمية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر رضى الله عنه عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قبلت

هولك فأعطاه أبو بكر رضي الله عنه غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وفي تفسير البغوي قال
سعيد بن المسيب بلغني ان أمية بن خلف قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في بلال حين قال
أتبيعنيه قال نعم أبيعه بقسطاس يعني عبدا لأبي بكر رضي الله عنه كان تحت يده لأبي بكر رضي
الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يأبى الاسلام فاشترى أبو بكر
رضي الله عنه بلالا به ويروى أنه لما ساوم أبو بكر رضي الله عنه أمية بن خلف في بلال قال
أمية لأصحابه لألعبن بأبي بكر لعبة ما لعبها أحد بأحد ثم تضاحك وقال اعطني عبدك قسطاس
قال أبو بكر رضي الله عنه ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى
تعطيني معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني
ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى تزيدني مائتي دينار
فقال أبو بكر رضي الله عنه أنت رجل لا تستحيي من الكذب قال واللات والعزى لئن أعطيتني
لأفعلن قال هي لك فأخذها وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بلالا فأعتقه وقيل اشتراه بسبع
أواق وقيل برطل من ذهب وقيل غير ذلك يروى أن سيده قال لأبي بكر رضي الله عنه بعد
شرائه لو أبيت الا بأوقية لبعنا كه اى لو قلت لا أشتريه الا بأوقية لأخذته فقال له أبو بكر رضي
الله عنه لو طلبت مائة أوقية لأخذتها به ولما قال المشركون ما أعتق أبو بكر بلالا الا ليد كانت له
عنده فكافأه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى آخر السورة فقوله فأما من أعطى واتقى
وصدق بالحسنى فهو أبو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فهو أمية
ابن خلف وقوله لا يصلاها الا الأشقى هو أمية وقوله وسيجنبها الأتقى هو أبو بكر وفي قوله
الأتقى تصريح بأنه أتقى البرية اذ التقدير الأتقى من كل أحد لأن الحذف يفيد العموم والمراد
من كل أحد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر
رضي الله عنه اشترى بلالا قال له الشرك يا أبا بكر فقال قد أعتقته يا رسول الله أي لأن بلالا
رضي الله عنه قال لأبي بكر رضي الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني وان
كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى فأعتقه ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم
لقي أبا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضي الله عنه
فاشتراه فبعث به الى أبي بكر رضي الله عنه أي ملكه له بثمنه فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذه
الأقوال ويمكن أن يقال ان العباس رضي الله عنه رغب أمية في بيع بلال فلما ظهر له الرضى
ببيعه أرسل الى أبي بكر رضي الله عنه لعلمه برغبة أبي بكر في شرائه وعتقه فأطلق على ذلك أن
العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اشترى أبو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين
ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب
في الله حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من قرابة أبي بكر رضي الله عنه ومنهم
أبو فكيهة وكان عبدا لصفوان بن أمية أسلم حين أسلم أبو بكر رضي الله عنه فمر به أبو بكر

رضى الله عنه وقد أخذه صفوان بن أمية وأخرجه نصف النهار فى شدة الحر مقيدا الى الرمضاء
فوضع على بطنه صخرة فأخرج لسانه وأبى بن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتى يأتى محمد ا
فيخلصه بسحره فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه وأعتقه وممن كان يعذب فاشتراه أبو بكر رضى الله
عنه أم عبيس وكانت أمة لبنى زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهرى يعذبها فاشتراها
أبو بكر رضى الله عنه وأعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها الطيفة قيل كانت بنتها للوليد بن
المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة أو أمه وكانت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن
يسلم وكان يعذبها فمر أبو بكر رضى الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه
أبو بكر رضى الله عنه ثم اشتراها وأعتقها وكذا اشترى ابنته جارية المؤمل بن حبيب وأعتقها
واشترى أيضا الزنيرة على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت أمة لعمر بن الخطاب
رضى الله عنه قبل أن يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى الا الاسلام وكان أبو جهل
لعنه الله يقول ألا تعجبوا الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه
أفتسبقنا زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضا لو كان خيرا ما سبقتنا زنيرة أى ومن
كان مثلها فأنزل الله فى شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا أى مشيرين اليهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة
عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى وجاءها أبو جهل لعنه
الله وقال لها انما فعل بك ما ترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله
ما هو كذلك وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على
أن يرد على بصرى فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد
فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم
أدراع الحديد ويطرحوهم فى الشمس لتؤثر حرارتها فيهم وأما النبى صلى الله عليه وسلم فمنعه
الله بعمه أبى طالب وبما كان يظهره الله لأعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث
جبريل فى صورة فحل ليلتقم أبا جهل وأما أبو بكر رضى الله عنه فمنعه الله بقومه من توالى
الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى وسيأتى أنه أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها
ثم جلس وأما المستضعفون فصاروا يعذبونهم بأنواع العذاب ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه فى الهجرة الى الحبشة روى ابن اسحاق أن سبب الهجرة الى الحبشة أنه صلى الله
عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى
أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما
أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة فى الاسلام وذلك
فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذو وعدد منهم من هاجر بنفسه وحده ومنهم من
هاجر بأهله فممن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت

النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما وأبو سلمة بن عبد الأسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنهما وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغما كل منهما لأبيه فارّين بدينهما فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن أبي حذيفة وممن هاجر بأهله عامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية رضي الله عنهما ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لانها مولاة أبيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو العامريان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه مع امرأته رقية رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط عليه السلام ثم أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضي الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شئ قد يرى انسان * رقية وبعلها عثمان

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضي الله عنهما في حاجة وقيل بطعام ليحمله اليهما فأبطأ عليه الرسول فلما جاء قال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذي بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضي الله عنها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء في وصف عثمان رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان أردت أن تنظر في أهل الارض شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضي الله عنه وجاء في فضله رضي الله عنه أن لكل نبي رفيقا في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولما وصلوا الحبشة أكرمهم النجاشي وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فأراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لأبي بكر رضي الله عنه أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل

وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية فى أشراف قريش فقال ان أبابكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيأ من ذلك وأجازوا جواره وقالوا مر أبابكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لأبى بكر رضى الله عنه ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر رضى الله عنه يعبد ربه فى داره ولا يستعلن به مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه أى يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا بكاء اذا قرأ لا يملك عينيه فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا أبابكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره وهو قد بنى له مسجدا وأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أى نغدرك فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر رضى الله عنه وقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترد على ذمتى وجوارى فانى لا أحب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر رضى الله عنه لابن الدغنة فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى اى حمايته قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفى الحديث من فضائل الصديق رضى الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها كموافقة ابن الدغنة فى وصف الصديق رضى الله عنه لخديجة رضى الله عنها فيما وصفت به النبى صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحى عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضى الله عنه واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال وجاء فى بعض الاحاديث كنت أنا وأبو بكر كفرسى رهان فسبقته الى النبوة فتبعنى ولو سبقنى لتبعته يعنى لو جاءته النبوة لتبعته وجاء فى بعض الاحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبابكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم فى شهر شوال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم وسبب شيوع هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ بحضرة من قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد فى آخرها فلما سجد سجد معه المشركون الا رجلا واحدا وهو أمية بن خلف أخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من أن يسجد وقال يكفينى هذا والصحيح فى سبب سجودهم أنهم توهموا أنه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وقيل ان الشيطان ألقى فى أسماعهم فى خلال القراءة بعد قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات

أعني تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا انها كذب لا أصل لها وطعنوا في الاحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم انما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها أنها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل الشيطان ألقاها الى أسماعهم ايفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهذا هو المراد من قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم و يتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الأمر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآيات ولا اشكال حينئذ في الآية والله سبحانه وتعالى أعلم واما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بأرض الحبشة وقالوا ان المسلمين قد أمنوا بمكة من الاذى فاقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوه بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم اى تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهدا بأهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع الى الحبشة وعن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة المخزومي فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد ردّ على الوليد جواره وقال أكتفي بجوار الله فبينما هو في مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضي الله عنه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت فقال

* وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش متى كان يؤذي جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على ردّ جواره وقال له قد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان ان عيني الأخرى الى ما أصاب أختها لفقيرة وقال الوليد عد الى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الأولى عند بلوغهم خبر اسلام قريش أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة رضي الله عنها قبل أن يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل في جوار خاله أبي طالب فمشى الى أبي طالب رجال من

مخزوم اى جاؤا اليه وقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فمالك ولصاحبنا تمنعه منا بدون أخذه وتعذيبه فقال لهم أبو طالب انه استجار بي وانه ابن أختي وأنا ان لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي وقام أبو لهب مع أبي طالب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه لتنتهن أولأقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وأجاز واذلك الجوار خوفا من أن يكون أبو لهب مع أبي طالب في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن أبا لهب كان مع قريش في منابذة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداته فكان أبو لهب لقريش وليا وناصرا فخافوا من خروجه من بينهم ولما نصر أبو لهب أبو طالب في هذه القصة طمع أبو طالب في أن يكون أبو لهب معه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ أبياتا يحرضه فيها على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة أن قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله اى غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر زوجها هناك ثم مات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضي الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت رأيت في المنام آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أنه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فألقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فأمرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سيأتي ان شاء الله وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشي على أحسن مقام بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولكن المحققون على ان عبد الله ابن أبي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وانما كان معه في سفرة أخرى وهي التي بعد وقعة بدر كما سيأتي وأما هذه السفرة فالرسولان فيها عمرو وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذي أرادت قريش دفعه لأبي طالب يربيه بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع أولئك النفر هدية للنجاشي فرسا وجبة ديباج وأهدوا اهدايا لعظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء مطلبهم وهو أن يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل أجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا

أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قريش ليردهم اليهم قال وأين هم قالوا بأرضك فأرسل في طلبهم وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم أعرف بحالهم فقال لهم لا والله حتى أعلم على اى شئ هم فقال عمرو وهم لا يسجدون لك وفي رواية لا يخرون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا له قال لهم جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وفي رواية لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وانما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بأمان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك لا تسجدوا فقال عمرو وعمارة ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به الملك وفي رواية أخرى لم يذكر فيها أن الملك قال لهم لا تسجدوا وذكر بدله أن عمرو بن العاص قال للنجاشي ألا ترى أيها الملك انهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود فقال النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لأن الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا ان تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لأن الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة اى مطلق الصدقة لأن زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم العذراء يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن الله قال النجاشي فما تقولون في ابن مريم وأمه قال جعفر نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين لا يزيدون على ما تقولون اشهد أنه رسول الله وأنه المبشر به عيسى في الانجيل ومعنى كونه روح الله أنه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله أنه قال له كن فكان وفي رواية أن النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ما ذكر هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فأكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضيه اى أغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي رواية قال لهم اذهبوا فأنتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا اى غرم أربعة دراهم أو ضعفها وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما وفي رواية

أن النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دبر من ذهب اي جبل وان أوذي رجلا منكم ردوا عليهم
هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة
وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى عليه السلام
وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد بينت عائشة رضي الله عنها
السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو أن والد النجاشي كان
ملك الحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان
لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا أن يتولى
عليهم فيقتلهم بقتلهم لأبيه فمشوا لعمه في قتله فأبى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت
على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة أن لا يصلح أمرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند
الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفي رواية ما يقتضي أن
الذي اشتراه رجل من العرب وأنه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة
وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتي أنه عند وقعة
بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب
والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث لعبده
نعمة وجب عليه أن يحدث لله تواضعا وأن الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي
أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له
الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة وأن الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه
وذكر السهيلي أنه كان اذا قرئ عليه القرآن يبكي حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول
مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن وعن جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه قال لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى
ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي
هدايا مما يستطيعون من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما كثيرا ولم
يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا اليه هدية اي هيأوا له هدية ولا يخالف ما تقدم من أن
الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة
للملك وبقية الادم فرق على أتباعه ليعاونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة
في الرواية السابقة لأن ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون
من النجاشي أن يسلمنا اليهم اي قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لأنهما لما أوصلا هداياهم
اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الينا قبل أن يكلمهم موافقة لما
وضب عليه قريش فقد ذكر أنهم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي
فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم فلما جاآ الى الملك قالا له

أيها الملك قد صبا الى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين
مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه منا
الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم
فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم اليهما ليرداهم
الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاها الله اى لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم
جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من
أمرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قال
جعفر رضى الله عنه ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون
للملك قلنا لا نسجد الا لله تعالى فقال النجاشي ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في
ديني ولا دين أحد من الملوك قلنا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة
ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك
حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع اى نترك ما كان يعبد آباؤنا من
دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده وأمرنا بالصلاة اى ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي والزكاة اى مطلق الصدقة والصيام اى ثلاثة أيام من كل شهر لأن صوم
رمضان انما فرض بالمدينة وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار
والكف عن المحارم والدماء اى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف
المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام
واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك
واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك
شيء مما جاء به قلت نعم قال فاقرأ علي فقرأت عليه صدرا من كهيعص اى لكونها فيها قصة مريم
وعيسى عليهما السلام فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته وفي رواية هل
عندك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه علي قال البغوي فقرأ عليه سورة
العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث
فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذى جاء به موسى وفي رواية ان هذا
والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام كان مقررا
لما جاء به موسى وفي رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما في رواية أنه قال ما زاد هذا على ما في
الانجيل الا هذا العود مشيرا العود كان في يده أخذه من الارض وأنزل الله في النجاشي وأصحابه
واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآيات في سورة المائدة وفي رواية أن جعفرا قال للنجاشي
سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل أحرار

فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا ولو أعطيتموني ديرا من ذهب اى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اى أتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسى قولا عظيما اى يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله وفى لفظ أن عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه في كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ذلك اى أجابه بما تقدم في الرواية الأولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل ويمكن أن يقال أن مجالسهم ثلاث تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضى الله عنهما وروى الطبراني عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه بسند فيه رجال الصحيح أن عمرو بن العاص مكر بعمارة ابن الوليد أى للعداوة التى وقعت بينهما في سفرهما اى من أن عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وهى في السفينة فقال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني أى تقبلني فقال له عمرو ألا تستحى فأخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة فأضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر تردده اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشي وأخبره بذلك فقال ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا أنه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى أن مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأن بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنه في المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضى الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره حتى أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول أرسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر ان شاء الله ثم أرسلوا للنجاشي عمرو بن العاص ايضا وعبد الله بن أبي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة هذا

وهو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هي أم أبي جهل بن هشام فهو أخو أبي جهل لأمه فأرسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان في الهجرة الأولى للحبشة والصواب أن ارسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن أبي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله بن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين

ذكر اسلام عمر رضي الله عنه

قد انجر الكلام من الهجرة الأولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضي الله عنه انما كان بعد الهجرة الأولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحاق أسلم عمر رضي الله عنه عقب الهجرة الأولى الى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس وقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضي الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغني اسلام أختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب انك تزعم انك هذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال وماذاك قال أختك قد صبأت فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختي رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبأت أي خرجت عن دينك ثم ضربتها وفي رواية أن عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت أتضربني يا عدو الله على أن أوحد الله لقد أسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضي الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وأنا مغضب فنظرت فاذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب أعطينيه أنظره وكان عمر قارئا فقالت له لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال فلم أزل بها حتى أعطتنيه وفي رواية قال أعطوني هذه الصحيفة اقرأها وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الكتب قالت أخته لا أفعل قال ويحك وقع في قلبي مما قلت فأعطينيها أنظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى

تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال أتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم انى أرجو أن يهدى الله أخى فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى وجعلت أفكر من اى شئ اشتق اى أخذ ثم رجعت الى نفسى وأخذت الصحيفة فاذا فيها سبح لله ما فى السموات والارض فجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وفى رواية فأخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفى رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ويمكن الجمع بأنه وجد السور الثلاث فى صحيفة أو صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انه أنا الله الذى لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى قال ما ينبغى لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره دلونى على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند أخته يعنى زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت أحد الرجلين اللذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه منى وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمر أو بعمرو وانا نرجو أن تكون دعوته لك فابشر فلما عرفوا منى الصدق قلت أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى أسفل الصفا فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى أسفل الصفا وهى دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها بمن معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضى الله عنه فقرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامى فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال حمزة رضى الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال فدخلت وأخذ رجلان بعضدى قيل ان حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلونى فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابى فجذبنى اليه جذبة شديدة وفى رواية فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم فى صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة

النبي صلى الله عليه وسلم فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه فقال أما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلقى حب الطبيعي في قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا على الكفار في الدين فصار كذلك وفي رواية فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال يارسول الله جئت لأومن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله ايمانا فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافي هذا اتيانه بالشهادة في بيت أخته قبل خروجه الى النبي صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضي الله عنه وكان الرجل اذا أسلم استخفى باسلامه فقلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الاخفاء يارسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذي بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان قال عمر رضي الله عنه وأحببت أن يظهر اسلامي وان يصيبني ما أصاب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا في قريش وهو أبو جهل فأعلمته أني صبوت وفي رواية قال عمر رضي الله عنه لما أسلمت تذكرت اي أهل مكة أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فأخبره اني قد أسلمت فذكرت أبا جهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الي وقال مرحبا وأهلا يا ابن أختي ما جاء بك قلت جئت لأخبرك وفي لفظ لأبشرك ببشارة قال أبو جهل وما هي يا ابن أختي فقلت اني آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب في وجهي وهو معنى أجاف الباب الثابت في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم ما زال عمر رضي الله عنه يراجع النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا في صفين في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة رضي الله عنهما حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها وفي رواية خرجوا في صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق رضي الله عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وفي رواية عن عمر رضي الله عنه بعد ان أسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت اني صبوت فرفع صوته بأعلاه ألا ان ابن الخطاب قد صبا وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما لما أسلم عمر قال اي قريش أنقل للحديث فقيل له جميل بن حبيب فغدا

عليه وغدوت أتبع أثره وأنا غلام اعقل ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت يا جميل انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبأ ويقول عمر من خلفه كذب ولكنى أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فما زال الناس يضربونني وأضربهم حتى قال خالى ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر وأشار بكمه ألا انى أجرت ابن أختى فانكشف الناس عنى لجلالة خالى عندهم قال بعضهم ان أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد أبى جهل أخوان فأبو جهل ابن عم أم عمر فيكون خاله مجازا لان عصبة الأم اخوال الابن وفى السيرة الحلبية أن عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضى الله عنه حين أسلم فألقاه عمر رضى الله عنه الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل أصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد الا أخذه عمر رضى الله عنه بشراسيفه وهى طرف أضلاعه وعند ابن اسحاق أن العاص بن وائل السهمى أجار عمر منهم حينئذ فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما أجاره وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينا عمر فى الدار خائفا اذ جاء العاص بن وائل السهمى أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال ما بالك قال زعم قومك أنهم سيقتلوننى لأنى أسلمت قال لا سبيل اليك بعد أن قال أمنت فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون قالوا ابن الذى قد صبأ قال لا سبيل اليه فكر الناس وانصرفوا ثم رد عمر رضى الله عنه الى العاص جواره قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام وفى رواية عن عمر رضى الله عنه فى سبب اسلامه قال بينا أنا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فما نشبنا ان قيل هذا نبى وروى أبو نعيم فى الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر رضى الله عنهم ان أبا جهل لعنه الله جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء أو سوداء أو ألف أوقية من فضة وفى رواية ان أبا جهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار ألا من قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء أو سوداء أو ألف أوقية من فضة فقال عمر رضى الله عنه أنا لها قالوا أنت لها وتعاهد معهم على ذلك وفى رواية فقلت له يا أبا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلد السيف متنكبا كنانتى أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت أنظر اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح أمر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت فى نفسى ان هذا الأمر ما يراد به الا أنا ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ما أنتم وطائش الاحلام

ومسند الحكم الى الاصنام * أصبحتم كرائع الانعام
* أماترون ماأرى أمامى * من ساطع يجلودجى الظلام
قدلاح للناظر من تهام * وقد بدا للناظر الشامى
محمد ذو البر والاكرام * أكرمه الرحمن من امام
قدجاء بعد الشرك بالاسلام * يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقا الى الاسلام * بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت والله ماأراه الا أرادنى ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى
سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد
أبشر أباحفص بدين صادق * يهدى اليك وبالكتاب المرشد
واصبر أباحفص فانك آمر * بأتيك عز غير عز بنى عدى
لاتعجلن فأنت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر رضى الله عنه فوالله لقد علمت أنه ارادنى فلقينى نعيم بن عبد الله النحام وكان يخفى اسلامه فرقا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش فأقتله فقال نعيم ياعمر أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الارض وبالغ فى منعه ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشئ آخر فقال له ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم وذكر له اسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر القصة بطولها وقيل ان الذى لقيه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان قد أسلم قبل عمر رضى الله عنه فقال أين تريد ياعمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف تمشى على الارض فقال له عمر ماأراك الا قد صبأت فأبدأ بك فأقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا قال سعد لعمر مالك لاتصنع هذا بختنك لثر يدسعيد بن زيد وبأختك فقال صبيا قال نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولامانع أنه لقى كلامن نعيم وسعد وحصل بينهما ماذكر وفى رواية أن سبب اسلامه رضى الله عنه أنه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع مايقول وقلت ان دنوت منه أستمع لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشى حتى قمت فى قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فلبثت حتى انصرف فتبعته فالتفت فى أثناء طريقه فرآنى فظن أنى انما تبعته لأوذيه

فنهمني اى زجرني بشدة ثم قال ماجاء بك في هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله و رسوله وماجاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدري ودعالي بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الأسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم مالا يخفى وفي رواية عن عمر رضي الله عنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام مني كل موقع وذهب مرة هو وأبوجهم يريدان الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فوجداه في بيته قائما يصلي وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ في سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية دخلهما رعب شديد فقال أحدهما للآخر الوحا الوحا اى الرواح بسرعة خوفا من نزول العذاب والحاصل أن الاسباب المقتضية لاسلام عمر رضي الله عنه تكررت وكثرت وكأن السبب في ذلك أن يمكن الله الاسلام في قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان الأمر كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم عمر رضي الله عنه قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر لأن الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رضي الله عنه رواه ابن أبي شيبة والطبراني قال المشركون انتصف القوم وروى أنه لما أسلم قال يارسول الله لاينبغي أن يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفي منه ثم تقدم امامه صلى الله عليه وسلم ليطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما أسلم عمر رضي الله عنه ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وباسلام عمر رضي الله عنه وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لقد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش ترعيحوننا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أباطالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأمرهم فدخلوا شعبهم وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن أراد قتله وأجاب كل منهم أباطالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب في المناصرة وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا قال أبوطالب في قصيدة

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة أخرى

جزى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أى تشاوروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينكحوا اليهم أى لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم اى لا يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اى يخلوا بينهم وبينه وكتبوه فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره وقيل بخط النضر بن الحارث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحارث العامرى وهو من الذين سعوا فى نقضها كما سيأتى وقد أسلم رضى الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن أبى طلحة العبدرى وقيل بخط منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال أن يكونوا كتبوا منها نسخا وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا الصحيفة منها فى الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بنى كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازى حتى جهدوا وقطعوا عنهم الميرة والمادة وكانوا لا يصل اليهم شئ الا سرا او يخرجون من الموسم الى الموسم لأجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفى الصحيح أنهم جهدوا فى الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفى كلام السهيلى كانوا اذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيأ من الطعام ليقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم حالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا مضاعفة حتى يرجع الرجل منهم الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شئ يعللهم به فيغدو التجار على أبى لهب بما كسد فى أيديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن وخروج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافى منعهم من الاسواق والمبايعة اى عموما ولما دخل النبى صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بنى هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى أرض الحبشة الخروج الأخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم فى الشعب هشام بن عمرو العامرى أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان من أشد الناس قياما فى نقض الصحيفة كما سيأتى وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال انى غير عائد لشئ خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش اى أغلظوا له فى القول وهموا بقتله فقال لهم أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله ورحمه أما انى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا وكان ممن

يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام فلقيه أبو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته
خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهي معه في الشعب فقال أبو جهل لحكيم
تذهب بالطعام لبني هاشم والله لاتذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فحضره ما
أبو البختري فقال لأبي جهل مالك وماله فقال له أبو جهل يحمل الطعام لبني هاشم فقال له
أبو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال
أحدهما من الآخر فأخذ أبو البختري لحي بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديدا
فانكف عن ذلك وأبو البختري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والاول
أصح وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره صلى الله عليه وسلم
فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا اوغائلة فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوانه
أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأمره هو أن يأتي بعض فرشهم
فيرقد عليها وهذا على ماجرت به العادة من الاحتراس بالأمور العادية والا فهو صلى الله عليه
وسلم محفوظ ومعصوم من القتل وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهم بالشعب ثم ان الله
تعالى أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم أن الارضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة
والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط وكانوا يكتبون باسمك اللهم وفي رواية لم تترك الارضة في
الصحيفة اسم الله عز وجل الا لحسته وبقي مافيها من شرك وقطيعة رحم قال الحلبي والرواية
الأولى أثبت من الثانية وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من بعضها ماعدا
اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها الظلم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب بذلك فقال يا ابن أخي أربك أخبرك بهذا قال نعم
قال والثواقب ما كذبتني قط فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر
قريش ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
فقال أبو طالب يامعشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعل أن
يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم
لا يشكون ان أبا طالب يدفع اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا
لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم في أمر
هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخي اخبرني ولم يكذبني ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك
فيها اسم الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وفي رواية أكلت
غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم الله تعالى فان كان كما يقول فأفيقوا أي اقلعوا
عما أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم
أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن
أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وقد جاء أن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر

كما

كما أخبر به صلى الله عليه وسلم علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف هو ومن معه الى الشعب وعند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامرى وزهير بن أبى أمية المخزومى وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود فمشى هشام بن عمرو الى زهير بن أبى أمية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضى الله عنهما فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا ومشيا جميعا الى المطعم بن عدى فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا انا معك فقال أبغنا رابعا فذهبوا الى أبى البخترى فقال أبغنا خامسا فذهبوا الى زمعة بن الأسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بنى هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم وأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له أبو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة ابن الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البخترى صدق زمعة فقال مطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل واضطرب الأمر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة فشقها وفى رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا هو الصحيح فى ذكر القصة أن السعى من هؤلاء الرهط فى نقضها انما كان بعد اخبار النبى صلى الله عليه وسلم عمه بأكل الارضة لها وبعضهم قدم وأخر فى حكاية القصة وكان نقض الصحيفة فى السنة التاسعة من النبوة بناء على أن مكثهم كان سنتين أو فى السنة العشرة بناء على أنه كان ثلاث سنين وفى الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمرهم والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا

نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدا الأنداء

أذ كرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء

وبها أخبر النبي وكم أخرج خبئا له الغيوب خباء

وتقدم أنه أسلم من هؤلاء الخمسة هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي امية وأما المطعم ابن عدى فمات بمكة كافرا وأما أبو البختري وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسأل عما يفعل وتوفى أبو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته في رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة رضى الله عنها وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما في بعض نسخ الهمزية بقوله

وقضى عمه أبو طالب والدهر فيه السراء والضراء

ثم ماتت خديجة ذلك العام ونالت من أحمد السفهاء

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيرا وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم أطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه أنها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذ ذاك خمسا وستين سنة وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه أبي طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضى الله عنها فقال أجل أم العيال وربة البيت وقال عبيد الله بن عمير وجد عليها حتى خشى عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم في شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضى الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال في السيرة الحلبية وفي الشهر الذي توفيت فيه خديجة رضى الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وكانت رأت في نومها أن النبي صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك اموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت في ليلة أخرى أن قمرا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها وهي امرأة عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله ألا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبي بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج

ثم يقول ان يكن هذا الأمر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ماذا كرنعلم أن الله سيقضى أمره حين أنطقها بذلك ولا علم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قلت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلى على أبي فاذكرى ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة قال كفؤ كريم فما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها قال اى بنية ان هذه تزعم أن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين أن أزوجك منه قالت نعم فقال لخولة ادعيه لى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها اياها وكان أخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثى التراب على رأسه ولما أسلم رضى الله عنه كان يقول انى لسفيه يوم أحثى التراب على رأسى اذتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعنى أخته ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهى أم عائشة رضى الله عنهما فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قالت انتظرى أبا بكر رضى الله عنه حتى يأتى فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة رضى الله عنها قال وهل تصلح أى تحل له انما هى بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعى اليه فقولى له أنا أخوك وأنت أخى فى الاسلام وابنتك تصلح لى أى تحل فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدى كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده أبو بكر والله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه فقام أبو بكر ودخل على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم ابنه جبير فقال أبو بكر للمطعم بن عدى ما تقول فى أمر هذه الجارية التى ذكرتها على ابنك جبير فأقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فأقبلت على أبى بكر رضى الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ما تسمع أى فقولى مثل قولها فقام أبو بكر رضى الله عنه وليس فى نفسه من الوعد شئ فرجع وقال لخولة ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اياها أى عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم أيضا لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ونالته منه من الأذى ما لم تكن

تطمع فيه في حياة أبي طالب فدخل صلى الله عليه وسلم يوما بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيأ أكرهه اي أشد الكراهة حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تجهموا عليه قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا والله واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت فلم يزل أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من أشراف قريش يحتالون على أبي لهب حتى صدوه عن ذلك وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع الى ما كان عليه من معاداته فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والقتل به خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم قبيح حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن علي رضي الله عنه أنه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وكان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا وينصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال في السيرة الحلبية ومن ثم اي من أجل أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لأهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو راحة الأمة وفيه تنفس كل ضيق وغم سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له اسلام ايضا والأخ الثالث حبيب قال الذهبي وفي صحبته نظر وهؤلاء الثلاثة أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أي يشقها او يقطعها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لأنت أعظم خطرا أي قدرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب ما ينبغي لي أن أكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم اكتموا علي وكره صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هؤلاء الثلاثة من أشراف ثقيف أخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم

يسبونه و يصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفى رواية حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا أذلقته الحجارة أى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد ابن حارثة رضى الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج برأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة اى شجرة من شجر الكرم وفى رواية أن الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك مالقيت وكان أشد مالقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل هناك لا عقبة منى التى اجتمع فيها مع الانصار ثم بين ذلك بقوله اذ عرضت نفسى على عبد ياليل فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى اليك ربك لتأمرنى بأمرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبى صلى الله عليه وسلم لا بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه وفى رواية جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيأ الا بأمرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فانى آتى بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

جهلت قومه فأغضى عليهم * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وقوله فى أول الحديث لعائشة رضى الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب فى ذهابه الى ثقيف فلا يرد أن ثقيفا ليسوا بقومها وكذلك قوله فى وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وماردوا به عليك ظاهره انه اخبار عما قاله أشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب فى ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال فلذا قال ان شئت أطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة

أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ويحتمل أن المراد الطباق
الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما ألجأوه صلى الله عليه وسلم الى حائط عتبة وشيبة ابنى
ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رأيا ما لقى تحركت له رحمهما لانهما ابنا ربيعة بن
عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصرانى غلامهما قطف عنب بكسر القاف ما يقطف من
العنقود ووضعه عداس فى طبق بأمرهما وقالا له اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه
ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف ليأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل
فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه
وسلم من اى البلاد أنت وما دينك قال نصرانى من نينوى وهو بلد قديم مقابل الموصل فقال له
صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن
متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته وأنت أمى فى أمة
أمية قال ذلك أخى وهو نبى مثلى فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضى
الله عنه وفى رواية أنه قال اشهد أنك عبد الله ورسوله ونظر اليه ابنا ربيعة فقال أحدهما
للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل
ويديه وقدميه قال يا سيدى ما فى الارض شئ خير من هذا فقد أعلمنى بأمر لا يعلمه الا نبى قالا له
ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فانه خير من دينه ويروى أن عداسا لما أراد سيداه
الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذى رأيت بحائطكما
تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك يا عداس سحرك بلسانه وفى الاصابة عن الواقدى
قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضى الله عنه
وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما تخلص من
ثقيف واطمأن فى ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف
قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب
المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أم الى صديق قريب ملكته أمرى ان لم
تكن غضبان على فلا أبالى غير أن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له
الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ولك العتبى
حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر
ابن أبى طالب قال لما توفى أبو طالب خرج النبى صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم
الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره وعند
رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله اليه
سبعة من جن نصيبين وهى مدينة بين الشأم والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام فى
جوف الليل يصلى فجاؤا يستمعون قراءته والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك

نفرا

نفرا من الجن الآيات ثم أنزل الله قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وقيل انهم صرفوا مرتين
مرة قبل نزول قل أوحى والمرة الثانية بعد نزولها وأنها هى هذه المرة أى التى كان فيها صلى
الله عليه وسلم بنخلة وانه كان يقرأ قل أوحى وقيل الرحمن وقيل قرأ فى الركعة الأولى
الرحمن وفى الثانية قل أوحى وأقام صلى الله عليه وسلم بنخلة أياما ثم أراد دخول مكة فقال له
زيد بن حارثة رضى الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى
فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء فوجد عبد الله بن الاريقط
فبعثه الى الاخنس بن شريق الثقفى ليجيره فاعتذر وقال انى حليف والحليف لا يجير وهذا قاله
اعتذارا والا فالنبى صلى الله عليه وسلم لو لم يعلم أن الحليف يجير لما بعث له ثم بعث صلى الله عليه
وسلم لسهيل بن عمرو العامرى لان جده عامر بن لؤى أخو كعب بن لؤى جد النبى صلى الله
عليه وسلم فاعتذر سهيل بأن بنى عامر لا تجير على بنى كعب أى قد لا تجيز جوارها فبعث صلى
الله عليه وسلم الى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف يقول له انى داخل مكة فى جوارك
فأجابه الى ذلك وقال للرسول قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فدخل مكة بعد
أن تسلح مطعم بن عدى وركب على راحلته ونادى يا معشر قريش انى أجرت محمدا فلا يؤذه أحد
منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدى وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم
وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو
وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف ووقف أربعة منهم عند
أركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم فى المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم
وكذا أبوهم المطعم فأقبل أبو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن
لا تخفر لا تزال خفارتك أى جوارك قد أجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم طوافه ولا بدع فى دخوله صلى الله عليه وسلم فى جوار كافر وأمانه وان حكمة
الحكيم القادر قد تخفى وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى حديث بأقوام لا خلاق
لهم وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا قد أجمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم
مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لأهله ولهذا المعروف الذى فعله المطعم بن عدى قال صلى
الله عليه وسلم فى أسارى بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له
وفى أسد الغابة أن جبيرا ولد المطعم بن عدى أسلم بين الحديبية وفتح مكة وجاء الى النبى صلى الله
عليه وسلم وهو كافر فسأله فى أسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه لانه
فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم وهذا
من شيمه صلى الله عليه وسلم تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبح
الامرا كل أمرك كان قبل هذا اليوم سهلا هو يشهد انك كاذب وكان صلى الله عليه وسلم

لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولما مات المطعم بن عدى وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت رضى الله عنه بقوله

عينى ألا ابكى سيد الناس واسفحى * بدمع وان أنزفته فاسكبى الدما
وابكى عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك مالبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أوباقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ماتذمما *

هذا الفعل من حسان رضى الله عنه مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثا تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب فى أن فعله هذا مع النبى صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير فى ذكره به

باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه

كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا فى قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل أمرنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت اى قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا اى قطنا فرقا اى خوفا من أن يبلغنى شئ من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن أسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى أنا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف حتى لا أسمع قولك فأعرض على أمرك فأعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن اى قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين وقيل انما تلا عليه بالمدينة وقيل تكرر ذلك منه فلما سمع القرآن قال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام فادع الله أن يكون عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر أى وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت فى غير وجهى فانى أخشى أن يظنوا أنه مثلة فتحول فى رأس سوطى فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم

ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل فأتاني أبي فقلت اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك فقال لم يا بني قلت قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أي بني ديني دينك فأسلم قال ثم أتتني صاحبتي يعني زوجه فذكرت لها مثل ذلك اي قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد أسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت فديني دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطأوا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد غلبتني دوس قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وأت بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه فأسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعط أحدا لم يحضر القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب ومن معه ومنهم الاشعريون أبو موسى الاشعري وقومه فقد تقدم أنهم هاجروا من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فرمت بهم الريح الى الحبشة

﴿باب ذكر الاسراء والمعراج﴾

اعلم أنه لا خلاف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وأنه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات أو أكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيأ في اليقظة الا بعد أن يريه الله اياه في المنام فبعض تلك الاسراآت التي كانت في المنام سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة وقيل ليلة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى لنريه من آياتنا الا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله له الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ثم استقبلوه في السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد

أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم وسألوه عن عيرلهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفى الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتاليف وفى السيرة الحلبية أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام أن يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها قال الامام أبو بكر بن العربى فى شرح الموطأ ان صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة فى وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذى يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه فأعلاها من جهة الجنوب قدم النبى صلى الله عليه وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الأخرى أصابع الملائكة التى أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة فهى معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لانى كنت أخاف أن تسقط على بسبب ذنوبى ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشى فى جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شئ ولا بعض شئ وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض انتهى يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانئ بنت أبى طالب أخت على رضى الله عنه وعنها وأنه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانئ وقالت أنشدك الله اى أسألك به يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفى رواية انى أذكرك الله أن تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى فاذا هو قد خرج قالت فقلت لجاريتى نبعة وكانت حبشية وهى معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدى وأبوجهل بن هشام فأخبرهم بمسراه وفى رواية أنه لما دخل المسجد قطع وعرف أن الناس تكذبه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم يرأنه يكذبه مخافة أن يجحده اى ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذى حدثه به ان دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى قال نعم قال يا معشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام

وصليت بهم وكلمتهم قال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لى قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان وفى رواية كأنما خرج من ديماس اى حمام وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوءة وأما ابراهيم فوالله انه لأشبه الناس بى خلقا وخلقا وفى رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق و بعضهم يضع يده على رأسه تعجبا وقال المطعم بن عدى ان أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد انك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك أتيته فى ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط فقال أبو بكر رضى الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته اى استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق وفى رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الايمان وفى رواية فسعى رجال من المشركين الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه اسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوة و روحة اى لانه يخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فمجىء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه فقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصديق رضى الله عنه قصده وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب قط فقال أبو بكر رضى الله عنه صف لى يا رسول الله فانى قد جئته أراد بذلك اقامة البرهان على قومه ظهور صدقه صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه فى موضع كذا و باب منه فى موضع كذا وأبو بكر رضى الله عنه يقول اشهد أنك رسول الله حتى أتى على أوصافه وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتنى قريش وسألونى عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها فالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فجلى الله لى بيت المقدس وفى رواية فجىء بصورته وانا أنظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته اى علاماته وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر رضى الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطئ فى شئ منه قالوا صدق الوليد بن المغيرة اى فى قوله انه ساحر فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قالت نبعة جارية أم هانئ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله قد سماك الصديق ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبى بكر الصديق من السماء رضى الله عنه وفى رواية ان كفار قريش لما أخبرهم بالاسراء الى بيت

المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد اى ما العلامة الدالة على هذا الذى أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقه اى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفر عيرهم حس الدابة يعنى البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشأم ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفى رواية فعثرت الدابة يعنى البراق فقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة والمراد لوضوء اللغوى ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت من الدابة يعنى البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدرى اكسر البعير أم لا وفى رواية ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلا اتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا صدق الوليد أى فى قوله انه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجئ عير بنى فلان فقال لهم يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب أودنت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكى

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها * فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبى بكر رضى الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشئ مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله

فطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء

فصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء

وترقى بها الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء

رتب تسقط الامانى حسرى * دونها ما وراءهن وراء

﴿باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب﴾

﴿أن يحموه ويناصروه على ما جاء به من الحق﴾

اعلم أنه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته فى أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها فى السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم بمنى

والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة و يسأل عن منازلهم و يأتى اليهم فى أسواق الموسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب اذا حجت اى أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء الى سوق ذى المجاز فتقيم به أيام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه وعن جابر رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف و يقول ألا رجل يعرض على قومه فان قريشا منعونى ان ابلغ كلام ربى وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ و وراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لى انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذى يرجمه قيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى غلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وأن تصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لأبى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعنى أبا لهب وروى ابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بنى حنيفة و بنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك اى نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظفرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لا يقدر أن يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف اى هل لهذه القضية من تدارك والذى نفس فلان بيده ما يقولها اى ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بنى اسماعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم

وروى الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم أتى بنى عبس و بنى سليم و بنى محارب وفزارة ومرة
و بنى النضر وعذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا أسرتك
وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح عليه من بنى حنيفة وهم أهل
اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثم جاء فى الحديث شر قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون
الى أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها ومن أقبح القبائل فى الرد عليه صلى الله عليه
وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف وأدفع مرة هو وأبو بكر رضى الله
عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة وكان
أبو بكر رضى الله عنه نسابا اى ذا معرفة بالانساب فقال لهم من اى ربيعة من هامتها أو من
لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الأكبر قال أمنكم حامى الذمار
ومانع الجار فلان قالوا لا قال أمنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال أمنكم صاحب
العمامة الفردة فلان قالوا لا فقال لستم من ذهل الأكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب
حين أبقل وجهه اى طلع شعر وجهه فقال له آن على سائلنا أن نسأله كما سألنا يا هذا انك
سألتنا فأخبرناك فمن الرجل أنت فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا من قريش فقال الفتى
بخ بخ أهل الشرف والرياسة ثم قال فمن اى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى أمكنت
الرامى من صفا الثغرة أمنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم
الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه يضىء
كالقمر فى الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضى الله عنه زمام ناقته و رجع الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على رضى الله عنه
حاضرا فقال لأبى بكر رضى الله عنه لقد وقعت من الاعراب على باقعة اى داهية اى ذى دهاء
قال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الاعرابى لما
ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الاشراف كما أن قبيلتنا
لم تشتمل على أولئك الاشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل وعن عبد الله بن
عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم اتى جماعة من بنى شيبان بن ثعلبة وكان معه
أبو بكر وعلى رضى الله عنهما وان أبا بكر رضى الله عنه سألهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من
شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت
وأمى هؤلاء غرر اى سادات فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة
والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان اى ذؤابتان من
شعر وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه كيف
العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة فقال له أبو بكر رضى
الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد اى الطاقة ولكل قوم جد أى حظ وسعادة

اى علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لأنه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضى الله عنه فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم فقال مفروق انا لأشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الأولاد والسلاح على اللقاح اى نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا اى ينصرنا مرة و يجعل الدولة لنا ويديل علينا مرة أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضى الله عنه أو قد بلغكم أنه اى أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعو قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أدعوا الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله والى أن تؤوونى وتنصرونى فان قريشا قد تظاهرت اى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق والام تدعونا ايضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض عرفناه ثم قال والام تدعوا أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا اى عاونوا عليك وكأن مفروقا أراد أن يشاركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش وانى أرى ان تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العواقب وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكان هانئ احب أن يشركه فى الكلام مثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وان أحببت أن نأويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون انهار كسرى فعلنا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثا ولا نأوى محدثا وانى أرى ان هذا الأمر الذى تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عزوجل لن ينصره الا من أحاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم و يفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال العلامة الحلبي وهؤلاء لم أقف على اسلام واحد منهم الا أن في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول هاني بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة وفي أسد الغابة أن مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن أبي نعيم أنه قال لا أعرف لمفروق اسلاما والله أعلم ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارسا فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال أفتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حين أن تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أبو لهب لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون يهذي من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفي رواية أنه لما سألهم قالوا له حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو عزكم فانتصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا أي نصروا بذكرهم اسمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول لا أكره أحدا على شيء من رضي الذي أدعوا اليه فذاك ومن كره لم أكرهه وانما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي فلم يقبله صلى الله عليه وسلم أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه وعن ابن اسحاق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وفي مستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي على يسار القاصد منى من مكة وبها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقي رهطا من الخزرج لان الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم أبو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ابن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة ابن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال ألا تجلسون اكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا وفي رواية أنه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الاسلام

وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم وكان قد أخذهم النبي صلى الله عليه وسلم في موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم أحد فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله أن اليهود كانوا مع الأوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والأوس والخزرج أهل شرك وأوثان وكانوا اذا كان بينهم شئ تقول اليهود ان نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكانوا يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا الصفات التي كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها متحققة فيه فقال بعضهم لبعض بادروا الاتباع له لا تسبقنا اليهود اليه وفي رواية فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه هو النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فأسلم أولئك النفر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي قالوا يا رسول الله انا كنا قوما نابعون الأوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك * وقولهم بينهم من العداوة والشر ما بينهم أصل هذه العداوة أن الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفي رواية قالوا له انما كانت بعاث عام أول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملأهم فقالوا ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء اسلام الانصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم أبو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر ابن نابي والسبعة تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكوان بن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان وأقام العباس المذكور بمكة الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو أنصاري مهاجري واستشهد بأحد رضي الله عنهم يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية أتأخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الأحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب أسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه

قال بعضهم والله ماقال ذلك الا ليشدّ العقد وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى أبي الهيثم
ابن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الأوس فأسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم
كما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثني عشر
رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل
أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم في معروف
ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وان
نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان
وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيأ كان أمره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه
ولم يكن الجهاد مفروضا في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة
العقبة الثانية على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله
شيأ الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال
لهم أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم
هو وأصحابه فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام
مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله واسم أمه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد
أم المؤمنين رضي الله عنها ومصعب بن عمير معه رضي الله عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن
ويعلمان من اراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام
وقيل ان مصعبا بعثه أولا حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن
مالك ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا له
بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدلي
رضي الله عنه وكان يقال له المقرى ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبي
أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الأوس والخزرج لأنهم لما بينهم
من العداوة كرهوا أن يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضي الله عنه أول جمعة في الاسلام
قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فأمرهم
باقامتها بالمدينة وكانوا أربعين رجلا واشتهر ان أول من جمع بهم أسعد بن زرارة رضي الله عنه
ولا مخالفة لأن مصعب بن عمير رضي الله عنه كان عند أبي امامة أسعد بن زرارة فكان هو
المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد بن زرارة ماقدر مصعب على اقامتها وهذا لا ينافي أن
الخطيب والامام هو مصعب بن عمير فنسب اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم أقاموا
الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ مردود بل روى
ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضي الله عنه
﴿أما بعد﴾ فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اي اليوم الذي يليه يوم السبت

فاجمعوا

فأجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب ابن عمير عند الزوال اى صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه بعد ان اشتد عليهم أمره فى اول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم الله به روى ابن اسحاق أن أسعد بن زرارة رضي الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضي الله عنه الى حائط أي بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين أتيا دارنا تثنية دار وهي المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما وفى رواية قال له ائت أسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغنى أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه فاصدق الله فيه فوقف عليهما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كان لكما بأنفسكما حاجة وفى رواية قال يا أسعد مالك ولنا تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أوتجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره اى منعنا عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك واعهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيأ ثم خرج اليهما فلما أقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب لقد جاءك سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف ان أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متبسما ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب أوتقعد فان رضيت أمرا

قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه
الاسلام وعرض عليه القرآن فأعجبه ذلك وصار يقول ما أحسن هذا ثم قال لهما ما تصنعون
اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع
ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا
الى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير
الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعرفون أمري
فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا رأيا وأبركنا نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم
على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال والله ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة
الا مسلما ومسلمة فأسلموا في يوم واحد كلهم الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بني
عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد رضي الله عنه ولم يسجد لله سجدة
واحدة وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه من اهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة
فأقام عنده يدعو الى الاسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الانصار الا جماعة من الأوس لانه
كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الأسلت وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه ويطيعون لانه كان
قوالا بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له واتخذ
مسجدا وقال أعبد اله ابراهيم ولا يدخل علي فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم يزل
على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلم
وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تأخر اسلامه أنه لما أراد الاسلام عند قدوم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله بن أبي بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال
أبو قيس ما أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله
أشفع لك بها عند الله فقالها ثم ان مصعب بن عمير رضي الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من
المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من أهل الشرك حتى قدموا مكة وأخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بمن أسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك رضي الله عنه خرجنا مع حجاج قومنا
من المشركين فاجتمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم العقبة اي أن نوافوه في الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة
حيث المسجد اليوم الذي يقال له مسجد العقبة ومسجد البيعة وأمرهم صلى الله عليه وسلم
أن يأتوا اليه بليل وأن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ويكون اتيانهم في ليلة اليوم الذي فيه
النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها
وكنا نكتم أمرنا ممن معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن
حرام سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا
وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا
مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل نتسلل
الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة
وسبعون رجلا وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفي رواية
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه
عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر
ابن أخيه ويوثق له وهذا لا يخالف ما جاء أنه كان معه ايضا أبو بكر وعلى رضي الله عنهما لان
العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن
معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم الا العباس رضي الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضي
الله عنه أول متكلم فقال يا معشر الخزرج والمراد ما يشمل الأوس وكانت العرب تغلب
الخزرج على الأوس كثيرا ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل
رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون
انكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون
انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده
فقال البراء بن معرور انا والله لو كان من أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق
وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن العباس رضي الله عنه
قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة
العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملأ
واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى الناس كلهم ربما يفيد أن الناس غير
الانصار وافقوه على مناصرته فأباه ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على
القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار وأجيب بأن المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار
وهذا لا ينافي أنه وجد من يوافق في بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبني شيبان بن ثعلبة فانهم
كما تقدم قالوا ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى وقيل المراد بالناس أهله
وعشيرته وعند ما تكلم العباس رضي الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول
الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفي رواية خذ لنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أمري لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون به أنفسكم
وأبناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا
القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام فقال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم

وأبناءكم وقيل لما قالوا له نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فأخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا اي نساءنا وأنفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة اي السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أبو الهيثم بن التيهان نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضي الله عنه اخفوا جرسكم اي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا أي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم اي دمي دمكم اي تطلبون بدمي واطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد وفي رواية بدل الدم اللزم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أي حرمي حرمكم تقول العرب اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمي هدمكم اي اذا أهدرتم الدم اهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي رحلتكم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضي الله عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن في نصرته ولتشدن أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخي شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخرج من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجدن أحد في نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل اي لانه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد من قبيلة ثم قال لأولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وأنا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس اي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد أن هاجر الى المدينة وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل وقيل الذي تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الانصار ولا مخالفة بين الاقوال لان كل سيد

من أولئك السادة تكلم بما يقوى البيعة ثم أتفقوا على جميع ذلك وقالوا يارسول الله مالنا ان
نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبايعوه وأول من بايعه البراء بن
معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من
غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن
قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر اى العرب والعجم فهؤلاء
الثلاثة الذين بايعوه أولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية
وقيل ان أبا الهيثم بن التيهان قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى
اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على
ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحواريين عيسى ابن مريم عليه السلام فقال أسعد بن زرارة
أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على أن أتم عهدى بوفائى وأصدقه قولى بفعلى فى نصرك
وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يارسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف
فيه القريب ولا البعيد أى لا أعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول
الله على أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله
على أن لا أعصى لكما أمرا ولا اكذب لك حديثا فلما تمت البيعة وهى بيعة العقبة الثالثة
صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب وهى منازل منى
وفى رواية يا أهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة يعنى بمذمم محمدا وبالصباة من تابعه فانهم
قد أجمعوا اى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح
الهمزة وفتح الزاى وتشديد الباء الموحدة اى شيطان يسمى بهذا الاسم اسمع اى عدو الله
أما والله لأفرغن لك فهرب وعند ذلك قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم
وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو
الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الانصار الذين كانوا يبايعون النبى صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت انما هو عدو الله
ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة وصراخ ابليس الذى
هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس أزب العقبة لانه من الابالسة وانه أتى
باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا
من المبايعة قلت يانبى الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك فقال وقد
رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش
وغيرهم وفى كتاب الشريعة أن الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج
قال عمرو بن العاص فأتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرته بصوت منبه بن
الحجاج فلم يرعه ما راعنا فقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه قلنا لعله ابليس الكذاب ولا ينافى

سماع عمرو وأبي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون
لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب
الانصار فقالوا يا معشر الأوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين
أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم
فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وكل واحد يقول لهم وما كان
قومي ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني وصدقوا لانهم
لا يعلمون كما علم مما تقدم ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا
فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فأما سعد
فمسك وعذب في الله وأما المنذر فافلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدي المشركين روى عنه رضي
الله عنه أنه قال لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي ولا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني حتى
أدخلوني مكة فأوى الى رجل وهو أبو البختري بن هشام مات كافرا وقال ويحك أما بينك وبين
أحد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت أجير لجبير بن مطعم جاره وأمنعهم ممن أراد
ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن أمية وهو أخو أبي سفيان فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين
ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب
بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو فقال انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصاه من أيديهم
وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع علي رجل أبيض وضيء
زائد الحسن فقلت في نفسي ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده
فلطمني لطمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهيل بن
عمرو رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا
وتجاهروا والا فقد تقدم أن الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح
من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو وكان
لعمرو في داره صنم من خشب يقال له مناة لأن الدماء كانت تمنى اي تصب عنده تقربا اليه
وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو
يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا بعد
اخراجه من داره فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من غدا على مناة هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا
وجده غسله فاذا غسله عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه في
عنقه ثم قال ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه
وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة
فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو وغدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده في تلك البئر فلما رآه كذلك
رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت إلهاً لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قرن (اى حبل)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم أوى اى استند الى قوم أهل حرب ونجدة ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصار واما بين مفتون في دينه و بين معذب في أيديهم و بين هارب في البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة فمكث أياما لا يأذن ثم قال أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين أعظم جبال العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فأذن حينئذ وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها أرسالا اى متتابعين يخفون ذلك وفي رواية أريت في المنام انى هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى اى وهمي الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب ولعله أنسى قول جبريل ليلة الاسراء صليت بطيبة واليها المهاجر ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد أخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وآخى بين حمزة و زيد بن حارثة رضي الله عنهما و بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما و بين الزبير وابن مسعود رضي الله عنهما و بين عبادة بن الحارث و بلال رضي الله عنهما و بين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما و بين أبي عبادة وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما و بين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما و بين علي بن أبي طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فأنت أخي في الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية مؤاخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمؤاخاة انما هي بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري لأن المؤاخاة انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس والحكمة في مؤاخاة المهاجرين أن بعضهم كان أقوى من بعض في المال والعشيرة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى و بهذا ظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة و بعدها وفي الصحيح أن زيد ابن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخي اى بسبب المؤاخاة وكان أول من هاجر منهم الى المدينة أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير لانه لما قدم من الحبشة لمكة أذاه اهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الأولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة في حجرها وخرج يقود البعير فرآه

رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا له يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة رضى الله عنه وقالوا ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى أطلقوا يده من الخطام وأخذ الولد قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكى حتى مضت سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى اى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا يومئذ ثم أسلم رضى الله عنه فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة فانه لما رآنى قال الى أين قلت الى زوجى قال أو ما معك أحد قلت لا ما معى الا الله تعالى وابنى هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معى فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بى ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء وأخذ البعير فحط عنه ثم قيده فى شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادنى وجمع بين القول بأن مصعب بن عمير أول من هاجر والقول بأنه أبو سلمة بأن أبا سلمة اول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة اول من هاجر أى من بنى مخزوم فلا ينافى أنه ليس بأول بالنسبة لغير بنى مخزوم واول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة رضى الله عنها وقيل ليلى بنت أبى حثمة وقيل أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها ثم هاجر عمار وبلال وسعد وفى رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا اى بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار فى دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يهاجر معه وقال تجدنى او أجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن على رضى الله عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى أسهما فى يده واختصر عنزته وهى الحربة الصغيرة اى علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعنى الأنوف من أراد أن تثكله أمه اى تفقده ويؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى قال على رضى الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه وفى المواهب وشرحها أنه هاجر مع عمر رضى الله عنه أخوه زيد بن الخطاب رضى الله عنه وكان أسن من عمر رضى الله عنه

وأسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضي الله عنه في
خلافة الصديق رضي الله عنه سنة ثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر رضي الله عنه يقول أخي
سبقني الى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضي
الله عنه سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله
ابن جحش رضي الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وأما أختها أم حبيبة
رضي الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة في صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخي عبد
الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات وبقيت هي بأرض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا بها ثم أرسل
صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وكان أقرب
العصبات الحاضرين عندها فزوجها من النبي صلى الله عليه وسلم على يد النجاشي وجعفر بن
أبي طالب ثم هاجرت الى المدينة رضي الله عنها فصارت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا جهل وأخاه الحارث بن هشام قبل اسلامه فانه أسلم
بعد ذلك رضي الله عنه قدم المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي
ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما وكان أصغر ولد أمه فقالا له ان أمك نذرت أن لا تغسل
رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفي رواية لا تأكل ولا تشرب
ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له أنت أحب ولد أمك اليها وأنت في دين منه البر للوالدين
فارجع الى أمك واعبد ربك كما تعبد في المدينة فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق
أن لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضي الله عنه ما يريدان الا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو أذى
أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمي ولي مال هناك
آخذه فقال له عمر رضي الله عنه خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث
صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان نابك منهما ريب فانج عليها فأبى ذلك
وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه اي شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا
من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا في وقت النهار وقالا يا أهل
مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا ولما جيء به مكة ألقي في الشمس وحلفت أمه أنه
لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل
واحد منهما في قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم في قنوت الصبح فيقول
اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين
الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش
يوم بدر فأسر مع من أسر وافتكه أخواه خالد وهشام ابن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم
وأراد الهجرة فحبسوه وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفتدي فقال كرهت الإسار ثم نجا ووصل
الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله

صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه ومن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبي حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يثني عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند موته لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا ما جعلتها أي الخلافة شورى قال ابن عبد البر المعنى أنه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم رضي الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر رضي الله عنه بميراثه لمعتقته فأبت أن تقبله وجعلته في بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلوا سبيلي قالوا نعم قال فاني قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفي الخصائص الكبرى عن صهيب رضي الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه وقد كنت أردت الخروج معه فصدني فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم هل لكم ان أعطيتكم أواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي تفعلوا قالوا نعم فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمي بكل سهم من كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي شيء منه ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفي رواية قالوا له دلنا على مالك ونخلي سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا الى راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر رضي الله عنه قام فبشرني بالآية التي نزلت في وفي رواية فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لي أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرني ما ذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان روميا أغارت خيل على دجلة أو الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه

واسلام عمر رضى الله عنه فى يوم واحد قال صهيب رضى الله عنه صحبت النبى صلى الله عليه وسلم
قبل أن يوحى اليه وكان رضى الله عنه فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة وفى المعجم الكبير
للطبرانى عن صهيب رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه
تمر وخبز فقال ادن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل وبك رمد فقلت يا رسول الله
أمضغ من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهل بن عبد الله التسترى
رضى الله عنه ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول ان صهيبا
اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله
التمر رواها بعضهم على وجه آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل تمرا ورطبا وهو أرمد
احدى عينيه فقال أتأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبى ولا مانع من التعدد أى لكل من القصتين ولما أذن
صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة خرج الناس أرسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان بن
عفان رضى الله عنه واشتد الأذى على المستضعفين ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له فى
الهجرة ولم يتخلف معه من أصحابه الا على بن أبى طالب وأبو بكر أو من كان مستضعفا محبوسا
عند قريش وكان الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر رضى الله عنه أن
يكون الصاحب هو النبى صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله رجاءه وفى رواية للبخارى استأذن
أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى
أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى وأمى قال نعم فحبس أبو بكر رضى الله عنه
نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو
الخبط أربعة أشهر ثم ان قريشا لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا أنهم صار لهم أصحاب من غيرهم
وأنهم أصابوا منعة لأن الانصار قوم أهل حلقة أى سلاح وبأس حذروا خروجه صلى الله عليه
وسلم وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة دار قصى بن كلاب قال الحلبى دار
الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفى الآن وكان لها باب الى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة
وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشى الا ان بلغ أربعين سنة
بخلاف القرشى وقد أدخلوا أبا جهل ولم تستكمل لحيته وكان اجتماعهم يوم السبت ولذا ورد
يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون فى أمره صلى الله
عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة
لانه اجتمع فيه أشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى أسد وبنى مخزوم وبنى
جمح وبنى الحارث وبنى كعب وبنى تيم وبنى عدى وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأى والحجا
عنهم أحد وجاءهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فوقف على باب الدار فى هيئة شيخ جليل عليه

كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي قعدتم له فحضر ليسمع
ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل وانما تمثل في صورة شيخ نجدى
لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد فلذلك تمثل
بصورة نجدى وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم ثم قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعنى النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان من أمره ما رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا
فأجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو أبو البختري بن هشام احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم
تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال النجدى ما هذا برأى والله لو حبستموه ليخرجن
أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من
أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى فانظروا في غيره فقال أبو الأسود
ربيعة بن عمرو العامرى ولم يعلم له اسلام نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى أين
ذهب فقال النجدى لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته
على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك
عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم
ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم
عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه
فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد
مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا رأى غيره فأجمع
رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول أبي جهل الذي صوبه ابليس أن يعطى خمسة
رجال من خمس قبائل سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة
اذ لا يمكن عشرين مثلا أن يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال ثم أتى جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه فلما كان الليل اجتمعوا على
بابه يرصدونه اى يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال الحافظ الدمياطى
في سيرته فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته
أي يوقعون القتل به ليلا وقيل أحدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه
ظاهرا فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بنى هاشم فلا يتم لهم أخذ ثاره فأمر عليه الصلاة
والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم اتشح
ببردى هذا الحضرمى الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان صلى الله عليه
وسلم ينام في برده ذلك اذا نام فكان على رضى الله عنه أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله
ووقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن
يقول له لن يخلص اليك شئ فصدق عليه أنه بالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول على

رضى الله عنه

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا * موقى وفى حفظ الاله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

وكان فى القوم الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الاسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل ان محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفى رواية الامام أحمد حتى لحق بالغار أى غار ثور فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه فى نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل انه ابليس فى صورة النجدى فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه برده قال الزهرى وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه وذكر السهيلى انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله أنها للسبة فى العرب أن يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا وكان تسور الجدار ممكنا لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع فى الظاهر والمانع فى الحقيقة بالمناجبة الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم واظهار عجزهم فأقاموا بالباب يحرسون عليا يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم حتى يقوم فى الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا قام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا له أين صاحبك قال لا أدرى وصدق الله قول النبى صلى الله عليه وسلم له لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وقيل انهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على فى وجوههم فعرفوه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدرى وقيل أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذى كان حدثنا أنه خرج علينا وفى هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيرا لهذه النعمة قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة بقوله تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من

لدنك سلطانا نصيرا والحكمة فى هجرته الى المدينة أن تتشرف به الازمنة والأمكنة والاشخاص
لا أنه يتشرف بها فلو بقى بمكة لكان يتوهم أنه قد تشرف بها الان شرفها قد سبق بالخليل واسماعيل
عليهما الصلاة والسلام فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع
الاجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذى ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى
من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى انه أفضل من العرش قال
السيد السمهودى والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهى غير متناهية لدوام ترقياته
صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة أول يوم
من ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث
عشرة سنة قال صرمة بن قيس الانصارى الصحابى رضى الله عنه

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضى الله عنه روى الحاكم عن على رضى الله عنه أن
النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأخبر
عليه الصلاة والسلام عليا بخروجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت
عنده عليه الصلاة والسلام للناس قال ابن اسحاق وليس أحد بمكة عنده شئ يخاف عليه
الا وضعه عنده عليه الصلاة والسلام لما يعلمون من صدقه وأمانته روى البخارى عن عائشة
رضى الله عنها قالت بينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا اى مغطيا رأسه وفى رواية للطبرانى عن أسماء رضى الله
عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيا فلما كان يوم
من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فداء له
أبى وأمى والله ما جاءنى به فى هذه الساعة الا أمر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأذن فأذن له أبو بكر رضى الله عنه فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم
أهلك بأبى أنت وأمى وذلك أن عائشة رضى الله عنها كان أبوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه
وسلم واسماء أختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما وقيل ان قول أبى بكر
ذلك بمنزلة قول الصديق حريمى حريمك وأهلى أهلك يعنى أنا وأنت كالشئ الواحد فقال
صلى الله عليه وسلم قد أذن لى فى الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله عنه
الصحبة يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر رضى الله
عنه يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر رضى الله عنه فخذ بأبى أنت
وأمى يارسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفى رواية قال
لا أركب بعيرا ليس هو لى قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم
انه يرجو الهجرة وانما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله
رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وأن تكون على أتم الأحوال
والا فأبو بكر رضي الله عنه قد أنفق ماله في حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد
روى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت أنفق أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله
عليه وسلم أربعين ألف درهم وروى الزبير بن بكار عنها رضي الله عنها ان أبابكر رضي الله
عنه لما مات ماترك دينارا ولا درهما وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس أحد من الناس
أمنّ على في نفسه وماله من أبي بكر وروى الترمذي مرفوعا مالأحد عندنا يد الا كافأناه
عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وروى ابن عساكر عن أنس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجني ابنته
وواساني بنفسه وان خير المسلمين مالا أبو بكر أعتق منه بلالا وحملني الى دار الهجرة فالحمل
مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر وعلف الدابة أربعة اشهر حتى باعها المصطفى صلى الله
عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضي الله عنها فجهزناهما أحث الجهاز
أي سرعه ووصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت
بها على فم الجراب وفي رواية شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي
فسميت ذات النطاقين قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
رضي الله عنه بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من
مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض
الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجوني ما خرجت منك رواه الامام أحمد والترمذي وفي رواية
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أطيبك من بلد وأحبك
الى ولولا ان قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك وروى أبو نعيم عن ابن اسحاق بلاغا أنه
كان من قوله صلى الله عليه وسلم ايضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيأ
اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والايام اللهم اصحبني في سفري
واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني وعلى صالح خلقي فقومني واليك رب
فحببني والى الناس فلا تكلني أنت رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم
الذي أشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين
أن يحل بي غضبك أو ينزل على سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وتحول
عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك ولم
يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا على رضي الله عنه وآل أبي بكر رضي الله عنهم ومنهم
عامر بن فهيرة رضي الله عنه لانه مولى لأبي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه روى أنهما

خرجا من خوخة فى ظهر بيته ليلا وروى ان أبا جهل لعنه الله لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهو الذى يعرف الأثر فى كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور ويروى أنه قعد وبال فى أصل شجرة هناك ثم قال ههنا انقطع الأثر ولا أدرى أخذيمنا أم شمالا أم صعد الجبل وفى رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبى قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا أنه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده عن سيره ذلك بقتل او أسر ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيرى رضى الله عنه حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه وودّه الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

ولما دخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان و زهر أبيض يحشى به المخاد و يكون كالريش لخفته ولينه لأنه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صد المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل والحماية فى الحرم فلا يتعرض له وفى المثل آمن من حمام الحرم ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهى العصى الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ماقاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم اى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال أبو بكر رضى الله عنه ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها لو كان يرانا ما فعل هذا وقيل ان القائف قعد وبال ايضا وفى رواية أنهم طافوا جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث روى أن الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه

المكان حتى عمي على القائف الطلب ورحم الله القائل

والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل

روى أن حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ايضا فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله وقد روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا فقال فيه أخبرنا والدى قال وأنا احبها قال أخبرنا فلان وأنا احبها حتى قال عن أبي بكر رضى الله عنه لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبابكر في الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا وأما ما يروى من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القزان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شئ

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم اى اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضى الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق انله * من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق في الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

يعنى أنهم ظنوا أن الحمام لا تحوم حوله عليه السلام لان عادة الحمام النفرة وأن العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمور فهما احسا بالانسان فرامنه وقد روى أن المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت وما علم المشركون أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه وان وقاية الله عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهو الحصون ولله در الابوصيري من شاعر وما أحسن قوله ايضا في قصيدته اللامية التى اولها

الى متى أنت باللذات مشغول * وأنت عن كل ما قدمت مسؤل

حيث قال فيها

واغبرتا حين أضحى الغار وهو به * كمثل قلبي معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على * وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها * وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما * كأن أبصارهم من زيغها حول

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار وفي رواية فرفعت رأسي فرأيت أقدامهم فقلت له لو أن احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما اى جاعلهما ثلاثة بضم ذاته اليهما في المعية المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا قال بعض أهل السير ان أبابكر رضي الله عنه لما قال ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضي الله عنه الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العميمة وان كان الذي ذكره ما ذكر له اسنادا متصلا لكن حسن الظن بالائمة يقتضي أنهم لا يذكرون مثل ذلك الا بتوقيف وقد روى ان أبا بكر رضي الله عنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت أنه لم يكن تعود الحفا والجفوة قيل ان ذلك من خشونة الجبل وكان صلى الله عليه وسلم حافيا ومشى ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الارض وقيل انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم وفي بعض الروايات ان أبابكر رضي الله عنه كان يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله في بعض الطريق لشدة محبته له صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان أبابكر رضي الله عنه كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك واذكر الرصد فأمشي امامك وعن يمينك وشمالك لا آمن عليك فقال لو كان شئ أحببت أن تقتل دوني فقال اى والذي بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ليلة من ليالي أبي بكر رضي الله عنه خير مما أعطى عمر وآل عمر يعني بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من أن يكون في الغار شئ من الهوام ويروى أنه قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شئ نزل بي قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقى جحر فوضع عقبه عليه ويروى فألقمه أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه مسكن الهوام ثم بعد استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ادخل فانى سويت لك مكانا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر رضى الله عنه ونام وسد أبو بكر رضى الله عنه ما بقى من ثقوب الغار برجليه فلدغ فى رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية فجعلت الحيات والافاعى تلسعه وجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ وقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده وفى رواية فلما أصبح رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتنى قال كرهت أن أوقظك فمسحه فذهب ما به من الورم وفى رواية لأبى نعيم عن أنس رضى الله عنه فلما أصبح قال لأبى بكر رضى الله عنه أين ثوبك فأخبره بالذى صنع فرفع يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فأوحى الله اليه قد استجبنا لك وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتنى حين كذبنى الناس ونصرتنى حين خذلنى الناس وآمنت بى حين كفر بى الناس وآنستنى فى وحشتى قال الزرقانى والظاهر كما قال شيخنا يعنى الشبراملسى أنه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن اذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتى لهما بالغار كابنه وابن فهيرة ويروى ايضا ان أبا بكر رضى الله عنه لما دخل الغار أصاب يده شئ فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

فهذا البيت من انشاء الصديق رضى الله عنه وقد تمثل به النبى صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه والممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر لا انشاده ثم ان هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم ويروى ان أبا بكر رضى الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الأمة بقتلى فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الأمة بهلاك الدين فعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فالمعية معنوية لاستحالة الحسية فى حقه تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه السكينة أمنة اى حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لأنها عما تنكره وقوله عليه الضمير عائد على أبى بكر رضى الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه فى قول الأكثر قال البيضاوى وهو الاظهر لانه كان منزعجا لا على النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقوله وأيده الضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة اى ليحرسوه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتأمل بعين البصيرة فى أمر المصطفى

صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضي الله عنه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم حزن الصديق لكن لا على نفسه قوى الرسول صلى الله عليه وسلم قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بكونه ثاني اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة رضي الله عنهم فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لانه لما جعل نفسه وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه جوزي بمؤازرته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منائر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقد أحسن حسان رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر رضي الله عنه وقال والله أنا صاحبه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي امام أبي بكر رضي الله عنه فقال يا أبا الدرداء تمشي امام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله أمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس رضي الله عنه حب أبي بكر واجب على أمتي قال بعضهم وتأمل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الى أنه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أو لأنه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لأحد عن الاحتياج اليه أو لتعظيمه بوصفه بالألوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معي ربي ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضي الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معي بل قال معنا لانه أمد الصديق رضي الله عنه بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبي بكر رضي الله عنه والا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود اذ ليس في طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك الامداد وفرق بين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام ومعية الألوهية في قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه في قصة موسى قال ان معي ربي والرب من التربية وهي التنمية والاصلاح وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه في الغار ثلاث ليال وكان يبيت

عندهما

عندهما في الغار عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو غلام شاب ثقف أي فطن
حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كبائت
بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به اي يطلب لهما فيه المكروه الا حفظه حتى
يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة رضي الله عنه مولى أبي بكر رضي الله عنه
يرعى غنما لأبي بكر رضي الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من
العشاء فيحلبان و يشربان ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك
في كل ليلة من الليالي الثلاث وكان عامر رضي الله عنه أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وكان
ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه واستشهد ببئر معونة في حياة النبي صلى
الله عليه وسلم وفي بعض الروايات أن أسماء رضي الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست
بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه قبل
خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضي
الله أمرا ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما
براحلتيهما صبح ثلاث وفي رواية الزهري حتى اذا هدأت عنهما الأصوات جاء صاحبهما
ببعيريهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما و يعينهما يردفه أبو بكر و يعقبه ليس
معهما غيره والدليل فأخذ بهم طريق الساحل وفي رواية فأجازهما أسفل مكة ثم مضى بهما
حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر
رضي الله عنه اذا سأله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك يقول هاد يهديني
الطريق وكان أبو بكر رضي الله عنه يكثر الأسفار للتجارة فكان معروفا عندهم والنبي صلى
الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر رضي الله عنه
دون النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاد يهديني السبيل ولا يتكلم بكلام
الا ويوري في كلامه ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه اله
الناس اي اشغل الناس عني أي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني فانه لا ينبغي لنبي أن يكذب
اي ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر رضي الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفي الصحيحين أنهم
مروا بصخرة فنام النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ورأى ابو بكر رضي الله عنه راعيا معه غنم
فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر رضي الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم
ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهي معدودة من الصحابيات رضي
الله عنها لانها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية تحتبي بفناء القبة
ثم تسقي وتطعم من يمر بها وكان القوم مرملين مسنتين اي مقحطين فطلبوا منها لبنا أو لحما
أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا وقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزنا القرى فنظر
صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد أي الهزال عن الغنم فسألها

صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك تريد أنها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال أتأذنين لي أن احلبها فقالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا اى لبنا فى الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها اى وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط أى يشبع الجماعة حتى يربض والحلب فيه ثجا اى حلبا قويا وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقى القوم آخرهم شربا ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل اى ثانيا بعد الاول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفى رواية قال لها ارفعى هذا لأبى معبد اذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفى بعض الروايات أنها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها اكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقى أكثر لحمها عند أم معبد وبقيت الشاة التى مس ضرعها الى زمن عمر رضى الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه اكثم بن أبى الجون الخزاعى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال السهيلى وله رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى فى حياته أقبل يسوق غنما عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا ولا حلوب بالبيت فقالت انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا اى رأى الشاة ودعا لها وحكت له القصة فقال صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة والمراد أنه وسيم قسيم أى كامل الحسن فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف اى طول أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر فى عنقه سطع أى طول وفى لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر أجهر الناس اذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به أى يستديرون حوله اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا الأمره محفود أى مخدوم محشود أى عنده قوم لا عابس ولا مفند أى ليس كثير اللوم فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته وفى رواية ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ومازالت قريش تطلب النبى صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل فقالوا ذاك الذى نريده ثم أسلمت رضى الله عنها وهاجرت قال السيد السمهودى فى الوفاء هاجرت هى وزوجها وأسلما وفى خلاصة الوفاء فخرج أبو معبد فى أثرهم ليسلم فيقال انه ادركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفى شرح السنة للبغوى هاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك روى ابن اسحاق عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت لما خفى

علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك يا ابنة أبي بكر فقلت والله لا أدري اين أبي فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة واحدة خرج منها قرطي ثم انصرفوا قالت ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل بعد ثلاث ليال وفي رواية خمس ليال يغني بأسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل انه من الجن وقيل سمعوا هاتفا على أبي قبيس وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها في مصدر ثم مورد

قالت أسماء رضي الله عنها فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الانصار رضي الله عنهم قال حسان رضي الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمي وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي رضي الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجي نسبة الى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كناني حجازي وسبب تعرضه لهما ما رواه البخاري عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر

رضى الله عنه دية اى فى كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس فى مجالس قومى بنى
مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى قد رأيت آنفا أسودة
بالسواحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك
رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج
بفرسى من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت قال أبو بكر
رضى الله عنه تبعنا سراقة ونحن فى جلد من الارض فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا
فقال لا تحزن ان الله معنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضى الله عنه
يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا
وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن عليك فقال
صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت وفى رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه
حتى بلغت الركبتين وفى رواية الى بطنها فطلب الأمان وفى رواية أنه سقط عن فرسه
واستقسم بالازلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم
فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذى يكره
فناداهم بالأمان قال وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة الناقة وروى فى بعض التفاسير أنه
عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه فى الارض
وجاء فى رواية أن سراقة لما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك منى
اليوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام
وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة
فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان لو أنجيتنى لأكونن لك لا عليك فقال يا أرض أطلقيه
فأطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال أنا سراقة أنظرونى أكلمكم فوالله لا يأتيكم
منى شئ تكرهونه وأنا اعلم ان قد دعوتما على فادعوا لى وفى رواية قد علمت يا محمد ان هذا من
دعائك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما وفى رواية لابن
عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدرى لعل الحى يعنى قومه فزعوا لركوبى وأنا راجع
ورادهم عنكم قال فوقفا لى ودعا له صلى الله عليه وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت
فرسى حتى جئتهما ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن
يحصلهما وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم
عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى اى لم ينقصانى مما معى شيئا
وفى رواية قال هذه كنانتى فخذ منها سهما فانك تمر على ابلى وغنمى بمكان كذا وكذا فخذ منها

حاجتك فقال لاحاجة لنا فى ابلك ودعا له وفى رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسراقة اذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية ولم يسألانى شيأ الا ان قالا أخف عنا قال فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم وفى رواية قال سراقة انى لأعلم أن سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى انى اذا أتيتك يوم ملكك تكرمنى فأمر عامر ابن فهيرة فكتب له وفى رواية لأنس رضى الله عنه فقال يانبى الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان اول النهار جاهدا على نبى الله وآخر النهار مسلحة له اى حارسا له بسلاحه وفى رواية أنه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظرى بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا وجاء فى الحديث من تمام القصة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى وفى رواية اذا تسورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم فعجب من ذلك فلما أتى بهما فى خلافة عمر رضى الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضى الله عنه قد سمع بوعد النبى صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبى بكر رضى الله عنه فدعا بسراقة فألبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهارا لها وقال ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بنى مدلج ورفع عمر رضى الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين ومما جىء به لعمر رضى الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له فى ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور فقطع عمر رضى الله عنه البساط وقسمه على المسلمين فأصاب عليا رضى الله عنه قطعة باعها بخمسين ألف دينار وفى القصة ايضا أنه اخذ الكتاب الذى كتب له وجعله فى كنانته قال سراقة فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت للقائه ومعى الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدى بالكتاب فقلت يارسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه وأسلمت وفى رواية عن سراقة رضى الله عنه بلغنى انه يريد أنه سيبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى قومى فأتيته فقلت أحب أن توادع قومى فان أسلم قومك أسلموا والا أمنت منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش اسلموا معهم فأنزل الله تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم قال ابن اسحاق ولما بلغ أبا جهل مالقى سراقة لامه فى تركهم وفى رواية أن سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فأنكر أنه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فأخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل فى تركهم فأنشده سراقة

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لأمر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني * أرى امره يوما ستبدو معالمه

والى قصة سراقة أشار بعضهم بقوله

غرت سراقة أطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

وقال صاحب الهمزية

فاقتفى أثره سراقة فاستهوته فى الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

واجتاز صلى الله عليه وسلم فى طريقه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه أبو بكر رضى الله عنه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير أن ههنا عناقا حملت عام اول ومابقى لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن وهو الترس فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر رضى الله عنه ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أو تراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال أشهد انك نبى وأن ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا وممّا وقع لهم فى الطريق أنه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا الزبير رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وكذا لقى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فكساهما وأخرج البيهقى عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر رضى الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذى أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون فى المدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة أيام وهى المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التى كانا بها بالغار فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم وأحرقتهم

الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم أى محل مرتفع من آطامهم اى من محالهم المرتفعة
لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين اى لابسين ثيابا بيضا
وهى التى كساهم اياها الزبير وطلحة فى الطريق فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب
اى يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودى ان قال بأعلى صوته يامعشر العرب وفى رواية يابنى قيلة
وهم الانصار وأمهم تسمى قيلة هذا جدكم اى حظكم الذى تنتظرونه وفى رواية لما دنوا
من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبى أمامة أسعد بن زرارة وأصحابه من الانصار
ولا مانع من الأمرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة
وهو مع أبى بكر رضى الله عنه فى ظل نخلة كانت هنالك ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين
وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين
فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكان نزوله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم لانه
كان شيخ بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الأوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم أسلم
رضى الله عنه وتوفى قبل غزوة بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة
وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يانجيح لغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأبى بكر رضى الله عنه نجحت يا أبا بكر وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع
أصحابه فى بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا لا أهل له هنالك وكان منزله يسمى منزل العزاب
وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل أبو بكر رضى
الله عنه على حبيب بن أساف وقيل خارجة بن زيد رضى الله عنه ولما توجه صلى الله عليه وسلم
المدينة أمر عليا رضى الله عنه أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام على كرم الله وجهه بالابطح
ينادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت نؤدى اليه أمانته فلما نفد
ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه
الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن
الهدم اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان على رضى الله عنه فى طريقه يسير الليل ويكمن
النهار حتى تفطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه
من الورم وتفل فى يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك
من على رضى الله عنه مع وجود مركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة فى عظيم الأجر
ويرى السير راحة القلوب بوصول النبى صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضى الله
عنهما ما رأيت اهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن
مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء
منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أى الاسطحة عند قدومه يعلن بقولهن

طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

ما دعا لله داعى * أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع

ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضى الله عنه للناس وأبو بكر شيخ أى شيبه ظاهر وان كان النبى صلى الله عليه وسلم أسن منه فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر رضى الله عنه فيعرف بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى ظلل عليه بردائه فعرف من جاءهم بعد ذلك ولا يرد أن تظليل الغمام يغنى عن تظليل أبى بكر رضى الله عنه لأن ذلك كان قبل البعثة ارهاصا للنبوة صلى الله عليه وسلم ولم ينقل أحد وقوع ذلك بعد البعثة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة وأسس صلى الله عليه وسلم بقباء المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نزلت فيه الآية وقيل انه مسجد المدينة وروى كل منهما فى أحاديث صحيحة وجمع بعضهم بأن كلا منهما يسمى المسجد الذى أسس على التقوى وروى الطبرانى عن الشموس بنت النعمان رضى الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فيأتى الرجل من أصحابه فيقول يارسول الله بأبى أنت وأمى أكفيك فيقول لا حتى أسسه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتى مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلى فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ماهذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقالوا يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط الا غسل فرجه اى بعد الاستنجاء بالاحجار وفى رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال هو هذا زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه مابين ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة

وصار

وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة
بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج
من قباء يارسول الله أخرجت ملالا لنا أو تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل
القرى أى تغلبها وتقهرها والمراد أن اهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى
ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم ثم أدركته صلاة الجمعة فى مسجد
بنى سالم بن عوف وهو المسجد الذى فى بطن الوادى على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى
مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهى أول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وخطب بها وهى أول خطبة خطبها فى الاسلام ومن خطبته صلى الله عليه وسلم تلك فمن
استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى
الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفى رواية
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها الى
المدينة وهو مردف أبا بكر رضى الله عنه خلفه اكراما له والا فقد كانت له راحلة ولما ركب
صلى الله عليه وسلم أرخى لناقته زمامها وهى تنظر يمينا وشمالا وكلما مر على دار من دور
الانصار يدعونه المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها
يعنى ناقته فانها مأمورة وفى ذلك حكمة بالغة هى أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله
بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم
شيأ ولما مر على بنى سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة
ابن الصامت فقالوا يارسول الله أقم عندنا فى العز والثروة والمنعة وفى رواية أنزل فينا فان
فينا العدد والعدة والحلقة اى السلاح ونحن أصحاب الحلائف والدرك كان الرجل من العرب
يدخل هذه الهجرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها
مامورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بنى
بياضة أى محلتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم
فأجابهم بأنها مامورة خلوا سبيلها حتى وردت دار بنى ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر
ابن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم بخلوا سبيلها فانها مامورة فانطلقت
حتى مرت بدار بنى النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم اى أخوال جده عبد المطلب فسأله
بنو عدى بن النجار بمثل ما تقدم وفى رواية أنهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أخوالك هلم
الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يارسول الله ليس أحد من قومك أولى بك
منا لقرابتنا فأجابهم بمثل ما تقدم وبأنها مامورة فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك فى
محل المسجد أو محل بابه أو منبره عند دار بنى مالك بن النجار وكان ذلك الموضع الذى بركت
فيه مربدا لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو والمربد الموضع الذى يجفف فيه التمر وقيل كل

شيء حبست فيه الابل أو الغنم ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبي أيوب
خالد بن زيد الانصاري وهو من بني مالك بن النجار ثم ثارت و بركت في مبركها الاول عند المسجد
قال الحافظ ابن حجر أشارت الى أنه منزله حيا وميتا وألقت جرانها بالارض يعني باطن عنقها
وأرزمت يعني صوتت من غير أن تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل
ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة
وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده عليه
السلام فأكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفي رواية أنها استناخت به أولا
فجاءه ناس فقالوا المنزل يا رسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم
تحلحلت فنزل عنها وقال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وأخذه الذي
كان يأخذه عند الوحي وسري عنه فقال هذا ان شاء الله يكون المنزل فأتاه أبو أيوب فقال ان
منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة في ظلاله فلما نقل رحله
قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء أسعد بن زرارة فأخذ ناقته صلى الله عليه وسلم
فكانت عنده قال أبو أيوب رضي الله عنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينة فكنت في العلو وفي رواية لما نزل صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل وكنت
أنا وأم أيوب في العلو فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي اني أكره وأعظم أن أكون فوقك
وتكون تحتي فاظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل فقال يا أبا أيوب ان
الارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت فكان النبي صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا
فوقه في المسكن فلما خلوت الى أم أيوب يعني زوجته قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة و ينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة
هنيئة بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفي رواية أن أبا أيوب انتبه ليلا فقال نمشي فوق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتحولوا وباتوا في جانب زاد في رواية فلقد انكسر لنا حب فيه ماء فقمت
أنا وأم أيوب لقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم منه شيء فيؤذيه فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا
أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة و ينزل عليك الوحي فقال صلى الله عليه
وسلم السفل أرفق بنا قلت لا يكون ذلك والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا زاد
في رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول الى العلو وأبو أيوب في
السفل قال أبو أيوب رضي الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رده علينا فضله تيممت
أنا وأم أيوب موضع يده نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا أو ثوما
فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسألته فقال اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل
أناجي فأما أنتم فكلوه فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وهذا لا ينافي أن الطعام كان يأتيه

ايضا

ايضا من غير أبي أيوب فقد ورد أنه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام في بيوت أزواجه وان أول هدية دخلت عليه عليه السلام في بيت أبي أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد ابن ثابت ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة اليك أمي فقال بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن اسحاق أن هذا البيت الذي لأبي أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الحميري لما مر بالمدينة في رجوعه من مكة وترك فيها أربعمائة عالم روى ابن عساكر أنه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان في مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبي صلى الله عليه وسلم وبناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا من يدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان في الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب لحاجة بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقاني في شرح المواهب فتداول الدار التي بناها تبع للنبي صلى الله عليه وسلم الملوك الى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقي أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فاني لم أر في وجهك أثر السحر وتوهم أنه ساحر فقال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحاق وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعمائة وهم الأوس والخزرج فعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم في منزل نفسه لا في منزل غيره وعن أنس رضي الله عنه قال شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جويريات من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحببنني قلن نعم يا رسول الله فقال الله يعلم
أن قلبي يحبكن وفي رواية وأنا والله أحبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم في الطرق
ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في رواية
أن ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت في دار بني النجار أي محلتهم جاء رجل من بني سلمة
وهو جبار بن صخر رضي الله عنه وكان من صالحي المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل
في دار بني سلمة فلم تفعل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد
الاشهل ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة
رضي الله عنه وكان من بني ساعدة وجد في نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا لي
حماري فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخيه سهل فقال أتذهب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اترد عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون
رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره أن يحل عنه سرجه وفي رواية قال له
اجلس ألا ترضى ان سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارك في الدور الاربع التي سمى ومالم
يسم أكثر مما سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث صلى
الله عليه وسلم في دار أبي ايوب سبعة أشهر الى أن بنى المسجد وبعض مساكنه ولما تحول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون فتنافس
فيهم الانصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد
من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ولما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما بالحمى روى النسائي
عن عائشة رضي الله عنها لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أول أرض الله أصاب
أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصابت الحمى أبا بكر
وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل أن
يضرب علينا الحجاب فأذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد فقلت يا أبت كيف تجدك
ويا بلال كيف تجدك وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا أخذته الحمى يقول اذا قيل له
كيف تجدك

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت انا لله ان أبي ليهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك
فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول اي لأنها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق
الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى

يقول ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادوحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء قالت عائشة رضى الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وقلت يارسول الله انهم ليهذون ومايعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أوأشد اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد فى غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة فى ثمارها قال العلامة الزرقانى والظاهر أن الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك فى الكيل بحيث يكفى المد بها مالا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة والمراد الحمى الشديدة النقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها الطائر الا حم وسقط قال الزرقانى والذى نقل عنها سلطان الحمى وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقى بالنسبة لما نقل شيأ واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة فى قلوب أصحابه حتى قال عمر رضى الله عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضى الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبى لؤلؤة المجوسى واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه صلى الله عليه وسلم قال السهيلى بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ماجبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى أنه قدم من مكة فسألته عائشة رضى الله عنها كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأغدق اذخرها وامشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلى حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم أى بستانكم اى اذكروا الى ثمنه لاشتريه منكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لأبى امامة أسعد ابن زرارة رضى الله عنه وكان أبو أمامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء وقيل فى حجر أسعد بن زرارة وجمع بأنه كانا فى حجرهما وبعض منه كان حائطا اى بستانا فيه نخل وبعض منه كان خربا وبعض منه كان فيه قبور وبهذا جمع بين الاحاديث التى فى بعضها أن موضع المسجد كان مربدا وفى بعضها كان بستانا وفى بعضها كان مسجدا لأسعد بن زرارة الى غير ذلك أمر

صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالحرب فسويت بازالة ما كان فيها
وبالنخل فقطعت وجعلت عمد المسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذوا بنى المسجد وسقف بالجريد
وجعلت عمده خشب النخل روى محمد بن الحسن المخزومى وغيره عن شهر بن حوشب لما
أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى
ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام
أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعضهم ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف
المسجد سبعة أذرع وروى البيهقى عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب
حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبى بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ثم
ليضع على ففيه اشارة الى ترتيبهم فى الخلافة رضى الله عنهم بل صرح به فى رواية أنه سئل عن
ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدى قال الامام أبو زرعة اسناده لا بأس به وقد أخرجه الحاكم
فى المستدرك وصححه وفى رواية هؤلاء ولاة الامر بعدى وأما ما اشتهر من أن النبى صلى الله
عليه وسلم لم يستخلف فمعناه أنه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافى وقوع
الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافى قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدى لانه ليس نصا لجواز أن يراد
الخلافة فى العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو
قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال
للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون فى بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله
عليه وسلم معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضى الله عنه ينقل لبنتين
لبنة عنه ولبنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عمار ألا تحمل
كما يحمل أصحابك قال انى أريد من الله الأجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن ظهره وقال له
للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فكان كما أخبر
صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الطبرانى فى الكبير باسناد حسن عن أبى سنان الدولى
الصحابى رضى الله عنه قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم
قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبه محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان آخر شئ تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق
وانهم على الباطل يعنى لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضى الله
عنه وكان ذلك بصفين مع على رضى الله عنه ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث او أربع
وتسعين سنة روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن فى بناء
مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

و يقول ايضا قول عبد الله بن رواحة

اللهم ان الأجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

وأصل البيت لاهم الخ وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الانصار وبعده

وعافهم من حر نار ساعره * فانها لكافر وكافره

والتمثل بشئ من الشعر ليس يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع انما هو انشاء الشعر لا انشاده ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يوما رداءه وهو يعمل فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون و يقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا للعمل المضلل

ويروى * لذاك هذا العمل المضلل * وروى البيهقي عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى أغبر صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه رجلا متنطعا أي متأنقا مترفها ظريفا وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأنشد يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضي الله عنه فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرتجز به ولا يدري من يعني به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لأعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لأعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يا رسول الله مالي ولأصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون علي الخ استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبي صلى الله عليه وسلم وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وأنا مراهق ادخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي وعن الواقدي قال كان لحارثة بن النعمان رضي الله عنه منازل قرب المسجد وحوله فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان

رضى الله عنه و زينب أخرت عند زوجها أبى العاص بن الربيع حتى أسر ببدر فلما من عليه
أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر رضى الله عنه عبد الله بن أريقط وكتب معه الى عبد الله
ابن أبى بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبى بكر وعائشة وأسماء قالت عائشة رضى الله عنها
فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة رضى
الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا فى عيال أبى بكر ونزل آل النبى صلى الله
عليه وسلم عنده وهو يومئذ يبنى المسجد وبيوته فأدخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم
عندها ذكره الطبرانى وأما عائشة رضى الله عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد
قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلى لتذهب
عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز
الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم
اخوة وأنزل الله انما المؤمنون اخوة اى فى التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم
تسعين خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الانصار وكانت المؤاخاة بينهم
على الحق والمواساة والتوارث وبذل الانصار رضى الله عنهم فى ذلك جهدهم وكتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ودعا فيه يهود بنى قينقاع وبنى قريظة
وبنى النضير وصالحهم على ترك الحرب والأذى أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه
أحدا وأنه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت
المؤاخاة بين المهاجرين والانصار فى دار أبى طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه زوج أم انس بن
مالك رضى الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين أبى بكر وخارجة بن زيد رضى الله عنهما
وكان صهرا لأبى بكر لأنه زوج ابنته لأبى بكر رضى الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضى
الله عنهما وبين بلال وابن رويم الخثعمى رضى الله عنهما وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير
رضى الله عنهما وبين أبى عبيدة وسعد بن معاذ رضى الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف
وسعد بن الربيع رضى الله عنهما وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن يا عبد الرحمن انى من
أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندى امرأتان فأنا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها
فتزوجها فقال بارك الله لك فى أهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دلونى على
السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وتوفى أسعد بن زرارة رضى
الله عنه فى السنة الأولى من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا وكان رضى
الله عنه نقيبا لبنى النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له
صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتم أخوالى وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكان من
مفاخرهم كون النبى صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة

رضي الله عنها على رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوال ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان بلال ينادي الصلاة جامعة ثم تكلم الناس في شئ يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضي الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة وقال بعضهم توقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه في منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله أكبر الله أكبر الى آخر الأذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال انها رؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فألق عليه فانه أندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضي الله عنه فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى بل روى أنه رآه أربعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم فما كان الاعتماد الا على الوحي وكانت تلك المنامات سببا في ذلك

﴿باب معاداة اليهود﴾

وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وأنزل الله فيهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر الآيات فمن أعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيي وأبو ياسر وجدي بنو أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم أسلم مخيريق رضي الله عنه وكان له سبع حوائط فأوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الأذان والاعلان بالشهادة له صلى الله عليه وسلم وعن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب اليهودي قالت كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر وكانا من أحبار اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاآ من العشي فسمعت عمي يقول لأبي أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت وفي رواية قالت ان عمي أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم أطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل فوالله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم جاهدين في ردّ الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما ومن كان موافقا لهما ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ومن شدة عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان لبيد بن الاعصم اليهودي صنع سحرا للنبي صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة وهي ما يخرج من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودي كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال النبي صلى الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك في بئر ذروان فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم أن يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما ثم جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك السحر و بمكانه فأرسل صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ثم وخا فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه بذلك خفة حتى قام كأنما انشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم انه صلى الله عليه وسلم أحضر لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد وفي رواية اما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه اي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقاتلكم معه نقتل عاد وارم فبعد ان ظهر الاسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل و بشر ابن البراء رضي الله عنهما يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل كفر وشرك وتخبرون أنه مبعوث وتصفونه لنا فقال سلام ابن مشكم وهو من عظماء يهود بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه ما هو الذي كنا نذكره لكم فأنزل الله في ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصلت من أحبار اليهود وكان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم و يدلس على اليهود وأخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي تطعمك اليهود فغضب والتفت الى عمر رضي الله عنه وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فكان هذا منه كفرا بنبينا صلى الله عليه وسلم و بموسى عليه السلام و بما أنزل عليه فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني

فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وأنزل الله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وأنزل ايضا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويروى أن يهود المدينة من بنى قريظة والنضير وغيرهم ما كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبى الأمى الذى وعدت انك باعثه فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم ابعث النبى الذى نجد نعته فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ أن يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق النبى الذى وعدت أن تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان وممن كان من أحبار اليهود حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودى كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شابا من اليهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك اى قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذلك فرده عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذلك وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اى قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الأوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية اى أتقتتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فى شاس ابن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله فى الانصار يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء تعنتا

وحسدا وبغيا ولبسوا الحق بالباطل فمن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عنه الروح فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل اى جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على أنه النبي الأمي وأنتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت أنه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فقالوا كذا نجد في كتابنا التوراة وتقدم أن هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود فلما سألوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحى اليه أجابتهم بشيء غير ما أجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الاول بعينه فأوحى الله اليه الآية بعينها فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد في كتابنا وجاء يهوديان مرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد أنك نبي قال ما يمنعكما أن تسلما فقالا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافي أن بعضهم فسرها بالمعجزات التي أعطيها موسى عليه السلام وهي التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لأن تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى عليه السلام ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم وقيل في سبب نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام أن حبرين من أرض الشام لم يعلما ببعثه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان فأخبرا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فأتيا اليه فلما رأياه صلى الله عليه وسلم قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسألاني فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فأنزل الله تعالى شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا عن ربك من اى شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له خفض عليك وأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الى آخر السورة اى هو متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل

ماعداه محتاج اليه وقيل ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا لا يأكل الطعام فأنزل الله سورة الاخلاص ابطالا لألوهية عيسى عليه السلام لأن الصمد هو الذى لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وذكر السيوطى فى الاتقان أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا ربك وجوابا لعبد الله بن سلام حين قال أنسب لنا ربك يا محمد كما سيأتى فى خبر اسلامه وجوابا لأهل الكتاب بالمدينة فقد ينزل الشئ مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم احبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق وقد أثنى الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بنى قينقاع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه فى اول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب والذى سمعه قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الارحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضى الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بالجيم اى أسرعوا فكنت ممن اتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت أنه وجه غير كذاب اى لأن صورته صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وأنه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا أيها الناس أفشوا السلام الخ وعند ذلك قلت أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتى فأسلموا وكتمت اسلامى من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب وقلت له لقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فأحب أنى يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا انى أسلمت فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وهم أعظم قوم عضهة اى كذبا وانهم أن يعلموا انى أسلمت قالوا فى ما ليس فى وخذ عليهم ميثاقا انى ان اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذى أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق أسلموا قالوا مانعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأى رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن أعلمنا وفى رواية خيرنا وابن خيرنا قال أفرأيتم ان شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على أن تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فسال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم انى رسول الله تجدونى عندكم مكتوبا فى التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بى وتتبعونى من أدركنى منكم قال ابن سلام بلى يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله حقا وأنه جاء بالحق زاد فى رواية انكم لتعلمون أنه رسول الله

تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه اللغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحى شرنا وابن شرنا قال ابن سلام هذا الذي كنت أخاف يارسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وغير ذلك من الآيات وفي الخصائص الكبرى للجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر أن ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي الى آخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بأنه فعل ذلك ثانيا بالمدينة اقامة للحجة على اليهود وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فأدخله وخبأه وأرسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون ابن يامين فقال أخرج اليهم فخرج وقال أشهد أنه رسول الله فأبوا أن يصدقوه وقد أشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه وظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الافواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم بأن تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم أنجز لكم

ماوعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم
فيه من العلم ماليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون اى لاتكتموا ماعندكم من المعرفة
برسولى و بما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم وقد روى فى سبب
اظهار اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه زيادة على ماتقدم أنه رضى الله عنه قال جاء رجل
فأخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا فى رأس نخلة أعمل فيها وعمتى من تحتى جالسة فلما
سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى بن عمران
مازدت على هذا فقلت لها أى عمتى فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به
قالت يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام
وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت له
انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومابال
الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال
ابن سلام ذاك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك وقيل لانه
يطلع النبى صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أما أول الساعة فنار تحشرهم
من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت اى وهى القطعة
المعلقة بالكبد وهى فى الطعم فى غاية اللذة وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد
اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليها وقد سأل علماء اليهود النبى صلى الله عليه
وسلم عن أشياء كثيرة فأجابهم عنها منها انهم سألوه مرة فقالوا أخبرنا عن علامة النبى فقال تنام
عيناه ولا ينام قلبه وسألوه اى طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم
بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا
شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب
الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم
اى حرمها ردعا لنفسه ومنعا لها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك
هاج به وذكر أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم
الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن أولى بابراهيم
منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بأن هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو
متأخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أنى رسول الله
قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدنى فى التوراة والانجيل
قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فاذا

أنت لست هو قال ولم قال ذاك معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لأناهو وانهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسألته اليهود ايضا عن الرعد والبرق فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار فى يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية أن اليهود أنكروا النسخ قالوا الاترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا مرة فاطقه صلى الله عليه وسلم مانرى لهذا الرجل همة الا فى النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه اى لأن شريفا فى خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قالوا لهم ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه التعزيب فاسألوه فسألوه صلى الله عليه وسلم فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال الجمع من علمائهم أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فأتوا بها فأحضروا التوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا فيها آية الرجم وجاء فى بعض الروايات أن احبار اليهود وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا فى بيت مدراسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذناه واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لأنا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة قالوا نفضحهما بالسواد نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها ومابعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يامحمد فيها آية الرجم وفى رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أبا القاسم ماترى فى رجل وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال لهم ماتجدون فى التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فأفتاهم بالرجم فأنكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا

وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله الذى أنزل
التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا يحمم اى يسود وجهه
ويجنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفى رواية فلما سألهم أجابوه
الا شابا منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا أما نجد
فى التوراة الرجم ولكن رأينا أنه اذا زنى الشريف فلا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف
كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعنى التعزير السابق
فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحكم بما فى التوراة وهذا الشاب هو عبد الله
ابن صوريا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالرجم أبوا أن يأخذوا به فقال له
جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودى على وجه الارض بما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام
فى التوراة ورضوا به حكما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى
أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل
عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون
فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا
العذاب وفى رواية قال فى جوابه للنبى صلى الله عليه وسلم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشية
أن تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو فى كتابك يا محمد قال اذا شهد
أربعة رهط عدول انه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن
صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فليتأمل الجمع
بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم أنها
قضية واحدة لم تتكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فيها طالت وأيامها
اتسعت فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات فى مجالس متعددة فحصل فى كل مجلس
منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات نكل من حفظ شيأ رواه
فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه وجاء فى بعض الروايات أن ابن صوريا سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من اعلام نبوته فأجابه عنها فلما تحققها قال أشهد
أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الأمى وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلى
وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم
ثم بعد تحقق الرجم فى التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة
فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد قال
ابن عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول

قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور الآية وتزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الظالمون ومامعها من الآيات وفيها فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الفاسقون وعن عمرو
ابن ميمون قال رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لأهلي فجاء قرد
ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق
وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها
بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما ورجمتهما
معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف في الانس والجن دون غيرهما وقد
ذكر غير واحد أن أحبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا من
انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم
فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فانا
نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم
الله من فضله اى من العلم صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان
في كتابهم أنه صلى الله عليه وسلم أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا
نجده طويلا أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى أتباعهم وقالوا هذا نعت النبي
الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية
وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون
فيما بينهم لان ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شئ كان
أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن
سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد
هذا المجلس لأضربن عنقه فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفي رواية
أن اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله عنهم يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ
يارسول الله راعنا اى انظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها
اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم براعنا يعنون بذلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها للرسول الله صلى الله عليه
وسلم لأضربن عنقه بالسيف فقالوا له ألستم تقولونها أنتم فنزلت وجاء صلى الله عليه وسلم
جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي
نحلف به ما نحن الا كهيئتهم مامن ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل ومامن ذنب نعمله بالليل
الا كفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء أن جماعة من
أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسيد اجتمعوا

وقالوا ابعث الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود
وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى
لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك وأنزل الله تعالى وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رجل من اليهود من التجار وفى رواية من
النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول اشهد أن محمدا رسول الله فقال أخزى الله الكاذب
وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة
فاحرقت البيت واحترق هو وأهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
قال حيى بن أخطب يستقرض ربنا وانما يستقرض للفقير الغنى فأنزل الله تعالى لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله عنه دخل
بيت المدراس فقال لفنحاص بن عازوراء اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله
فقال يا أبا بكر مالنا الى الله من فقر وانه الينا الفقير فغضب أبو بكر رضى الله عنه وضرب
وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر رضى الله عنه ما كان منه فأنكر قوله ذلك
فنزل لقد سمع الله الآية وقيل فى سبب نزولها ايضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل
أبا بكر رضى الله عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود
بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام
الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال قد احتاج
ربكم سنمده وفى رواية قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير
من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله اذا لفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر رضى الله عنه
وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنى أن اضربه بالسيف
الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لا تفتت على بشئ حتى ترجع
الى فجاء فنحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكى أبا بكر رضى الله عنه فقال صلى الله
عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه ما حملك على ما صنعت قال يارسول الله انه قال قولا عظيما
زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية
تصديقا لأبى بكر رضى الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن
أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها
لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو الغنى الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الأوس والخزرج
منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أنهم دخلوا فى دين الاسلام تقية
من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود فى الـ
وفى الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كا

عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد بن الصامت وأنه قال يوما ان كان
هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضي الله عنه من جلاس وكان عمير
يتيما في حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه
ثم قال ائن كان مايقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لأحب الناس
الي وأحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها اعليك لأفضحنك ولئن صمت عليها أي
أمسكت عنها لم اسكتن على ديني ولاحداهما أيسر علي من الأخرى فمشى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله
لقد كذب علي عمير وما قلت ماقال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا أن ينزل
القرآن فيجعلني معك ماقلته وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف
أنه ماقال واستحلف الراوي عنه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك تكذيب الكاذب
وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين فنزل يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم
توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته
رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم نبتل بن الحارث قال النبي
صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان يجلس
اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد أذن من حدثه
بشيء صدقه فأنزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل أذن خير لكم الآية
وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس معك رجل صفته كذا ينقل الحديث
الذي تحدثه به كبده أغلظ من كبد الحمار وفي رواية ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله
ابن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من أعظم
أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم قد نظموا له الخرز ليتوجوه
ثم يملكوه لأن الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الذي
يتوج به الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي وقد جاء في بعض الروايات في حكاية انتقاله
صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة أنه عرج على عبد الله بن أبي بن سلول يريد النزول
عنده تألفا له وكان عبد الله جالسا محتبيا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يريد النزول
عنده قال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يارسول الله لا تجدن في
نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق
[ذ]لك الذي فعل به مارأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له في بعض الايام أنه
[صلى ال]له عليه وسلم قيل له يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول اي تألفا له ليكون ذلك
[سببا لدخوله في الاس]لام من تخلف من قومه وليزول ماعنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم

وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عنى
والله لقد أذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه
فكان بينهما ضرب بالجريد والايدى والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا
بينهما كذا فى البخارى وفيه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على عبد الله بن
أبى بن سلول فى جماعة فقال لقد أذانا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضى الله
عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه برأسه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن
بر أباك وكان عبد الله بن أبى جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى
واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية وعن الزهرى قال أخبرنى عروة عن اسامة بن زيد رضى
الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف وأردف اسامة خلفه يعود
سعد بن عبادة رضى الله عنه فى بنى الحارث من الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد
الله بن أبى بن سلول وذلك قبل أن يسلم فاذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة
الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فثار غبار من مشى الحمار فخمر
ابن أبى وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل
ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان
كان حقا فلا تؤذونا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن
رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا
يتبادرون القتال فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب صلى الله عليه وسلم
دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد
ألم تسمع ما قال أبو حباب يعنى عبد الله بن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله
اعف عنه واصفح فو الذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل الله عليك وقد
اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذى أعطاك الله
شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن أبى هذا
رأس المنافقين وأبى أبوه وسلول أمه وقيل جدته أم أبيه ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبى عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك
انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبى انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء
السفهاء فأخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى
رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه وقال مرحبا
بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه

بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم الى آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه وأصحابه منها الاذل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وستأتي القصة ان شاء الله تعالى و بالجملة فقد لاقى صلى الله عليه وسلم من شدة الاذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيأ كثيرا ولكنه بالنسبة لاذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة في غاية العزة والمنعة والقوة من أول يوم واذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالى لن يضروكم الا أذى وكان جبريل يأتيه بغاية الاجوبة لاسئلتهم ومع ذلك صبر في أول قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين ثم لما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها بمكة كلها يأمره فيها هو ومن معه بالصبر على الاذى ثم أنجز الله له وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

باب مغازيه صلى الله عليه وسلم

وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة قال الزهري أول آية نزلت في الاذن بالقتال قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائي باسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما فهي أول آية نزلت في القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأذن له بالقتال وحكمة تأخير الاذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا ـتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت ـة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث عليه السلام البعوث او غزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحهم غالبا أن يسموا كل

عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه الى العدو سرية وبعثا وخرج بقولهم غالبا غير الغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا أفواجا وجاؤا بعد الفتح من أقطار الارض طائعين وكان عدد مغازيه التى غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهى غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بنى سليم غزوة بنى قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر غزوة بحران بالحجاز غزوة أحد غزوة حمراء الاسد غزوة بنى النضير غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة غزوة بدر الاخيرة وهى غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بنى المصطلق ويقال لها المريسيع غزوة الخندق غزوة بنى قريظة غزوة بنى لحيان غزوة الحديبية غزوة ذى قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادى القرى غزوة عمرة القضا غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التى بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتى كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبى فى السيرة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولاصحابه لامر الله له بذلك أى بالانذار وبالصبر على الاذى والكف بقوله تعالى وأعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت أتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب أذن له فى القتال وقد ذكر وافى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يارسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كره بعضهم وشق عليه فأنزل الله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية وكانت الصحابة رضى الله عنهم بمكة وبعد أن هاجر وا وقبل ان يؤذن لهم بالقتال فى غاية من الخذلان لان العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى انهم اعنى المسلمين كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فأنزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم

من بعد دخولهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ثم أذن فى القتال اى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن فى غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم أمر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام القسم الاول محاربون وهم الكفار المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة والقسم الثانى أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بأن صالحهم على أن لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل فى الاسلام تقية وهم المنافقون فانه امر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لأخذ ما فيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال وليقوى قلوب أصحابه على القتال شيأ فشيأ وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التى يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها فكان أول بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم

﴿ان بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه﴾

وكان فى رمضان وقيل فى ربيع الاول فى السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين فخرجوا يعترضون عير القريش جاءت من الشام تريد مكة اى يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها أبو جهل لعنه الله فى ثلثمائة راكب وقيل فى ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان مصالحا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى مجدى هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدى هذا على النبى صلى الله عليه وسلم كساهم ومجدى لم يعلم له اسلام ولم يذكره أحد فى الصحابة مع أنه سعى فى هذا الصلح المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم معهم فلربما أن المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان فى هذا الصلح ستر للحال وبقاء الشوكة أهل الاسلام فلهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مجدى انه ميمون النقيبة مبارك الأمر أو قال رشيد الامر وانما بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحدا من [الأ]نصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو معهم لأنهم شرطوا له أن يمنعوه فى دارهم ولم يذكر [و]قت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الأمر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به [نفوسهم] فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان فى هذه السرية جماعة من الانصار والله أعلم

﴿سرية عبيدة بن الحارث﴾

[...] عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتى ان شاء الله وكانت الى بطن رابغ فى شوال

على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين رجلا وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس
فيهم أحد من الانصار يلقى أبا سفيان بن حرب وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وقيل مكرز بن
حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن أبي جهل وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه
وكانوا في مائتي رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رمى بسهم
فكان اول سهم رمي به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه فرمى بما في كنانته
وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم
وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا
مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان بعث حمزة كان على
رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية أشهر في شوال وقيل
انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لأمر اقتضاه
والله أعلم

سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الأولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب
في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين رجلا من المهاجرين
يعترض عير القريش فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من
المدينة فوجدوا العير قد مرت بالأمس فرجعوا ولم يلقوا كيدا

وأول مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة ودان

قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله
عنهم كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن وعن اسماعيل
ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها
شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها فأول غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودان
بفتح الواو وتشديد الدال وهي قرية جامعة من أعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء
فمنهم من أضافها الى ودان ومنهم من أضافها الى الابواء لأنهما متقاربان في وادي الفرع
خرج صلى الله عليه وسلم اليها في صفر لاثنتي عشرة مضت منه على رأس اثني عشر شهرا من
مقدمه المدينة يريد عير القريش وبني ضمرة اي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا
وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا
لهم بل مريدا للعير التي لقريش فقط فلما اتى بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان
صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار فلم يلق كيدا
أراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على انهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه
عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وأنه اذا دعاهم لنصر أجابوه

سيدهم مخشى بن عمرو الضمرى وكتب بينهم كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم اى قصدهم بسوء بشرط أن لا يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة وأن النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضى الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه وانصرف الى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته صلى الله عليه وسلم

غزوة بواط

بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو آخره طاء جبل من جبال جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول وقيل الآخر على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فى مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عير التجار قريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا أى حربا وكان اللواء بيد سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضى الله عنه

غزوة العشيرة

بضم العين المهملة مصغرا وبالشين أو بالسين آخره هاء بخلاف غزوة العسرة فهى غزوة تبوك وأما هذه فنسوبة لموضع لبنى مدلج بينبع خرج اليها صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة فى خمسين ومائة رجل وقيل فى مائتى رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها يريد عير قريش التى صدرت من مكة الى الشأم بالتجارة وكانت قريش جمعت أموالها فى تلك العير ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير أبو سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضى الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشأم فكان بسببها وقعة بدر وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى رضى الله عنه وصالح صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة بنى مدلج بن كنانة وحلفاءهم بنى ضمرة قال الواقدى ان هذه الغزوات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها ليتلقى تجار قريش [...]عترون الى الشأم ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التى بعثها ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا

غزوة بدر الأولى

[...]ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالى حتى أغار [...] على سرح المدينة اى الابل والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة وكا[...]

كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وأمر على سرية واستشهد في فتح مكة فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الأولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه

سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضي الله عنه

الأسدي أحد السابقين الى الاسلام واستشهد بأحد رضي الله عنه روى أبو القاسم البغوي عن سعد بن أبي وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية قال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضي الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى في الاسلام به ولا ينافيه القول بأن عمر رضي الله عنه أول من تسمى بأمير المؤمنين لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه أنه نهاه أن يستكره أحدا منهم ولم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بحران بفتح الباء وضمها أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل زبيبا وأدما اي جلودا وتجارة من تجارات قريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قربهم فهابوهم فأرشدهم عبد الله بن جحش الى ما يزيل رعبهم فحلق بعض أصحابه رأسه وأشرف عليهم فلما رأوهم آمنوا وقالوا عمار أي معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب أو في أول يوم من شعبان اي شكوا في اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتالهم اي قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه عبد الله بن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم ابن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أول غنيمة في الاسلام وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضي الله عنه بين أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال في الشهر

الحرام فسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش فقالوا ان محمدا استحل الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب و واقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم و بعثت قريش تعير النبى صلى الله عليه وسلم بفعل أصحاب السرية فأنزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة يعنى الكفر أكبر من القتل فكان فى ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش رضى الله عنه

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله * وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد عاقل

و بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومى والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفان فى طلب بعيرهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن يضلل الله فلا هادى له * وفى شهر رجب هذا حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون الى بيت المقدس وفى شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر وأما زكاة المال فقيل فرضت فى هذا الشهر أيضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله أعلم

غزوة بدر الكبرى

و يقال العظمى و يوم وقعة بدر هو يوم الفرقان المذكور فى قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهو يوم البطشة الكبرى المذكور فى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فهو يوم أعز الله فيه الاسلام وقوى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه

المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اى قليلو عدد كم لتعلموا أن النصر انما هو من
عند الله لا بكثرة العدد والعدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام اذ منها
كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار
وأعز الله من حضرها من المسلمين فهو عند الله من الابرار فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله
اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وكان
خروجهم يوم السبت اثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرجت معه
الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة البدريين بين ثلثمائة وثلاثة عشر
أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التى خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها اى رجوعها
من الشأم فعند قفولها ندب المسلمين اى دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها
لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس اى أجابوا وثقل آخرون لظنهم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يرد حربا ولم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لم يهتم بها بل قال من كان
ظهره اى مايركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه وكان أبو سفيان لقى
رجلا فأخبره أنه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره فى بدايته وأنه ينتظر رجوع العير فلما
رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الاخبار ويبحث عنها ويسأل من لقى من
الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع من بعض الركبان أنه صلى الله عليه
وسلم استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى بعشرين
مثقالا ليأتى مكة وان يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة
ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه وكانت تلك العير فيها أموال
قريش حتى قيل انه لم يبق بمكة قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به فى تلك العير
الا حويطب بن عبد العزى ويقال ان فى تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم أن
قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وكان جملة من معه سبعة وعشرين
وقيل انهم تسعة وثلاثون رجلا فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت
عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وهى مختلف فى اسلامها رؤيا أفزعتها
فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة
رؤيا أفظعتنى اى اشتدت على وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عنى
ما أحدثك وفى رواية قالت له لن أحدثك حتى تعاهدنى أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها تعنى
كفار قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها ما رأيت قالت رأيت
راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى
مصارعكم فى ثلاث اى بعد ثلاثة أيام وقوله يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت

فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت رأيت بعيره مثل به
اى انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها
ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت اى تكسرت فما بقى
بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا اى عظيمة
وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا له
فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لأبيه فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت
لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى
أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست
معهم فقال أبو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وماذاك قال
الرؤيا التى رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ
نساؤكم وفى رواية مارضيتم يا بنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ثم قال
أبو جهل وقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث
فان يكن حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم
أكذب أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير أمر الا انى جحدت ذلك
وأنكرت أن تكون رأت شيأ وفى رواية أن العباس قال لأبى جهل هل أنت منته يا مصفر
استه اى يا مأبون أو يا جبان فان الكذب فيك وفى أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا أبا
الفضل جهولا ولا خرقا ثم ان العباس لقى من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها
قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى تقول لى أقررتم لهذا
الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم قال تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ
مما سمعت فقلت لهن وأيم الله لأتعرضن له وان عاد فلأقتلنه فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا
عاتكة وأنا مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر أحب ان أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته
فوالله انى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ماقال فأوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد
يشتد أى يعدو فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا الفرق اى الخوف منى فاذا هو يسمع
مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع
بعيره اى قطع أنفه وأذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اى
أدركوا اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى
أصحابه لا أرى أن تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس
فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الأمر فتجهز الناس سراعا وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا
عاتكة ويروى أنهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن
غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأعانوا قويهم ضعيفهم وقام أشراف

قريش

قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل
يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالي ومن أراد قوة فهذي قوتي ولم يتخلف من
أشراف قريش الا أبو لهب خوفا من رؤيا عاتكة وكان يقول رؤيا عاتكة كأخذ يد أي
صادقة لا تتخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له
عليه دينا أفلس بها فقال له اخرج وديني لك وهشام هذا قتل كافرا في هذه الغزوة قتله عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وأراد التخلف أمية بن خلف وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه
وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال له
يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به وكان عقبة سفيها وكان
أبو جهل هو الذي سلط عقبة على ذلك وجاء أبو جهل أمية بن خلف فقال له يا أبا صفوان انك
متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي وفي رواية من أشراف الوادي تخلفوا
معك فسر يوما أو يومين فتجهز أمية مع الناس وسبب ارادته التخلف أن سعد بن معاذ قدم مكة
معتمرا فنزل على أمية لان أمية كان اذا قدم المدينة للذهاب الى الشام في تجارته ينزل على سعد
فقال سعد لأمية انظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت فقال أمية لسعد اذا انتصف النهار فبينما
سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له
أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم
انكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا انك مع أبي صفوان ما رجعت الى أهلك سالما فتلاحيا
أي تخاصما وسعد يرفع صوته فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل
الوادي وجعله يسكت سعدا فقال سعد لأمية اليك عني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال سعد لا أدري قال أمية والله ما كذب محمد فكاد
يحدث اي يبول في ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن
معاذ قالت وما ذاك قال زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي قالت والله ما كذب محمد فلما جاء
الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي قال فاني لا أخرج
فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة أتاه عقبة بن أبي معيط بالمجمرة
وقال له أبو جهل ما قال كما تقدم فخرج ناويا أن يرجع عنهم ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم
قاتله أنه صلى الله عليه وسلم كان سببا في قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخي
أمية وهو أبي بن خلف في غزوة أحد كما سيأتي ان شاء الله تعالى ومن ثم جاء في رواية أن سعد
ابن معاذ قال لأمية ان أصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونك واستقسم بالازلام جماعة
فخرج لهم ما يكرهون منهم أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وزمعة بن الاسود وحكيم
ابن حزام فلما خرج لهم القدح الناهي المكتوب عليه لا تفعل أجمعوا على المقام وعدم الخروج
فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن

الحارث بر وى أن عداسا الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بالطائف وأسلم على يديه كما تقدم قال لسيديه عتبة وشيبة ابنى ربيعة بأبى وأمى أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك فى ثلاثة أيام وقيل فى يومين وأجمعوا السير أى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضى الله عنه وهو الاب الخامس للامام الشافعى رضى الله عنه وخرجوا على الصعب والذلول لشدة اسراعهم ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم فى غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم كما قال تعالى خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وكان المطعمون لهذا الجيش اثنى عشر رجلا كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر وفيهم أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وهؤلاء الاثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد المطلب وأبو البخترى وزمعة بن الاسود وأبى بن خلف وأمية بن خلف والنضر ابن الحارث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وقيل الآية المذكورة نزلت فى الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذى قاتلوا به النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل فى هؤلاء وهؤلاء ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين كنانة دماء لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة قد شاب وضىء من قريش بكنانة فقتلوه ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفا من كنانة لكون طريقهم فى المسير عليهم وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشىء يكرهونه فجاءهم ابليس لعنه الله فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى وكان من أشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من أن يأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه وخرج معهم ابليس ووعدهم أن بنى كنانة قد أقبلوا لنصرهم وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم كما قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ثم بعد أن خرج ضمضم الى أهل مكة اشتد حذر أبى سفيان فأخذ طريق الساحل وجد فى السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يأمرهم بالرجوع وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثة أيام وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف أى بالملاهى وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا وهذا هو الرياء الذى أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ولما بلغ أبا سفيان كلام أبى جهل قال هذا بغى والبغى منقصة وشؤم لان القوم انما خرجوا لنجاة أموالهم وقد نجاها الله تعالى ولما قال ابو

جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة وقيل ثلثمائة فلذا قيل لم يقتل أحد منهم ببدر وقيل قتل منهم رجلان وكان قائد بنى زهرة الاخنس بن شريق الثقفى وكان حليفا لهم فقال لهم يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل فانه كان فى العير وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعنى أبا جهل ثم خلا بأبى جهل وقال له أترى محمدا يكذب أصدقنى ليس بينى وبينك أحد فقال له أبو جهل ما كذب محمد قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شئ يكون لنا ونحن معهم كفرسى رهان فرجع الاخنس ببنى زهرة والاخنس هذا اختلف فى اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه قيل ان الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأظهر الاسلام وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله ولبئس المهاد قال الحلبى نقلا عن الاصابة ولا مانع من انه أسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بنى هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لقريش لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء وسيأتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بعيدا عن الماء أولا ثم انتقل وقرب منه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة استعمل عليها واليا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسى رضى الله عنه واستعمل ابن أم مكتوم رضى الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدى رضى الله عنه على قباء وأهل العالية لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضى الله عنه وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبى عنبة على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة أصحابه البدر بين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوى وفرس للمقداد وقيل للزبير وقال بعضهم كان معهم خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد وتقدم أن قريشا عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ولما عد صلى الله عليه وسلم أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد بسيفه العضب ولما نظر الى أصحابه قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك فما رجع منهم أحد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزواد قريش وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وسار

صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلا من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم رجلين يتجسسان أخبار عير أبي سفيان فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتاني العير غدا أو بعد غد أعمل لهم أى أخدمهم ثم أقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير أى القوم النافرين للحرب يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم خير أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الاموال على شراء الخيل والسلاح قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وفى رواية استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول أى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير قالوا نعم أى قالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أيوب وفى ذلك أنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الآية وروى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما أقبلت عير لاهل مكة من الشأم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأخصر مغنما من أن يلقوا النفير وفى رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال فأحسن أى جاء بكلام حسن ثم قام عمر فقال فأحسن روى ابن عقبة انه قال يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا أسلمت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون وفى رواية ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا أى ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير قال ابن مسعود رضى الله عنه فى آخر قصة المقداد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعنى قوله وروى ابن أبي حاتم عن أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة انى أخبرت عن عير أبي سفيان فهل لكم

أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم نخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى انا ههنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال المقداد وأنزل الله فى ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ثم قال عليه الصلاة والسلام ثالث مرة أيها الناس أشيروا على وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك أى من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن تكون الانصار لا ترى وجوب نصرته عليها الا ممن دهمه أى جاءه فجأة من العدو بالمدينة فقط وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدو فلما قال ذلك أى كرر قوله أشيروا على قال له سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو سيد الاوس بل هو سيد الانصار قال الزرقانى كان فيهم كالصديق رضى الله عنه فى المهاجرين قال والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل أى نعم قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أمرت وفى رواية ولعلك تخشى أن تكون الانصار ترى أن لا ينصروك الا فى ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يارسول الله خرجت لامر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت واعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع أمرك ولئن سرت بنا حتى تأتى برك الغماد لنسيرن معك وفى رواية فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله زاد فى رواية ابن مردويه فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما متبعون قال الحافظ ابن حجر ان المحفوظ أن هذا الكلام للمقداد وأن سعدا انما قال ما ذكر عنه أولا وروى مسلم أن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضى الله عنه قال مثل ما قال سعد بن معاذ ولفظه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس حين بلغه اقبال أبى سفيان فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يارسول الله والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب اكبادنا الى برك الغماد لفعلنا قال فى المواهب وانما يعرف عن سعد بن معاذ قال الحافظ ابن حجر ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد بن عبادة بما ذكر

والثانية كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ وقال الطبراني ان سعد بن عبادة انما قال ذلك
يوم الحديبية واختلف في شهوده بدرا والله أعلم قال الزرقاني ان سعد بن عبادة كان يتهيأ
للخروج الى بدر ويأتي دور الانصار ويحضهم على الخروج فنهش أي لدغته حية قبل أن
يخرج فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا ثم ضرب له
بسهمه وأجره كما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض زوجه رقية بنت النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنها فانها كانت مريضة وجعل النبي له أجر رجل وسهمه فهما معدودان
من البدريين وان لم يحضرا ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني
احدى الطائفتين اما العير واما النفير أي وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد
الله لا يتخلف ويشير الى هذا قوله والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم أي الذين يقتلون
ببدر ولما وصلوا الى بدر أراهم صلى الله عليه وسلم مواضع مصارعهم روى مسلم عن أنس
ابن مالك رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اراينا مصارع
أهل بدر ويقول ان هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى ويضع يده على الارض ههنا
وههنا فما ماط أحدهم أي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ثم
ارتحل صلى الله عليه وسلم من المكان الذي كان فيه وسار حتى نزل قريبا من بدر وبعث عليا
والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يتجسسون الاخبار فأصابوا راوية لقريش معها
غلام لنبيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوهما لابي سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من
الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ صلى الله
عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله
انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أي التل من الرمل
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير وفي لفظ هم والله كثير
عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون أي من الجزر كل يوم قالا يوما
تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما فمن فيهم
من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام
ونوفل بن خويلد وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وسهيل بن عمرو
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها
أي قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى والعدوة جانب الوادي وحافته والمكان
المرتفع والقصوى البعدى من المدينة أي التي هي أبعد من الاخرى عن المدينة ونزل المسلمون
على كثيب أعفر قيل المراد أحمر أو أبيض ليس بالشديد تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب
وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لانفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار

المعينة فيشربوا منها و يسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لانهم لما ناموا احتلم أكثرهم وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضأوا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية وأطفأ المطر الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان ورد الله كيده في نحره وطابت أنفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم مالم يقدروا معه على الارتحال وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم أي بالصبر على مجالدة العدو وبالوثوق على لطف الله ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل وعن علي رضي الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وفي رواية يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده ياحي ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح قال قتادة كان النعاس يوم بدر ويوم أحد وكان كله أمنة لكنه في بدر كان ليلا قبل القتال وفي أحد كان وقت القتال قال ابن مسعود النعاس في مصاف القتال من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق لانه في الاول يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بالصلاة قال علي رضي الله عنه فلما ان طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خطب وحض على القتال في خطبته فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم الحديث وقال ابن اسحاق في حكاية وقعة بدر فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء ادنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه يارسول الله هذا منزل انزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فاني أعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغور ما وراءه من القلب أي ندفنها ونفسدها عليهم ثم نبني عليه أي على ذلك الماء الذي ننزل عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم اشرت بالرأي وفي رواية فنزل جبريل فقال الرأي ما أشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه

من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت و بنى حوضا على
القليب الذى نزل عليه فلئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وفى رواية ثم نهض المسلمون الى أعدائهم
فغلبوهم على الماء وأغاروا القلب التى كانت تلى العدو فعطش الكفار وجاء النصر وهذا
كله انما حصل بعد اشارة الحباب رضى الله عنه وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن
عبد مناف يقال له جهم بن الصلت أسلم عام خيبر رضى الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم
ببدر فأغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا فقال وقف على
فارس وقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة و زمعة وأبو البخترى وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد
رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا
ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره أى نحره ثم أرسله فى العسكر فما من خباء
من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان وانما شاعت هذه
الرؤيا فى العسكر و بلغت أبا جهل قال جئتم بكذب بنى المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غدا
من يقتل وفى لفظ آخر قال أبو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أم
محمد وأصحابه ولما خرجوا من مكة كان اول من نحر لهم أبو جهل نحر لهم بمر الظهران عشر
جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت فى العسكر فما بقى خباء من أخبية
العرب الا أصابه من دمها ومن ذلك المحل رجع بنو عدى تفاؤلا بذلك و بعد ان استقر النبى
صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بالموضع الذى أشار به الحباب قال سعد بن معاذ رضى
الله عنه يارسول الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا
الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد
تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك
يمنعك الله بهم يناصحونك و يجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير
وقال يقضى الله خيرا من ذلك ياسعد أى وهو نصرهم وظهورهم ثم بنى له ذلك العريش فوق تل
مشرف على المعركة وكان صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر رضى الله عنه وعن على رضى الله عنه
انه قال أخبرونى من أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر رضى الله عنه لما كان يوم بدر
جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا
يهوى اليه أحد من المشركين فكان أبو بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله مادنا منا أحد الا وأبو بكر رضى الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يهوى أحد اليه الا أهوى اليه أبو بكر رضى الله عنه وجاء انه لما التحم القتال
وقف أيضا على باب العريش سعد بن معاذ رضى الله عنه وجماعة من الانصار ومما يستدل به
على شجاعة الصديق رضى الله عنه أيضا ثبوته يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقتاله أهل
الردة وغير ذلك والعريش شئ يشبه الخيمة يستظل به فبنى له صلى الله عليه وسلم قال السيد

السمهودى ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه ثم لما أصبحوا
عدل النبى صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى
وعدتنى ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحى وكان كافرا ثم أسلم بعد ذلك
رضى الله عنه وقالوا احزر لنا أصحاب محمد أى انظر عدتهم فجال بفرسه حول عسكر النبى صلى
الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلا ولكن أمهلونى
حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد فذهب فى الوادى حتى أبعد ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيأ
ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع ألا ترونهم
خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى لا يريدون ان يقبلوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم
الحصى تحت الحجف قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم والله ما نرى ان نقتل منهم رجلا حتى يقتل
رجل منكم فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن
حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها
والمطاع فيها هل لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر فقال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس
وفى رواية قال له حكيم تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله
واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير فانهم
لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت هو حليفى فعلى عقله أى ديته وعلى ما أصيب
من المال ونعم ما قلت يا حكيم ونعم ما دعوت اليه فركب عتبة جملا له أحمر وصار يجيله فى صفوف
قريش يقول يا قوم أطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ فى العير وقد
تحملت ذلك ثم قال أنشدكم الله فى الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها
أندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم
فى القوم وهو على جمله فقال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان
يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحاق ان عتبة قام خطيبا فقال يا معشر قريش والله ما تصنعون
شيأ أن تلقوا محمدا وأصحابه والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه
قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه
غيركم فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون يا قوم اعصبوها
اليوم برأسى أى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلموا أنى لست بأجبنكم ثم
قال عتبة لحكيم انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت فوجدت أبا
جهل قد نثل درعا له من جرابها أى أخرجها فقلت يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا
وكذا فقال انتفخ سحره وهى كلمة تقال للجبان ثم جاء أبو جهل لعتبة وقال له لو غيرك يقول هذا
لاعضضته بظر أمه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وفى رواية وأرسل بذلك

حكيم بن حزام الى أبي جهل فأخبره فقال والله مابعتبة ماقال ولكنه رأى أن محمدا وأصحابه
أكلة جزور وفيهم ابنه يعني أبا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه فانه كان مع النبي صلى الله عليه
وسلم ومن السابقين في الاسلام فيخوفكم عليه ثم أفسد أبوجهل على الناس رأى عتبة وبعث
الى عامر بن الحضرمي وقال له هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك فقم
فانشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه وحثى التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه
فحميت الحرب وتهيأوا للقتال والشيطان معهم لايفارقهم في صورة سراقة يقول لهم لاغالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم فخرج الاسود المخزومي وكان شرساسيئ الخلق فقال
أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فلما أقبل قصده حمزة بن عبد
المطلب رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض
زاعما أن تبر يمينه فقتله حمزة في الحوض والاسود هذا هو الاسود بن عبد الأسد المخزومي
أخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه زوج أم سلمة رضي الله عنها والاسود أول
قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو أول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله
ابن عبد الأسد فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك في أحاديث متعددة ثم ان عتبة بن
ربيعة التمس بيضة اي خوذة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها
فاعتجر ببرد له اي تعمم به ثم خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من
الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث الانصاريان
النجاريان وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الانصارية وعبد الله بن رواحة الانصاري رضي
الله عنهم فقال عتبة ومن معه لهم من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم من حاجة اكفاء
كرام انما نريد قومنا ثم نادى مناديهم يامحمد أخرج الينا اكفاءنا من قومنا فناداهم أن
ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم ثم قال صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحارث
قم ياحمزة قم ياعلي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم لانهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم
قال ابن اسحاق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا نعم اكفاء كرام فبارز
عبيدة وكان أسن القوم المسلمين عتبة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة هذه رواية ابن
اسحاق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فبارز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم
واتفقوا على أن عليا بارز للوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة
بضربتين كلاهما أثخن صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على شيبة فذففا عليه واحتملا
صاحبهما فحازاه الى أصحابه وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا
بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما احتملوا عبيدة جاؤا به الى النبي صلى الله عليه
وسلم ومخ ساقه يسيل وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد

أنت شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا وفى رواية أنه قال اشهد أنا يا رسول الله قال نعم قال وددت والله أن ابا طالب كان حيا ليعلم انا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلى فانى مسلم * أرجى به عيشا من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه * لباسا من الاسلام غطى المساويا

وفى هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدة وعلى رضى الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف قال أبو ذر رضى الله عنه ان قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وعن على رضى الله عنه قال أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم وكان من حكمة الله تعالى أن جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال فى أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم فى أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال فى أعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ومن ثم قال تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين اى يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين وقد ذكروا أن قباث بن أشيم كان مع المشركين ثم أسلم رضى الله عنه قال فى نفسه يوم بدر لو خرجت نساء مكة بأكمتها ردت محمدا وأصحابه وعنه رضى الله عنه قال لما أسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك فى المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال يا قباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه قال قباث والذى بعثك بالحق ماتحدث به لسانى ولا ترمرمت به شفتاى ولا سمعه منى أحد وما هو الا شئ هجس فى قلبى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن ماجئت به هو الحق وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنت القائل اى فى نفسك فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما قتل المبارزون خرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح فى يده أى سهم لا نصل فيه ولا ريش فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بن غزية حليف بنى النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى اى مكنى من القود أى القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أى خذ

القود فاعتنق سواد النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه فقال ماحملك على هذا يا سواد فقال يارسول الله حضر ماترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم لما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم اى ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم اى لا ترموها على بعد فان الرمي مع البعد يخطئ غالبا ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التي قبل مجيئهم الى محل القتال ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس اى مشى كل فريق جهة الآخر ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الاقتل الا حكيم بن حزام فانه أسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه فكان اذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله اياهم في منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه متوشحا سيفه في نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش هو وأبو بكر رضي الله عنه ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه انجاز ما وعده من النصر قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة ابن عامر بحجر ابين الصفين وقال لا أفر الا أن فر هذا الحجر وكان أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه فكان مهجع أول قتيل من المسلمين وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ان مهجعا سيد الشهداء أى من أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو أول قتيل من الانصار ثم حارثة بن سراقة وقد جاءت أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم من بدر وهي عمة أنس بن مالك رضي الله عنه فقالت يارسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وان يكن في النار بكيت ماعشت في الدنيا فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان وحارثة في الفردوس الأعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك ياحارثة وفي رواية قال لها ويحك أوهبلت أهي جنة واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الأعلى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالشهادة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوم وقد استقبله كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول

فان

ان لكل قول حقيقة قال يارسول الله عزلت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى
فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار
يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان فى قلبك اى أنت عبد الخ فقال ادع الله لى
بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل لعنه الله وأصحابه حين
قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار وسيأتى وقوع مثل ما قال أبو جهل
وأصحابه من أبى سفيان فى يوم أحد وانه أجيب بمثل هذا الجواب وسار رسول الله صلى الله عليه
وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وهو فى قبة يعنى العريش يوم بدر اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك اللهم
ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد وفى رواية ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان
اليوم فلا تعبد فى الارض وفى رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم
لك دين اى لانه صلى الله عليه وسلم علم أنه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد
بهذه الشريعة وفى لفظ اللهم لا تودع منى ولا تخذلنى أنشدك ما وعدتنى ومازال يدعو ربه
مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضى الله عنه رداءه وألقاه
على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك تناشد ربك فسينجز لك ما وعدك
وفى رواية لينصرنك الله وليبيضن وجهك وفى رواية ألححت على ربك وانما قال أبو بكر
رضى الله عنه ذلك لانه شق عليه تعب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاحه بالدعاء لانه رضى الله
عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لأن الصديق رضى الله
عنه كان فى مقام الرجاء والنبى صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف لان الله يفعل ما يشاء وكلا
المقامين فى الفضل سواء ذكره السهيلى قال بعضهم ان مقام الخوف يقتضى أن يجوز فيه
أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معينا فى تلك الوقعة وانما كان مجملا فبفرض
تأخره لا ينافى أنه اعطاه ما وعده ربه والجواب الاول أولى أعنى كونه شق عليه تعب النبى
صلى الله عليه وسلم وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى وعن ابن
مسعود رضى الله عنه ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك
ما وعدتنى وروى النسائى والحاكم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قاتلت يوم بدر
شيأ من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فى سجوده ياحى ياقيوم لا يزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك
فعل ذلك أربع مرات وقال فى الرابعة ففتح عليه وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
مسعود رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه يحرسه وفى رواية

عن علي رضي الله عنه قام أبو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه
أحد الا أهوى اليه فقال عليه الصلاة والسلام وهو في سجوده اللهم لا تودع مني اللهم لا تخذلني
اللهم اني أنشدك ما وعدتني وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في
العريش مع الصديق رضي الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم
استيقظ متبسما فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثناياه النقع اي الغبار أي
اشارة الى مناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وذلك أنه لما التحم
القتال وعج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالدعاء أنزل الله الملائكة كما قال تعالى
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين اي متتابعين وقيل
ردفا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل
في خمسمائة وجاء ايضا أن الله أمده بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف
مع اسرافيل وقيل وعدهم الله أن يمدهم بألف ثم زيدوا وافي الوعد بألفين وقيل أمدهم الله
بثلاثة آلاف ثم أكملهم خمسة آلاف قال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم
ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين اي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع
اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين وقيل ان المدد يوم بدر كان بألف ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد
باكمالهم خمسة آلاف لو صبروا وجاء أن الملائكة كانوا على صور الرجال فكان الملك يمشي
امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون أنه منهم وجاء
أنهم يقولون للمسلمين اثبتوا فان عدوكم قليل اي قليل في نظركم وان كثروا عددا قال تعالى
واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه
أتراهم سبعين فقال أراهم مائة وروى البيهقي عن حكيم بن حزام أن يوم بدر وقع نمل من
السماء قد سد الأفق فاذا الوادي يسيل نملا اي نازلا من السماء فوقع في نفسي ان هذا شئ أيد به
صلى الله عليه وسلم وهو الملائكة وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة
القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الأسود مبثوثا حتى امتلأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة
فلم يكن الا هزيمة القوم وانما نزلت الملائكة تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته والا فملك
واحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مدائن قوم
لوط وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة وقد قال تعالى في اهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل
عيسى عليه السلام وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون وأفاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ان انزال الجند من خواصه
صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولم يقع ذلك لغيره وكانت الملائكة يوم بدر مشاركة للمؤمنين في بعض

الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ولهابهم العدو حيث يعلم أن الملائكة تقاتل معهم وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التى نزلت يوم بدر لمات أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء فى حديث مرسل ما رؤى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رؤى يوم بدر وجاء أن ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين اى مشركى الجن فى صورة رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتقدم أنه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بنى كنانة وكان وحده ويجوز أن يكون جنده لحقوا به فلا منافاة فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده فى يد الحارث بن هشام المخزومى أخى أبى جهل انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحارث يا سراقة أتزعم أنك جار لنا فقال انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب فتشبث به الحارث وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضربه ابليس فى صدره فسقط وفر من بين يديه قال الحارث ما علمت أنه الشيطان الا بعد ان أسلمت وذكر السهيلى أن من بقى من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشئ من أمركم وما شهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه ابليس يروى أنه لما ضرب الحارث فى صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط فى البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذى وعدتنى اللهم انى أسألك نظرتك اياى يعنى قوله تعالى انك من المنظرين وخاف أن يخلص اليه القتل وفى قصة مجيء الشيطان وفراره ونكصه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهم بغرور ثم أسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال أبو جهل لعنه الله يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء أنه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون لكن لم يثبت أنهم قاتلوا بل كانوا مددا فقط وجاء أن جبريل عليه السلام جاء للنبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد ان الله بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء وتخفيف الميم وفى يده تمرات يأكلهن بخ بخ وهى كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه أما بينى وبين أن ادخل الجنة

الأن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه
وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين
فقام عمير بن الحمام وقال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له لم تبخبخ اى لم تتعجب فقال
رجاء أن أكون من أهلها وفي رواية ما حملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء
أن أكون من أهلها فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكل تمراتي هذه انها
لحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد * والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد * غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى
وفي رواية قبضة من تراب وفي رواية قال لعلي رضي الله عنه ناولني فاستقبل قريشا ثم قال
شاهت اى قبحت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفخهم اى رماهم بها فلم يبق من
المشركين رجل الا امتلأت عينه وفي رواية وأنفه وفمه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه
من عينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ووقع مثل ذلك في غزوة أحد وغزوة حنين وبهذا يجمع بين
الروايات وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم بدر قتالا شديدا وكذا أبو بكر رضي الله عنه
فكما كانا في العريش مجتهدين في الدعاء قاتلا بأبدانهما جمعا بين المقامين ولما خرج صلى الله
عليه وسلم من العريش قال سيهزم الجمع ويولون الدبر وروى ابن سعد أنه لما انهزم المشركون
دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون
الدبر وهذه الآية نزلت بمكة وكانت هزيمة الجند يوم بدر وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت اى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم بالسيف مصلتا يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر
فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار
صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له ولما وضع القوم
أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجد في
وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره
ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان
الاثخان في القتل اى الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الي من استبقاء الرجال وذكر بعضهم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه اني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد
أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله اى بل يأسره

وقال

وقال من لقى أبا البختري بن هشام فلا يقتله اى لانه ممن قام فى نقض الصحيفة ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا وعشيرتنا ونترك العباس لئن لقيته يعنى العباس لألجمنه السيف وقال ذلك لان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهى بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة فبلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله لانه اول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص ثم قال عمر يارسول الله دعنى أضرب عنقه يعنى أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو حذيفة رضى الله عنه يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل شهيدا يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب وأهل الردة فى جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل سبعمائة رضى الله عنهم أجمعين ولقى المجذر أبا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال و زميلى اى رفيقى وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله لأموتن أنا وهو جميعا لاتتحدث عنا نساء مكة أنى تركت زميلى يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلنى فقاتلنى فقتلته وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن أولاد أبى بكر رضى الله عنه وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لأبيه أبى بكر رضى الله عنه لقد أهدفت لى اى ارتفعت لى يوم بدر مرارا فصدفت عنك اى أعرضت فقال له أبو بكر رضى الله عنه لو هدفت لى لم أعرض عنك والمراد من كونه أهدف له اى ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافى ما قيل ان عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما يوم بدر دعا الى البرازة فقام اليه أبو بكر رضى الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت انك عندى بمنزلة سمعى و بصرى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وفى بعض السير أن الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالى يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التى هى السلاح وفرس سريعة الجرى نقاتل عليها شيوخ الضلال وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن الصديق رضى الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت انك منى بمنزلة سمعى و بصرى فأنزل الله تعالى

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى
في نزول الآية واستبعد بعضهم كون أبي بكر يدعو للبارزة بعد نزولها أولا في بدر فلعل
ذكرأحد من الاشتباه على بعض الرواة ويرده ماذكر أن سببها ان أبا بكر رضي الله عنه
سمع والده أبا قحافة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فأخبر
أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرني السيف لقتلته
وفي كلام الزمخشري أن عبد الرحمن أسلم رضي الله عنه في هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة
ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه و بين مكة ستة أميال فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن
بها وقدمت أخته عائشة رضي الله عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه وأما أبو قحافة والد أبي
بكر رضي الله عنه فأسلم عام الفتح رضي الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضي الله عنه
ثم توفي بالمدينة ولم يعرف خليفة ولي الخلافة في حياة أبيه غير أبي بكر رضي الله عنه *
وفي هذا اليوم أعني يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا وكان أبوه قد قصده
ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه ويرجع فلم ينكف فرجع اليه وقتله وأنزل الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم
أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية * وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال لقيت أمية بن
خلف وكان صديقا لي في الجاهلية ومعه ابنه علي آخذا بيده وكان معي أدراع استلبتها
من القوم فأنا أحملها فلما رآني أمية ناداني باسمي الأول يا عبد عمرو فلم أجبه فناداني يا عبد الاله
فأجبته وذلك انه كان قال لي لما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب
عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم فقال الرحمن لا أعرفه ولكني أسميك بعبد الاله فلما ناداني
بعبد الاله قلت نعم ثم قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الادراع التي معك قلت نعم فطرحت
الادراع من يدي وأخذت بيده و بيد ابنه علي وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لي يا عبد
الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره قلت
ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن ثم خرجت أمشي بهما
فوالله اني لاقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الاسلام
كما تقدم فقال بلال يا أنصار رسول الله هذا أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت ان نجا فقلت
يا بلال أبأسيري تفعل ذلك قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار
الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فأحاطوا بنا فأصلت بلال السيف أي سله من
غمده وضرب رجل على بن أمية فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط وفي رواية البخاري
عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت أن يلحقونا فخلفت لهم
ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقوا بنا وكان أمية رجلا ثقيلا فقلت ابرك فبرك فألقيت
عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه فأصاب أحدهم رجلي بسيفه أي ظهر
قدمه والذي باشر قتله مع بلال معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف فهم اشتركوا

فى قتله قال ابن اسحاق وأما ابنه على فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وكان عبد الرحمن
ابن عوف رضى الله عنه يقول رحم الله بلالا ذهبت أدراعى وفجعنى باسيرى وفى رواية فلا
أدراعى ولا أسيرى وهنى أبو بكر رضى الله عنه بلالا حين قتل أمية بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * فقد أدركت ثارك يا بلال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على رضى الله عنه أنا قتلته
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه فانه لما التقى الصفان
نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد (وفى صحيح مسلم) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
انه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وعن شمالى واذا أنا بين غلامين من الانصار
حديثة أسنانهما فغمزنى أحدهما سرا من صاحبه فقال يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام
فقلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا أى الأقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال
مثلها سرا من صاحبه فعجبت لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون
هو المختص به فلم أنشب أى ألبث أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى يتحول من محل الى
محل آخر فقلت لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه
حتى قتلاه أى أشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح وسيأتى أن ابن مسعود رضى الله عنه
هو الذى تمم قتله ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال
كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى السيفين فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه لهما الا السيف فسيأتى أنه قضى به لابن مسعود
قال ابن اسحاق ان أبا جهل لما نزل القتال أقبل يرتجز ويقول

ما تنقم الحرب العوان منى * بازل عامين حديث سنى * لمثل هذا ولدتنى أمى

فأذاقه الله الهوان وقتله شر قتلة وجعل ذلك حسرة عليه وجاء ان الملائكة شاركت قاتليه
فى قتله وجاء فى الحديث ان الله قتل أبا جهل فالحمد لله الذى صدق وعده ولما انقضى القتال
وانهزم المشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال ان
خفى عليكم أى بان قطع رأسه وأزيل عن جثته فانظروا الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت
يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه أى أكبر منه بيسير
فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أى خدش على احداهما جحشا لم يزل أثره به وهذا هو مراد
بعضهم بقوله ان النبى صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل فصرعه فخرج الناس يلتمسونه
فى القتلى وفيهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال عبد الله فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق
فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له قد أخزاك الله يا عدو الله قال وبم أخزانى أعار على

رجل قتلتموه أى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية لارجل أعمد من رجل قتلتموه أى
أناسبد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم أى فلاعار على فى قتلكم اياى وفى روايةوهل
أشرف من رجل قتله قومه ثم قال له لو غيرأ كار قتلنى والأ كار الزراع يعنى الانصار لانهم كانوا
أصحاب زرع أى لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان أعظم لشأنى ولم يكن على نقص ثم قال لابن
مسعود أخبرنى لمن الدبرة أى النصرة والظفر اليوم لنا أو علينا قلت لله ولرسوله صلى الله عليه
وسلم وسأل ابن مسعود عن أهل الاجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا فقال له أولئك
الملائكة فقال هم الذين غلبونا لا أنتم وهذا غاية فى كفره وعناده حيث تحقق ذلك كله ولم
يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان ابن مسعود رضى الله عنه وطئ على عنقه وعلا
فوق صدره يريد حز رأسه فقال له لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعبا قال ابن مسعود رضى
الله عنه فضربته بسيفى لاحز رأسه فلم يغن عنى شيأ فبصق فى وجهى وقال خذ سيفى واحتز به
رأسى من عرشى ليكون أنهى للرقبة والعرش عرق فى أصل الرقبة ففعلت كذلك وجاء انه
قال لابن مسعود رضى الله عنه احتز من أصل العنق ليرى عظيما مهابا فى عين محمد وقل له مازلت
عدوا الى سائر الدهر واليوم أشد عداوة ولما أتى النبى صلى الله عليه وسلم برأسه وأخبره بقوله
قال كما أنى أكرم النبيين على الله وأمتى أكرم على الله كذلك فرعون هذه الامة أشد وأغلظ
من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت
به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وفى رواية قال ابن مسعود رضى الله
عنه ثم جئت برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبى
جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الذى لا اله غيره وردده ثلاثا قلت نعم والله الذى
لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وجاء انه سجد خمس
سجدات شكرا وفى رواية صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى أعز الاسلام وأهله الله أكبر
الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبى جهل بصق فى وجه ابن
مسعود وقال له خذ سيفى الى آخر ما تقدم ينافى كونه وصل الى حركة المذبوح الا أن يقال يجوز أن
يكون فى أول الامر حين ضربه الانصار وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه
حتى قدر على ماذكر فذفف عليه ابن مسعود رضى الله عنه قال ابن قتيبة ذكر أن أبا جهل
قال لابن مسعود رضى الله عنه وهما بمكة لأقتلنك فقال والله لقد رأيت فى النوم أنى أخذت
حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتنى أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياى لأطأن على
رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة فكان فى تذفيف ابن مسعود رضى الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا
وجاء فى رواية ان ابن مسعود وجده متقنعا فى الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة
عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت
الى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردىء فجعلت انقف رأسه

وأذكره تنقفا كان ينتف رأسي بمكة فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست
رويعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظر اليه اذ هو ليس به جراح وانما هي أخدار وأورام
في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أي آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح
الآدميين أي في داخل بدنه فلا ينافي ما تقدم من قطع ابن الجموح رجله ومن ضرب ابن عفراء له
حتى أثبته فأتى ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره به أي بالضرب الذي
كهيئة السياط فقال ذاك ضرب الملائكة وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنا ننظر الى
المشرك أمامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر
ذلك الموضع وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان
أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك أي برفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف
وقد جاء أن الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان أي مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار
سود كسمة النار وفي رواية وصف ذلك الأثر بالخضرة ولا منافاة لان الاخضر لشدة خضرته
ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس أو اليد يستدل بها على أن مفارقة الرأس
أو اليد من فعل الملائكة وجاء ان بعض ضربهم كان في الكتفين وفي الوجه والانف وأكثره
فوق الاعناق والبنان وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس والضرب في الاعناق تارة يفصلها
وتارة لا وفي الحالين يرى أثر ذلك أسود في العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة * وجاء ان
النبي صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم
قال اللهم لا تعجزني فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث
وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع
أبو جهل انطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد وفي رواية برك
فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل الحديث ولما جاء ابن مسعود يخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بأنه وجده فقتله أي تمم قتله قال له عقيل بن أبي طالب وكان قبل اسلامه رضي الله عنه وهو أسير
عند النبي صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته قال فقلت له بل أنت الكذاب الآثم يا عدو الله قد
والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال نعم وهذا هو أثر الجحش
الذي جحشه اياه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود النبي صلى الله
عليه وسلم بقتل أبي جهل ومجيئه برأسه لاحتمال أن يكون أخبر أولا ثم رجع وجاء برأسه
وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل أن يكون في أصل قتل أبي جهل وأنه يعتقد أنه ما قتل بل هو
حي مع قومه أو التكذيب في أن ابن مسعود هو القاتل ويريد أن القاتل غيره كالانصار ثم ان
النبي صلى الله عليه وسلم بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى
أوقفه على أبي جهل فقال الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة ورأس

قاعدة الكفر قال ابن مسعود رضى الله عنه ونفلنى سيفه أى أعطانيه وكان قصيرا عريضا فيه
قبايع فضة وحلق فضة وعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا
وان فرعون هذه الامة أبوجهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف لبيان الهيئة قتلته الملائكة
وفى رواية قتله ابن عفراء أى وابن الجموح وقتلته الملائكة وأجهز عليه ابن مسعود رضى الله
عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضى الله عنه قال رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون
أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه
بنصف ساقه أى أسرعت قطعه فوالله ماشبهتها حين طاحت الابا لنواة تطيح من تحت مرضخة
النوى فضربنى ابنه عكرمة رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقى فطرح يدى فتعلقت
بجلدة من جسمى وأجهضنى القتال أى شغلنى فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما
آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ثم جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت قال ابن اسحاق وعاش رضى الله عنه الى خلافة عثمان رضى
الله عنه وهو صحيح سليم ثم بعد ضربة ابن الجموح لابى جهل جاءه وهو عقير معوذ بضم الميم
وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى أثبته أى أثخنه وتركه وبه رمق حتى
جاء ابن مسعود فذفف عليه وهكذا الجمع بين الروايات فان فى بعضها قتله ابن الجموح وفى بعضها
ابن عفراء وفى بعضها ابن مسعود رضى الله عنهم ومعوذ هذا لايزال يقاتل حتى قتل رضى الله عنه
وجاء فى بعض الروايات ان ابن الجموح ومعاذا ومعوذا ابنى عفراء اشتركوا فى قتل أبى جهل
فلعل معاذا أعان أخاه معوذا وكان معه فى ذلك وقد جاء فى الحديث رحم الله ابنى عفراء اشتركا
فى قتل فرعون هذه الامة قيل له يارسول الله ومن قتله معهما قال الملائكة وعفراء اسم أمهما
وأبوهما اسمه الحارث وقيل ان معاذ بن عمرو بن الجموح أخوهما لامهما فان كلا من الحارث
وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح أن يقال فى ابن الجموح انه ابن عفراء فلا تنافى بين
الروايات ولذا قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابنى عفراء فقد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة
ورأس أئمة الكفر وقد كان أبو جهل أشد الناس عداوة وحسدا للنبى صلى الله عليه وسلم ولم
يلق صلى الله عليه وسلم من أحد من الاذية مثل مالقى من أبى جهل لعنه الله وكان مقارنا للنبى
صلى الله عليه وسلم فى السن وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة فلما بعثه الله
صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس له حسدا وعداوة ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر
وهو يوم البطشة الكبرى وكان أشد الناس اجتهادا فى اخراج النفير ولما أرادوا الخروج
من مكة أخذ بأستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأجل الفئتين
وأكرم الحزبين وأفضل الدينين وفى ذلك نزل قوله تعالى ان تستفتحوا أى تطلبوا الفتح أى
النصر فقد جاءكم الفتح الآية ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال اللهم أقطعنا للرحم
فأحنه أى أهلكه الغداة اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره وفى لفظ اللهم أولانا

بالحق

بالحق فانصره فقوله تعالى ان تستفتحوا الخ شامل لذلك كله وفى رواية انه قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك وفى رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم دينهم القديم ودين محمد الحادث وقد استجاب الله دعاءه وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق و يبطل الباطل ولو كره المجرمون وكان رأسه أول رأس حمل فى الاسلام * وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل حمراء وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر و بعضهم بعمائم بيض و بعضهم بعمائم سود و بعضهم بعمائم حمر جمعا بين الروايات بل صرح بذلك فى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر أى وبيض وسود وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يوم بدر معتمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة أى بعضهم بسيما أبى عبد الله يعنى الزبير وقد ذكر ان الزبير رضى الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح التى فى ظهره وكان شعار الانصار أى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد وشعار المهاجرين يا منصور أمت ويقال أحد أحد وكانت خيل الملائكة بلقا مسومة أى مزينة وكان ذلك بوضع الصوف فى نواصى الخيل وأذنابها وفى رواية العهن الاحمر والابيض وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة أى الغلبة وقيل يعنى الهزيمة والاول أرجح فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه أى غشاؤه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت وقوله أقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم قيل اسم فرس جبريل عليه السلام وفى أثر مرسل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء أعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل وفى رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه أقدم حيزوم فنزلوا عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته صلى الله عليه وسلم فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمى وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم وأسلمت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر وعنه أيضا قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع

فجاء ذلك الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه قال هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الأولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة أمام النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كأشد القتال يعنى جبريل وميكائيل وانكسر سيف عكاشة رضى الله عنه وهو بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن الأسدى رضى الله عنه وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب اى أصلا من أصول الحطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده فى قتال أهل الردة فى زمن الصديق رضى الله عنه ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وسيأتى مثل ذلك فى غزوة أحد لعبد الله بن جحش رضى الله عنه وجاء فى فضل عكاشة رضى الله عنه أنه ممن يدخل الجنة بغير حساب وانكسر سيف سلمة بن أسلم رضى الله عنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده أى عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده وضرب خبيب رضى الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق و رمى رفاعة بن مالك رضى الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له فما آذاه شئ منها ورجعت كما كانت ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم وأن يطرحوا فى القليب فطرحوا فى القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أى تقطعت أوصاله فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة قال السهيلى وانما ألقوا فى القليب ولم يدفنوا لأنه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر اليهم وفيه ايضا اشارة الى أن الحربى لا يجب دفنه بل يجوز اغراء الكلاب على جيفته ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة رضى الله عنه فى القليب تغير وجه أبى حذيفة ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شئ فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا وجاء أن أبا حذيفة رضى الله عنه أراد أن يبارز أباه و يقتله لما طلب

المبارزة فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد القائهم في القليب بثلاثة أيام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول يافلان بن فلان ويافلان بن فلان هل وجدتم ماوعد الله ورسوله حقا فاني وجدت ماوعدني الله حقا وجاء في بعض الطرق ناداهم بأسمائهم فقال ياعتبة بن ربيعة ياشيبة ابن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أباجهل بن هشام وانما ذكر أمية بن خلف وان لم يكن من أهل القليب لانه كان قريبا من القليب وفي رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم بئس عشيرة كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا شيأ وفي رواية يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة عليهم والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالأحياء في الدنيا لأن الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم ولا يصير الميت به حيا كحياة الدنيا لكنه قد يقوى في نحو الانبياء والشهداء والصالحين حتى يصير كالحي في الدنيا ولا يرد على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لان المراد لا تسمعهم سماع قبول وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطي في قوله

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى أهل القليب وقال لهم ماتقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بأن ذلك تكرر منه قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون لأن الاربعة المذكورين هم أعظم رؤساء قريش وبقية أصحاب القليب من بني عبد مناف ستة عبيدة والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد وزمعة وعقيل ابنا الأسود والعاص بن هشام أخو أبي جهل وأبو قيس بن الوليد ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي وعلي بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي والاسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي وأمية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسي حيث ذكر قصة بدر في بعض أشعاره فقال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله * كواكب في أفق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه * فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام المجهل
وجادلهم بالمشرفي فسلموا * نجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع * حديثهم في ذلك اليوم من علي
هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت * اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله * غداة تردى بالردى عن تذلل
وأضحى قليبا في القليب وقومه * يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا * ففتح من أسماعهم كل مقفل
وأخبر ما أنتم بأسمع منهم * ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلا عنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
ألم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجأي * وحبك ذخري في الحساب وموئلي
عليك صلاة يشمل الآل عرفها * وأصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن من وجيع العذاب فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا أدري أعرف اسمي أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال الزرقاني هو أبو جهل وقد رواه الطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهما وفي رواية ابن منده عن ابن عمر رضي الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي أو دعاني بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال لي قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وروى ابن أبي الدنيا عن الشعبي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة وكان جملة من قتل من المشركين سبعين وأسر منهم سبعون فمن القتلى أهل القليب المتقدم ذكرهم وهم أربعة وعشرون كلهم من رؤسائهم والباقون من باقيهم وكان من أفضل الأسرى العباس بن عبد المطلب عم

النبي صلى الله عليه وسلم وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكل هؤلاء
أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم وهم من بني هاشم وممن أسلم من الأسرى من سائر قريش
أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أسلم
قبيل فتح مكة وأثنى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم في مصاهرته ورد عليه زينب رضي الله عنه
وعنها وأبو عزيز بن زرارة بن عمير أخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضي الله عنه
والسائب بن عبيد كذلك أسلم رضي الله عنه بعد الفداء وعدي بن الخيار والسائب بن أبي
حبيش وأبو وداعة السهمي وسهيل بن عمرو العامري أسلموا في فتح مكة وخالد بن هشام
المخزومي وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبي بن خلف أسلم يوم الفتح
وقتل يوم الجمل وعبد الله بن زمعة أخو سودة ووهب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب
المخزومي وقسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن الوليد قال في المواهب وكان العباس
رضي الله عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديما وكان يكتم اسلامه وكان يسره ما يفتح
الله على المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلعه على أسراره حين كان بمكة وكان يحضر
مع النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويحرضهم على
مناصرته كما تقدم ذلك في حضوره بيعة العقبة التي كانت مع الانصار قبل الهجرة فهذا كله
يدل على اسلامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالمقام بمكة ليكتب له أسرار قريش
وأخبارهم ولما أرادوا الخروج واستنفروا الناس ما أمكنه التخلف عنهم ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ولا ينافي ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم له لما طلب منه الفداء ظاهر أمرك انك كنت علينا الآن كونه عليهم في
الظاهر لا ينافي كونه مكرها في الباطن فعامله النبي صلى الله عليه وسلم بظاهر حاله تطييبا لقلوب
الصحابة رضي الله عنهم حيث فعل مثل ذلك بآبائهم وأبنائهم وعشائرهم وجاء أن العباس
رضي الله عنه كان له مال وديون في قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضياعها عندهم فكان
يخفي اسلامه باذن من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم اسلامه
للصحابة رفقا به وخوفا على ضياع ماله وللنبي صلى الله عليه وسلم غرض في اخفاء اسلامه ليكون له
عينا ينقل أخبار القوم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه فهو لم يظهر
اسلامه لهم الا يوم فتح مكة وهذا لا ينافي أسبقية اسلامه وانه أظهره للنبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه بعد وقعة بدر كما يأتي لان الذي تأخر الى فتح مكة ظهوره لأهل مكة وكان العباس رضي
الله عنه كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم مقامك بمكة خير لك وفي رواية استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم
في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة
كما ختم بي النبوة وكان كذلك فقد كان آخر المهاجرين لأنه استقبل النبي صلى الله عليه وسلم

بالابواء ولا علم له بخروج النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة فرجع معه وكان الذي أسر
العباس رضي الله عنه كعب بن عمرو الانصاري السلمي ويكنى بأبي اليسر رضي الله عنه فقيل
للعباس كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ماهو الا أن لقيته
فظهر في عيني كالخندمة الأشم وهو جبل عظيم من جبال مكة وفي رواية عن علي رضي الله عنه
فجاء رجل من الانصار بالعباس رضي الله عنه أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرني لقد
أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الانصاري
أنا أسرته يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفي رواية
قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أسرته فقال لقد أعانني الله عليه بملك كريم ولما أسر
رضي الله عنه شدوا وثاقه كبقية الأسرى فصار يئن فسمع النبي صلى الله عليه وسلم أنينه فلم
يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يارسول الله قال أنين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وكان العباس
رضي الله عنه رجلا طويلا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه الى المدينة بالأسرى
أن يلبسه قميصا وكان ذلك بعد ان حصل الفداء واظهاره اسلامه فلم يجدوا له قميصا يكون على
طوله فكساه عبد الله بن أبي بن سلول قميصه ولهذا لما مات عبد الله بن أبي هذا وكان رئيس
المنافقين جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب
قميصه صلى الله عليه وسلم ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه صلى الله
عليه وسلم قميصه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ومكافأة له لما فعله مع عمه العباس رضي
الله عنه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس رضي الله عنه أربعمائة أوقية وفي رواية
مائة أوقية وفي رواية أربعين أوقية من ذهب وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب
ثمانين أوقية وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحارث كذلك وفي رواية قال له فد نفسك
ياعباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن
عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
تركتني فقير قريش مابقيت وفي لفظ تركتني أسأل الناس في كفي فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأين المال الذي دفعته لأم الفضل يعني زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبني
الفضل وعبد الله وقثم وفي رواية فللفضل كذا وعبد الله كذا فقال والله أني اشهد انك
رسول الله ان هذا شيء ماعلمه الا أنا وأم الفضل أنا اشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله
وفي رواية قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتني فقير قريش مابقيت فقال له كيف تكون
فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية
مابقيت وفي رواية أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذي تقوله
قد كان وما اطلع عليه الا الله وأتى بالشهادتين اى نطق بهما بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فلا ينافي القول بأسبقية اسلامه وأنه كان يكتمه والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك

وممايؤيد ذلك أنه جاء في بعض الروايات أن العباس رضي الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين وفي رواية وكنت مسلما ولكن القوم استكرهوني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى في العباس رضي الله عنه يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم وعند نزول الآية قال العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وددت انك كنت أخذت مني أضعاف ما أخذت وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد في يد كل عبد مال يتجر فيه وكان يقول واني لأرجو من الله المغفرة وقيل ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلا فقط بدليل أنه جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالي شيء أفدي به نفسي قال افد نفسك من مالك وفي رواية من رماحك فقال اشهد انك رسول الله والله ما أحد يعلم ان لي بمكة رماحا غير الله اي وفدى نفسه ولم يفده العباس رضي الله عنه وكان من الأسرى النضر بن الحارث العبدري ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول في القرآن انه أساطير الاولين ويقول لو شئنا لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الاقاويل فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه محمد والله قاتلي فانه نظر الي بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب ثم قال النضر لمصعب بن عمير العبدري يا مصعب أنت أقرب من هنا الي رحما فكلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي يعني المأسورين هو والله قاتلي فقال له مصعب أنت كنت تقول في كتاب الله ما تقول ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه وذكر بعضهم أن النضر هذا له أخ يسمى باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة وقيل بل أسلم قديما وهاجر الى الحبشة والله أعلم ولما ضربت عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل انما هي بنته رثته بأبيات ثم أسلمت رضي الله عنها وتلك الابيات تقول فيها

يا راكبا ان الأثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولأنت نجل نجيبة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله ارحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

وفي رواية بدل قولها أمحمد البيت

أمحمد يا خير ضنء كريمة * في قومها والفحل فحل معرق

وحين سمع ذلك صلى الله عليه وسلم بكى وقال لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أي لقبول شفاعتها عنده فلا ينافي أن ما فعله حق (ومن الاسرى أيضا) عقبة بن أبي معيط بن ذكوان المكنى بأبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فأمر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهي شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك واجترائك على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ببزاقك في وجهي وتقدم ان عقبة كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ففعل به ذلك ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه وصار أثر ذلك باقيا في وجهه الى موته وهو الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وكان شديد السفه والفجور وأنزل الله تعالى فيه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بمكة لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف وفي رواية لما قال مالي أقتل من بينكم صبرا قال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لست من قريش هل أنت الا يهودي من أهل صفورية وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية وهو نسبة لموضع من ثغور الشام فولدت ذكوان وهو والد أبي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية واختلف في من باشر قتله فقيل عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه وقيل ان عاصم بن ثابت خاله لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت وكون القاتل لعقبة عاصم بن ثابت هو الصحيح وقيل قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويحتمل انهما اشتركا في مباشرة ذلك وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة وذكر ابن قتيبة أن طعيمة بن عدي أخا المطعم بن عدي كان من جملة الأسرى وان النبي صلى الله عليه وسلم أمر

بضرب عنقه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط والصحيح عند أهل السير والمغازي ان طعيمة بن عدي قتل في معركة القتال قتله حمزة رضي الله عنه وسيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور (ثم استشار) رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الاسرى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترون في هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم فيما هو الاصلح من الامرين القتل أو أخذ الفداء فقال أبو بكر يارسول الله أهلك وقومك وفي رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتقول يا ابن الخطاب فقال يارسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رآى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر وفي رواية نسيب له فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل أخيه فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا وفي رواية ان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلاثا وهو يعرض عنه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة في حالة ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يارسول الله أرى أن تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم ولم يذكر عن علي رضي الله عنه جواب مع أنه أحد الثلاثة المستشارين قال العلامة الزرقاني لانه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلاف الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لم يظهر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه الجواب قال انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك وفي رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم فقال أناس يأخذ بقول عمر وأناس بقول أبي بكر وأناس بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله ومثلك في الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم

الآية لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول أبي بكر رضي الله عنه وقال لا يفلتن أحد منهم الا بفداء
أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته
يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخاف أن تقع علي الحجارة مني في ذلك
اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء وأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن
يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله
ان الله غفور رحيم فجاء عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما
فقال صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء وفي رواية قال ان كاد ليمسنا في
خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب وفي رواية وسعد بن
معاذ لانه أيضا كره الاسر وأحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لانه اشار باضرام النار وليس
بشرع قال بعضهم في هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب لا يكون فيما
صدر عن وحي وقال السبكي في قوله تعالى ما كان لنبي اي غيرك يا محمد أن يكون له أسرى الخ أي
وأما أنت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم وعن الاعمش في قوله تعالى لولا كتاب من الله
سبق أي بأنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا ويؤيده حديث وما يدريك لعل الله
اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم وأحسن ما قيل في الآية أن فهم العتاب على ارتكاب
خلاف الاولى وانه كان الاولى الاثخان بالقتل لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذي يقع
وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم المقدر وقوعه قبل خلق
السموات والارض وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث
للمؤمنين على قتال الكفار وتأييد لرأي عمر رضي الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن
فيها موافقا لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتأليف وروى
الحاكم باسناد صحيح عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على أن يقتل منهم عاما قابلا مثلهم
قالوا الفداء ويقتل منا وفي رواية قالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة
سبعون ففاداهم (ثم لما استقر الامر على الفداء) فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى
في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتى يرسل لهم أهلهم وعشائرهم بالفداء وقيل تفريقهم بين
أصحابه انما كان بعد وصولهم المدينة وقال لما فرقهم استوصوا بهم خيرا (قال ابن اسحاق)
فكان أبو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسرى فقال مر بي أخي ورجل من الانصار
يأسرني فقال له شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت في رهط من الانصار
حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية

رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا واما قال أخوه للانصارى شد يدك به فان يا اخى هذه صاحبك بى ثم أرسلت أمه أربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضى الله عنه وتواصت قريش على أن لا يعجلوا فى طلب فداء الاسرى قالوا لئلا يتغالى محمد وأصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبى وداعة واسمه سهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لما رآى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب أبيه فجاء وفداه فكان أول أسير فدى واسم أبى وداعة الحارث ثم أسلم رضى الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة وعند ذلك بعثت قريش فى فداء الاسارى وكان الفداء لهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفعوا له عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا علمهم كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه وفى رواية لو كان مطعم حيا وكلمنى فى هؤلاء النفر وفى رواية فى هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم أجار النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم وسماهم نتنى لكفرهم وكان موت المطعم قبل وقعة بدر وهو على كفره وأما جبير ابنه فأسلم رضى الله عنه (وكان من الاسرى أبو العاص بن الربيع) رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضى الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وكنيته أبو العاص واسمه لقيط وقيل مقسم بكسر الميم وقيل هشيم واشتهر بكنيته وأبوه الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف فلما أسر أبو العاص بعثت زينب رضى الله عنها فى فدائه قلادة لها كانت أمها خديجة رضى الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها أبو العاص فلما رآى النبى صلى الله عليه وسلم تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا وشرط عليه صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيل زينب أى أن تهاجر الى المدينة ولم يكن فى ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرما وانما حرم ذلك بعد لان الاحكام انما شرعت بالتدريج فلما بعث صلى الله عليه وسلم وأسلم أهله وبناته ولم يسلم أبو العاص زوج زينب لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم وقد كان كفار قريش مشوا الى أبى العاص وسألوه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له تزوجك اى امرأة شئت من قريش فأبى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب ان لى بامرأتى أفضل امرأة من قريش وأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك خيرا وشكر له ذلك فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة ورجلا من الانصار وقال لهما تكونان بمحل كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها فلما أرادت الخروج من مكة خرج معها

كنانة بن الربيع وهو أخو زوجها قدّم لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها
نهارا يقودها في هودج لها وكانت حاملا فتحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا في طلبها
حتى أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الأسود رضي الله عنه فانه أسلم بعد
ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته وأخذ
قوسه وقال والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان في رجال من قريش
وقال كف عنا نبلك حتى نكلمك ثم قال له انك لم تصب في فعلك فانك أخرجت زينب علانية
على رؤس الناس من بين أظهرنا فيظن الناس ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا ضعف
ووهن ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ولكن ارجعها حتى اذا هدأت الاصوات
وتحدثت الناس أن قد رددناها فسربها سرا فألحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلا
حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة
ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى يا رسول الله قال فخذ خاتمي فأعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف
حتى لقي راعيا فقال لمن ترعى قال لأبي العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم
معه ثم قال له ان أعطيتك شيأ تعطيها اياه ولا تذكره لأحد قال نعم فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي
الى زينب فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك هذا قال رجل قالت فأين
تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبي
بين يدي على بعيري قالت لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة
وذلك بعد شهر من بدر وكونها خرجت في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها
اي أخو زوجها حتى سلمها لزيد لامكان أن يكون معها حين خرجت ثم أسلم زوجها رضي الله عنه
وهاجر وردها اليه صلى الله عليه وسلم بغير عقد بل بالنكاح الاول وقيل عقد له عليها عقدا
آخر وولدت له أمامة التي كان يحملها صلى الله عليه وسلم على ظهره وهو يصلي ثم لما كبرت
تزوجها علي رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها بوصية من فاطمة رضي الله عنها لعلي
بذلك ولما حضرت عليا رضي الله عنه الوفاة قال لها اني لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتي فان
كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عشيرا فلما
توفي علي رضي الله عنه وانقضت عدتها أرسل معاوية رضي الله عنه يخطبها وبذل لها من المهر
مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبني فان كان لك
حاجة فيّ فأقبل فجاء وخطبها من الحسن بن علي رضي الله عنه فزوجها منه وقيل زوجها منه
الزبير بن العوام بوصية من أبيها له عليها ويمكن الجمع بينهما وكان من جملة الأسرى عمرو بن
أبي سفيان بن حرب أخو معاوية أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقيل لأبي سفيان افد
عمرا ابنك فقال أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة يعني ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين
رضي الله عنها وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد

سعد بن النعمان أخا بني عمرو بن عوف قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ومضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبي سفيان فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الأسرى والظاهر أنه مات على شركه وكان من جملة الأسرى سهيل بن عمرو العامري وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها وكان يخطب قريشا ويحثهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه اي يخرج فلا يستطيع الكلام لانه كان اعلم والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه أسلم رضي الله عنه عام الفتح وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة حتى أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس تشبه خطبة أبي بكر رضي الله عنه التي خطبها بالمدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال سهيل في خطبته أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين ثم قال والله اني لأعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هؤلاء من أنفسكم يعني أهل الردة فان دين الله قائم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر رضي الله عنه وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان في قيامه ذلك المقام معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر به قبل حصوله بأعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر رضي الله عنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه ولما أسر سهيل قدم مكرز بن حفص في فدائه فلما ذاكرهم قدر أرضاهم به قالوا له هات قال ليس عندي هنا شيء ولكن اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى نبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا في محله حتى جاءهم الفداء وكان في الأسرى الوليد ابن الوليد أخو خالد بن الوليد رضي الله عنه فافتكه أخواه هشام وخالد فلما سلموا فداءه وافتكوه وصل الى مكة أسلم فعاتبوه في ذلك فقال كرهت أن يظن بي أني جزعت من الأسر ثم لما أسلم أراد الهجرة فحبسه أخواه هشام وخالد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت ويقول اللهم أنج الوليد بن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء وكان في الأسرى وهب بن عمير الجمحي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة

ابن رافع وبقي بالمدينة مع الأسرى وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة فجلس عمير يوما مع صفوان بن أمية بن خلف بن
وهب الجمحي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجرة فذكرا ما أصاب
قريشا يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما في العيش خير بعدهم
لانه قتل أبوه أمية وأخوه علي فقال له عمير صدقت أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء
وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت الى محمد حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير في
أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا قال
عمير فاكتم عني شأني وشأنك وتعاقدا وتعاهدا على ذلك ثم ان عميرا أخذ سيفه فشحذه أي سنه
وسمه أي جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من
المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف
فقال عمر رضي الله عنه هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا بشر فدخل عمر رضي الله عنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا
بسيفه قال فأدخله علي فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال لرجال ممن كان
معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث
غير مأمون ثم دخل به عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير
أنعموا صباحا وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا
الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الأسير
الذي في أيديكم يعني ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبح الله السيوف وهل
أغنت عنا شيأ قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجرة فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا
دين علي وعيال لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك حتى تقتلني له والله
حائل بيني وبين ذلك قال عمير أشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك فيما تأتي به من
خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لأعلم انه
ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة
الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له
أسيره ففعلوا ذلك وأسلم ابنه ايضا رضي الله عنه ثم قال عمير يا رسول الله اني كنت جاهدا على
اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله
والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم فأذن له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لأهل مكة

أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان حتى قدم
راكب فأخبره باسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا وان لا ينفعه ولا يواسيه أبدا فلما قدم عمير مكة
لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث
لم يبدأ بي قبل منزله انه انتكس وصبأ ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبدا ثم ان عميرا
رضي الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذي كنا عليه من عبادة
حجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان
بكلمة وعند فتح مكة هو الذي استأمن النبي صلى الله عليه وسلم لصفوان ثم أسلم صفوان رضي
الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه صلى الله عليه وسلم واديا مملوءا من النعم
فقال أشهد أن الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ولا تطيب به الا نفوس الانبياء أشهد أن لا اله
الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله
عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم
على نفر من الأسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحي الشاعر كان يؤذي النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله اني فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى
الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال له ان لي خمس بنات
ليس لهن شئ فتصدق بي عليهن ففعل وأطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحدا ولما
وصل الى مكة قال سحرت محمدا ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج
مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه
فقال أعتقني وأطلقني فاني تائب فقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت
عنقه وحمل رأسه الى المدينة وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن
منهم ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرح أهل القليب في قليبهم أرسل عبد الله
ابن رواحة رضي الله عنه بشيرا لأهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة
رضي الله عنه بشيرا لأهل السافلة بما فتح الله على رسوله والمسلمين وأركب صلى الله عليه وسلم
زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل العضباء فجعل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينادي في أهل
العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم
ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بذلك ويقولان قتل فلان وأسر فلان وفلان من أشراف
قريش فصار عدو الله كعب بن الاشرف اليهودي يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء
فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأتانا الخبر بالمدينة حين
سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها زوج عثمان رضي الله
عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوجه صلى الله عليه وسلم ابنته الاخرى أم كلثوم وتوفيت
عنده أيضا رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته اياها

وما زوجته الا بوحي من الله وفي رواية لو أن لي أربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة قال العلامة الحلبي وأم عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاء زيد بن حارثة بشيرا قال رجل من المنافقين لأبي لبابة رضي الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب قال أسامة فبلغني ذلك فجئت حتى خلوت بأبي وسألته عما يقول ذلك الرجل وقلت أحق ما تقول قال أي والله انه لحق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شيء سمعته من الناس يقولونه ثم أقبل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ولما خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال للتحريض على القتال والترغيب فيه وأسهم لجماعة قد تخلفوا بأمر منه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهو معدود من أهل بدر وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وجعل له سهما في الغنيمة ومنهم أبو لبابة رضي الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم على أهل المدينة وعاصم بن عدي خلفه على أهل قباء والعالية ومنهم من أرسله لكشف أمر العدو وتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ومنهم الحارث بن حاطب أمره صلى الله عليه وسلم على بني عمرو بن عوف ولما قارب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

وتلقاه أسيد بن حضير وقال الحمد لله الذي أظهرك وأقر عينك (وأما أهل مكة) فأول من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم بما شاهده ويقول قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان جالسا في الحجر والله ما يعقل هذا سلوه عني فسألوه فقالوا ما فعل صفوان بن أمية فقال هو ذاك جالس في الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا ثم قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضي الله عنها وكان مشركا من أشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس والتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالابواء وهو متوجه الى فتح مكة فلما قدم أبو سفيان بن الحارث على أهل مكة

بعد وقعة بدر سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال هو الى عندى الخبر والله ماهو الا ان
لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا و يأسروننا كيف شاؤا وأيم الله مع ذلك
مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شئ أى
لا يقاومها شئ فقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك الوقت مولى للعباس
رضى الله عنه ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فقلت له والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده
فضرب بها وجهى ضربة شديدة وثاورته فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك على يضربنى
فقامت أم الفضل زوج العباس رضى الله عنها وهى لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة
أم المؤمنين رضى الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم الى عمود فضربته به رأس أبى
لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب سيده قال أبو رافع فقام موليا ذليلا
فوالله ماعاش بعدها الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها
و يقولون انها تعدى أشد العدوى فتباعد عنه أهله و بنوه حتى قتله الله وبقى بعد موته ثلاثة أيام
لا يقرب أحد منه فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من
بعيد حتى واروه وأما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضى الله عنهما وثبتا يوم حنين مع
النبى صلى الله عليه وسلم وأسلمت أيضا أختهما درة وهاجرت فانها صحابية رضى الله عنها وأما عتيبة
بالتصغير فمات كافرا عقره الاسد فى طريق الشأم فى حياة أبيه بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم
حين طلق ابنة النبى صلى الله عليه وسلم وسفه عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك كما تقدم
ولما ظهر خبر قريش وتحقق عند أهل مكة ماصار واليه من القتل والاسر ناحت قريش على
قتلاهم أكثر النوح واستداموه شهرا وجز النساء شعور رهن وكن يأتين بفرس الرجل
أو راحلته وتستر بالستور و ينحن حولها و يخرجن الى الازقة ثم أشير عليهم أن لا تفعلوا
فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبكوا قتلانا حتى نأخذ بثأرهم وتواصوا على ذلك (ولما بلغ
النجاشى الخبر) أى خبر نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا وطلب جعفر
ابن أبى طالب رضى الله عنه ومن كان معه بأرض الحبشة من الصحابة رضى الله عنهم فدخلوا عليه
فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال لهم انى أبشركم
بما يسركم انه قد جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله نصر نبيه صلى الله عليه وسلم
وأهلك عدوه فلان بن فلان وفلان بن فلان وعدد جماعة التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك
كنت أرعى فيه غنما لسيدى من بنى ضمرة فقال له جعفر رضى الله عنه مالك جالسا على التراب
وعليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله أن
يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفى رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه
عليه اذا حدثت له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم
أحدثت هذا التواضع ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا ان ثأرنا

بأرض الحبشة فانه رسل الى ملكها ليدفع اليه من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشى ليدفع اليهما من عنده من المسلمين وأرسلوا معهما هدايا للنجاشى وأصحابه فردهما خائبين وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقد وفد عمرو بن العاص رضى الله عنه على النجاشى مرة ثالثة سنة أتى ان شاء الله وفيها قصة اسلامه ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا خافه كل عدو بها وحولها وأسلم كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن أبى فى الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا أنه النبى الذى نجد نعته فى التوراة وآمن منهم جماعة وبقى على كفرهم آخرون ومن يضلل الله فلا هادى له وكان جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار منهم ستة من الخزرج واثنان من الاوس فالستة المهاجرون عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فى المبارزة مع عتبة بن ربيعة وأخيه وولده فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل انه أول قتيل وأول من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الامة وكان قتله بسهم أرسله عامر بن الحضرمى وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم استصغر عميرا فرده فبكى فلما رأى بكاءه أذن له فى الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة وعاقل بن بكير الليثى وصفوان بن بيضاء الفهرى وذو الشمالين عمير وقيل الحارث وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى والثمانية الانصاريون الخزرجى منهم عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء وحارثة بن سراقة ويزيد بن الحارث بن قيس ابن مالك ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح والاوسى منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء روى الطبرانى باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الذين قتلوا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله أرواحهم فى الجنة فى طير خضر تسرح فى الجنة فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادى ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شئ قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون فى الرابعة ترد أرواحنا فى أجسادنا فنقتل كما قتلنا قال فى المواهب ولا يقدح فى وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم لانه وعدهم الظفر بقريش حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ولم يعدهم انه لا يقتل منهم أحد فلا ينافى قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوهم كما وعد الله فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله على ذلك وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما وفى المواهب وشرحها قال ابن مرزوق فى شرح البردة ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع أى بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة

الطبل الملولو يرون ان ذلك لنصر أهل الايمان وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع صلب أى شديد لا مهولة فيه فتجيب فيه حوافر الدواب أى تكون بصوت يشبه تصويتها فى الارض الصدى فيه ولونى لى ان الموضع سهل رمل غير صلب وغاب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت فى الارض ثم لما من الله على بالوصول الى ذلك الموضع المشرق بالنور نزلت عن الراحلة أمشى وبيدى عود طويل من شجرة السعدان المسمى بأم غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذى كنت أسمع خباراعنى وأنا سائر فى الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول أتسمعون الطبل فأخذتنى لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان فى الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابنى من الفرح والهيبة فشككت وقلت لعل الريح سكنت فى هذا العود الذى فى يدى فجلست على الارض أو ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وسمعت صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة ثم نزلنا ببدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومى أجمع المرة بعد المرة ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى كلام ابن مرزوق قال العلامة الزرقانى قال صاحب تاريخ الخميس ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأفتا يومافوجدت صوت ذلك الطبل يجىء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالى بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس اسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فسمعت شيئا فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان ذلك الصوت يجىء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحوا راتقا لاريح فيه انتهى وقد جاء فى فضل أهل بدر أحاديث وآثار فيها ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية ان للملائكة الذين شهدوا بدرا فى السماء افضلا على من تخلف منهم وروى الطبرانى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة أى غفرت لكم مامضى وماسيقع من الذنوب يقع مغفورا وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع فى الذنوب فى المستقبل ولو فرض حصول شئ منها يلهمون توبة عنها استغفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه اباحة الذنوب ولا الاغراء عليها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقربهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يافلان قم يافلان بعدد الواقفين

فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لأخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك ويجلسونهم وجاء عن كثير من العلماء ان تلاوة أسمائهم والتوسل بها وكتابتها وحملها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الاعداء وظلم الظالمين الى غير ذلك من الفوائد والخواص وقد أفردت بالتآليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم وكذلك غزوة بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتآليف وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة بني سليم﴾

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على ان قضاء الاعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

﴿غزوة بني قينقاع﴾

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطحان مما يلي العالية وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم أول من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله والمؤمنين

حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبي بن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت
رضي الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانكم
قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به قالوا يا محمد انك ترى أنا
قومك أي تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة
انا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وفي لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أي لانهم كانوا
أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا يعني وقعة بدر وأنزل الله
تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا في حصونهم
فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه
في نصف شوال واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله
عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصاري رضي الله عنه فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا
أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلهم وأن يجلوا
من المدينة أي يخرجوا منها وأن لهم النساء والذرية ويجعلون بقية الاموال للنبي صلى الله عليه
وسلم ومنها الحلقة التي هي السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراضي تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا
وخمست أموالهم جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم
أجلاهم الى الشام وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يكتفوا
فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي بن سلول وألح عليه فقال يا محمد أحسن
في موالي فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى
تحسن في موالي فانهم أعزتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفي لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن
في موالي أربعمائة حاسر أي لا درع له وثلثمائة دارع وقد منعوني من الاحمر والاسود
وتحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم
الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار سبحانه
وتعالى بقوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية
ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله
عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أي بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق
الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام ولم يدر الحول

عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه بالحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء وقيل الذي تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع ان يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا لانهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوسا تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمى بها وقوسا تدعى الروحاء وقوسا تدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت والأخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضي الله عنهما وقسم بقية الاموال والسلاح كما تقدم

﴿قتل أبي عفك اليهودي﴾ وقدم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك بفتح المهملة والفاء اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على قتال النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه الشعر فقال صلى الله عليه وسلم من لي بهذا الخبيث فقال سالم بن عمير على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم يبشر بذلك فدعا له بخير

﴿غزوة السويق﴾

لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم حلف أبو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بجبل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود وقصد حيي بن أخطب وكان من رؤساء بني النضير وكان مجيئه اليه في الليل فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له لانه خافه فانصرف وجاء الى سلام بن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين

والانصار وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الانصاري رضي الله عنه وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم للهرب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبو سفيان أنه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لايمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمدا وحكى بعضهم ان أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وهذا يدل على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم قال الدميري ان الحكمة في عدم بيان الغسل في آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فهو من الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثني عليه ثم يقول رحمه الله ثم يدفن وماذكره الدميري تبع فيه السهيلي حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما بقي فيهم الحج والنكاح وكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع بعضهم في ثبوت ذلك عندهم وقال ان أبا سفيان انما قال لايمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء فعبره بعض الرواة بقوله لايمس رأسه ماء من جنابة لان هذا اللفظ صار عند أهل الاسلام كناية عن التمتع بالنساء فساوى المراد منه ماقصده أبو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال

﴿ذكر تزويج فاطمة رضي الله عنها﴾

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه وهي الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم رضي الله عنها كما اختاره المقريزي والزركشي والحافظ السيوطي في كتابه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالأدلة الواضحة التي منها ان هذه الأمة أفضل من غيرها والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على انه لم يتنبأ امرأة قط وقد قال صلى الله عليه وسلم مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم يابنية ألا ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت ياابت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبراني باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضي الله عنها مارأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها وكان تزوجها من علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة عقد عليها في صفر وقيل في المحرم وقيل في رجب وقيل في رمضان ودخل بها في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة أشهر ونصف وكان سن علي رضي الله عنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضي الله

منها حتى ماتت وعن أنس رضى الله عنه قال جاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخطبان فاطمة
الى النبى صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيأ وفى رواية قال لكل منهما أنتظر بها
القضاء فانطلقا الى على رضى الله عنه يأمرانه أن يخطبها لنفسه قال على رضى الله عنه فنبهانى
لأمر كنت غافلا عنه فقمت أجر ردائى فرحا بما نبهانى له حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت تزوجنى فاطمة قال أوعندك شئ فقلت فرسى وبدنى يعنى درعه قال أما فرسك فلا بد لك
منها وأما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضى الله عنه بأربعمائة وثمانين درهما
قال الزرقانى ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على رضى الله عنه فجاء بالدرع والدراهم
الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات ولما جاء على رضى الله عنه بالدراهم
وضعها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقبض منها قبضة فقال اى بلال ابتع بها لنا طيبا
وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشرط و وسادة من أدم حشوها ليف وقال لعلى
رضى الله عنه اذا أتتك فلا تحدث شيأ حتى آتيك فأرسل صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس
فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضى الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته
صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلى رضى الله عنه فى جانب آخر ثم جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعدما صلى العشاء الآخرة فقال أهاهنا أخى قالت أم أيمن أخوك وقد
زوجته ابنتك قال نعم اى هو كأخى فى المنزلة والمؤاخاة فلا يمتنع على تزويجى اياه بنتى ودخل
صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها ائتنى بماء فقامت تعثر فى ثوبها من الحياء
الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه اى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب ثم قال لها
تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم ثم قال أدبرى فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلى وفى رواية ثم قال لعلى
ائتنى بماء قال فعلمت الذى يريد فقمت فملأت القعب ماء فأتيته به فأخذه فمج فيه ثم صب على
رأسى وبين ثديى ثم قال لى أدبر فصب بين كتفى ثم قال اللهم انى أعيذه بك وذريته من
الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل بأهلك باسم الله والبركة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم
توضأ فى اناء ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما
فى شبليهما وهو بالضريك الجماع وفى رواية فى شبليهما والشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفا
واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على أنها تلد الحسن والحسين رضى الله عنهما فأطلق عليهما
شبلين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه
وعوذه بقل هو الله أحد والمعوذتين والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال أنه فعل جميع ذلك
واقتصر بعض الرواة فى كل رواية على البعض وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه
خطبها على رضى الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم
لعلى قد أمرنى ربى ان أزوجها منك وروى الطبرانى مرفوعا برجال ثقات ان الله أمرنى

ان أزوج فاطمة رضى الله عنها من على رضى الله عنه قال أنس ثم دعانى عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لى ادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعدة من الانصار رضى الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان على رضى الله عنه غائبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فاشهدوا انى قد زوجتها اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل على رضى الله عنه فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى ان أزوجك فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد رضيت بذلك يا رسول الله اى بعد ان خطب خطبة منها الحمد لله شكرا لانعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه الحمد لله الذى لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال اشهدوا انى قد زوجته كذا رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأعز جدكما اى حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا وفى رواية أبى الحسن بن شاذان انما زوجه وهو غائب قال جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة فلما حضر على رضى الله عنه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله أمرنى ان أزوجك فاطمة وان الله أمرنى أن أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يا رسول الله ثم خر على رضى الله عنه ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضى الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وقد روى الطبرانى والخطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا الا جعل ذريته من صلبه غيرى فان الله جعل ذريتى من صلب على رضى الله عنه والعقد لعلى رضى الله عنه وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر أو على أنه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله أن يزوج من شاء ان شاء جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب المالكية الى أن التفريق اليسير لا يضر فلعل غيبة على كانت

قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه أتى فى المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز
أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الشافعى مطلقا وكانت وليمة على رضى الله عنه آصعا من
شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط و يعجن شديدا وفى رواية أولم بكبش
من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار وكان جهاز فاطمة رضى الله عنها خميلة
اى بساط له خمل اى هدب رقيق وقربة و وسادة من أدم حشوها ليف وسرير امشر وطا وكان
فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش وعن الحسن البصرى كان لعلى وفاطمة رضى الله عنهما
قطيفة اذا لبسوها بالطول انكشفت ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤسهما
وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ثم دخل فى الرابع فى
غداة باردة وهما فى لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه
بينهما فأخذ على احداهما فوضعها على صدره و بطنه ليدفئها وأخذت فاطمة رضى الله عنها
الأخرى فوضعتها على صدرها و بطنها لتدفئها وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة الى
النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى وابن عمى ما لنا فراش الا جلد كبش ننام عليه
ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يا بنية اصبرى فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين
مالهما فراش الا عباءة قطوانية اى بيضاء قصيرة الخمل وفى مسند الامام أحمد عن على رضى
الله عنه أن فاطمة رضى الله عنها شكت ماتلقى من أثر الرحى مما تطحن فأتى النبى صلى الله عليه
وسلم سبى فانطلقت لم تجده فأخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيئها
قالت فاطمة رضى الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم
فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى
فقلنا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا
وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم ولم يتزوج على رضى
الله عنه عليها حتى توفيت رضى الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبى جهل قام صلى الله عليه
وسلم على المنبر وقال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب
فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى و ينكح ابنتهم انما هى
بضعة منى يريبنى ماارابها و يؤذينى ما آذاها والله لاتجتمع بنت رسول الله و بنت عدو الله عند
رجل أبدا فترك على الخطبة قال أبو داود حرم الله على على رضى الله عنه أن ينكح على فاطمة
رضى الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا
وألحق بعضهم أخواتها بها و يحتمل اختصاصها بذلك رضى الله عنها وعنهن وقد ورد فى فضائل
على رضى الله عنه أحاديث كثيرة حتى قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ما ورد لأحد من
الصحابة رضى الله عنهم ما ورد لعلى كرم الله وجهه اى من ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب
ذلك كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة أن يظهر كل منهم ما

فضله ما حفظ مرداً على الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزل في أحد من اصحابه في كتاب الله ما نزل في علي كرم الله وجهه نزل في علي ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما تكلمت به في التفسير فانما أخذته عن علي كرم الله وجهه وقد أفردت مناقبه بالتأليف رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية محمد بن مسلمة﴾

التي قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودي لعنه الله وكانت لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري الأوسي ومعه أربعة من الانصار الى كعب بن الاشرف اليهودي ليقتلوه قال ابن اسحاق ان كعب بن الاشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بني نبهان أصاب دما في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطي أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاء أحبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة الى كعب بن الاشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل فقالوا هو الذي كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثيرة فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشعاره ويحرض كفار قريش على قتاله وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتألف الناس وبالصبر على الأذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لانه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الأذى فصبروا على ذلك وكان كعب بن الاشرف من أشد الناس أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه أحدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب أحق هذا ترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكي على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وينشد

الاشعار فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد
ذلك رضي الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودي فخرج من
عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل مافعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي صلى الله
عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل مافعلت عاتكة ثم رجع الى المدينة
فتغزل في نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبي أن ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لنا بابن الاشرف وفي رواية من لكعب بن الاشرف اى من ينتدب لقتله فقد
استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء في رواية
أنه حالف قريشا عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه
بخبره وكعب بمكة وقال لهم ان الله أخبرني بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه ألم تر الى
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى
من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن
الزبير قال انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم
ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستغواهم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه وأي ديننا أهدى
في رأيك وأقرب الى الحق فقال أنتم أهدى سبيلا وأفضل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفي قريش فجزم عروة بأنها نزلت في كعب ونحوه
ما روى الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش
ألا ترى الى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل
السقاية قال أنتم خير فنزل فيهم ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب الى نصيرا وأخرج ابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الذين حزبوا
الاحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبا رافع
والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب
الأولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن
اتبعه فأنزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال
والبيضاوي أنها نزلت في كعب وفي جمع من اليهود خرجوا الى مكة وساق نحو القصة وزاد
البيضاوي أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الاشرف له صلى
الله عليه وسلم ونقضه العهد ماجاء أن كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه
بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام يستره جبريل بجناحه
فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال

صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الأوسي رضي الله عنه انا أتكفل
لك به يا رسول الله وفي رواية انا أقتله قال فافعل ان قدرت وفي رواية أنت له ثم قال له ان كنت
فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضي الله عنه فشاوره فقال توجه اليه واشك اليه
الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال يا رسول
الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا قال انما عليك الجهد ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر
والحارث بن أوس وأبا عبس بن جبر فأخبرهم بما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله
فأجابوه وقالوا كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله لا بد لنا أن
نقول اى قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به الى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فأنتم
فى حل من ذلك فأباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكأنهم استأذنوه فى أن يشكوا منه
ويعيبوا دينه لان كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان فى قتله خلاصهم فكأنه أكره
الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه اياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع أن
قلوبهم مطمئنة بالايمان ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه
وهذا بمنزلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه
وسلم قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفى رواية ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا
مال نصدقه وانه قد عنانا وانى قد أتيتك أستسلفك قال كعب وأيضا والله لتملنه قال انا قد
اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى اى شئ يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين
وفى رواية وأحب ان تسلفنا طعاما قال وأين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه
قال ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم أجابهم بأنه يسلفهم وقال ارهنونى قالوا أى
شئ تريد قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت اجمل العرب ولا نأمنك واى
امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا على سبيل التهكم وان كان هو فى نفسه جميلا قال
فارهنونى أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا
عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح مع علمك بحاجتنا قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر
عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه ايضا أبو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف
انى قد جئتك لحاجة اريد أن اذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا
بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال
وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد
كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الامر سيصير الى ما أقول فقال انى أردت أن تبيعنا طعاما
ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك وان معى أصحابا على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم
وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان فى الحلقة لوفاء وكان أبو نائلة أخا لكعب

من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع فجاءه محمد بن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد بن
بشر والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الأوس ولما فارقوا النبي صلى الله
عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم
رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا الى
حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب في ملحفته فأخذته
امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وأن أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة
قال لها انه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني فقالت والله اني لأعرف في صوته الشر وفي رواية
قالت اسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة
ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لأجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له هل لك
يا ابن الاشرف أن تمشي الى شعب العجوز اسم موضع كان قريبا منهم نتحدث به بقية ليلتنا فقال
ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة أدخل يده في باطن رأسه ثم شم يده فقال
ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها
وأمسكه من شعره وقال اضربوا عدو الله وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه اذا ما جاء
كعب فاني قائل بشعره اي آخذ به فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم
متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندي اعطر
نساء العرب وأجملهن فقال أتأذن لي ان أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي
قال نعم فيحتمل أن كلا من محمد بن مسلمة وأبي نائلة استأذنه في ذلك وكان كعب يدهن بالمسك
المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه فلما تمكن أبو نائلة أو محمد بن مسلمة من امساكه ضربوه
بأسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين
فلم يبق حصن الا أوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفي في ثنته ثم تحاملت عليه حتى
بلغت عانته فوقع عدو الله فجزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل
ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبي صلى الله
عليه وسلم تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فأخبروه
بقتل عدو الله فقال أفلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله
على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أصاب ذباب السيف الحارث بن أوس
ابن معاذ رضي الله عنه فجرح في رجله أو في رأسه حتى نزف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على
جرحه فلم يؤذه بعد وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودي الا وهو يخاف على
نفسه وفي رواية فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت
اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفي رواية فأصبحت
يهود مذعورين فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه

وما

وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى أن يكتبوا بينهم وبينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع على رضى الله عنه وفى قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر

صرخت به فلم يعرض لصوتى * ووافى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادى * فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذى درعنا رهنا فخذها * لشهر ان وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا * وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوى سريعا * وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفى أيماننا بيض حداد * مجربة بها الكفار نفرى
فعانقه ابن مسلمة المردى * به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه * فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فأبنا * بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لانه نقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه قال القاضى عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالأمان فى شئ من كلامه انما كلمه فى أمر البيع والشراء واشتكى اليه وليس فى كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لأحد أن يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان فى مجلس على بن أبى طالب رضى الله عنه فأمر به فضربت عنقه وانما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان قال الحافظ بن حجر ان كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخارى بالفتك بأهل الحرب والكذب فى الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة غطفان﴾

ويقال لها غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوة أنمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربى سماه بعضهم غورث بن الحارث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا فى رؤس الجبال وأصاب المسلمون رجلا منهم يقال له جبار وقيل حبان فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبرهم وقال لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك هربوا فى رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فأسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع وأخذ ذلك

الرجل بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه رهم في رؤس الجبال واشتغل المسلمون بشؤونهم فقال المشركون لدعثور وكان شجاعا سيدقومه قد انفرد محمد فعليك به فأقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني اليوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني قال له أجل أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع في صدره فوقع على ظهره قال فقلت انه ملك فأسلمت وعلمت انه رسول الله ولأكثرن عليه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت في بني النضير حين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وقيل نزلت في كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيري وقد تنزل الآية في قصة ثم تنزل في أخرى لادكار ما سبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

﴿غزوة بحران﴾

بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بني سليم أيضا خرج صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى ولم يظهر وجها للسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان قد بلغه أن جمعا كثيرا من بني سليم اجتمعوا ببحران فأحث السير حتى بلغها وكان قبل وصوله اليها لقي رجلا فأخبره ان القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا وأطلق الرجل وكانت غيبته عشر ليال وفي هذه السنة عقد لعثمان رضي الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر وفي شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضي الله عنه وفي رمضان تزوج زينب بنت خزيمة

﴿سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه﴾

الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها ان قريشا خافوا

من طريقهم التي يسلكونها الى الشأم حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم أسلموا عام الفتح رضى الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة رضى الله عنه فى مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

﴿غزوة أحد﴾

وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها ان قريشا لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى كل من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا ونحن طيبو النفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معى فجعلوا الذى بربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينار فكان الذى أخرج خمسين ألف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابى عزة الجمحى يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك على ان رجعت ان أغنيك وان أصبت أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر و يسر فقال ان محمدا قد من على وأطلقنى يعنى يوم بدر وأخذ على ان لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقنى فلا أريد ان أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل ان مسافعا لم يعرف له اسلام وقيل أسلم بعد ذلك وأما أبو عزة فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر عاصم بن ثابت رضى الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا له يقال وحشى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب يعنى طعيمة بن عدى فأنت حر لان حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدى يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى أبى فانى لا أرى فى القوم كفؤا له غيرهم فأنت عتيق فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أى آلات الملاهى والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان رضى الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هى وزوجها وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها

عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فانهما أسلما أيضا وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحارث بن هشام وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فأبى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال فجاء كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه ان يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال والله اني لأرجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا أم محمد ما أنت وذاك فقالت قد سمعت ماقال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحق النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يارسول الله اني خفت أن يفشو الخبر فترى اني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الأحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ماسجى ليل ووضح نهار ومارسا حبيش مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب في سبعين فارسا من الاوس وكان أبو عامر الراهب في المدينة مقاوما للنبي صلى الله عليه وسلم ومباعدا له ومنكرا لنبوته وكان قبل ذلك مترهبا يزعم انه ينتظر النبي المبعوث ويذكر للناس كثيرا من صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واتضحت صفاته للانصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان رئيسا في الاوس كعبد الله بن أبي في الخزرج فكل منهما حسد النبي صلى الله عليه وسلم لكن عبد الله بن أبي دخل في الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يموت وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وهو من المستشهدين بأحد وهو الذي غسلته الملائكة ومات أبو عامر الفاسق كافرا بأرض الروم وحيدا طريدا اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا الى الروم ثم ان القوم بعد ان تجهزوا خرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء ثاني عشر شوال فأقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من

المسلمين

المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه
وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال والله انى قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب
سيفى أى طرفه الذى يضرب به ثلما ورأيت أنى ادخلت يدى فى درع حصينة وكأنى مردف
كبشا فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى
يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت الكبش بانى أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق
الله رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذى من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضى الله عنه
وقتل على رضى الله عنه طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة
وكبش القوم سيدهم وقال عروة بن الزبير وجماعة كان الذى بسيفه ما أصاب وجهه
الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسر وار باعيته
وجرحوا شفته السفلى ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة
قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفى رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا
فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن أبى ابن سلول يستشيره تأ فاله ولم يستشره قبل ذلك فكان رأى عبد الله بن أبى ابن
سلول مع رأيه صلى الله عليه وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على ما فاتهم
من مشهدها يا رسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم
فقال ابن أبى يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط
الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس
وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا
رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وسعد
ابن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الانصار رضى الله عنهم انا نخشى يا رسول الله أن يظن
عدونا انا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جراءة منهم علينا زاد حمزة والذى أنزل
عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة وقال النعمان يا رسول
الله لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لأدخلنها فقال صلى الله عليه وسلم له فقال لانى أحب
الله ورسوله وفى لفظ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا أفر يوم الزحف فقال صلى
الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فترجح عنده صلى الله عليه وسلم موافقة رأيهم وان كرهه
ابتداء ليقضى الله أمرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم
وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا وأى مدة صبرهم على أمره وأمرهم
بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك لانهم لا غرض لهم فى الدنيا وزهرتها الماوقر فى قلوبهم
وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد
اجتمعوا وحضر أهل العوالى ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه فى الدنيا

والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أي عاوناه في لبس عمامته وثيابه والتقلد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة الخروج وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الاوس وهو في الانصار كالصديق في المهاجرين رضي الله عنهم قال الزرقاني فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه على ما صنعوا وقالوا ما كان ينبغي لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت وفي رواية فان شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه و بين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء للاوس وجعله بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء للمهاجرين وجعله بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبي طلحة العبدري فقال نحن أحق بالوفاء منهم فأخذه من علي ودفعه الى مصعب بن عمير بن هشم ابن عبد مناف بن عبد الدار أكبر اولاد قصي فجعل أبوه قصي القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلف بنو عبد الدار و بنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم اتفقوا على ان اللواء والحجابة ودار الندوة لبني عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبني عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفي شرح الزرقاني على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضي الله عنه وكان في المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة

فان يسلم السعد ان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وكانا دارعين ورد صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام فخرج وأصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة وعاش الى زمن عبد الملك بن مروان ولما أجازه قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعا وردني وأنا أصرعه فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه ورأى صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبي يريدون الخروج فقال وقد أسلموا قالوا لا يا رسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين وكان المسلمون الخارجون معه صلى الله عليه وسلم ألف راجل ثم انخزل عبد الله بن أبي ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة فبقي

المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والاحابيش المحالفين لهم
وقال ابن أبي حين أراد الرجوع عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له علام نقتل أنفسنا
ارجعوا أيها الناس فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه وكان خزرجيا
كابن أبي اذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعد ما حضر عدوهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناهم
فلما أبوا قالوا أبعدكم الله سيغني الله عنكم قال موسى بن عقبة لما انخزل ابن أبي بمن معه سقط
في أيدي طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام
من الاوس وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن
تفشلا بني سلمة وبني حارثة وما أحب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما أي الدافع عنهما قال
الحافظ ابن حجر أي ان الآية وان كان في ظاهرها عتاب عليهم لكن في آخرها غاية الشرف
لهم قال ابن اسحاق قوله والله وليهما أي الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لان ذلك كان من
وسوسة الشيطان من غير وهن منهم في دينهم وفي الصحيح أيضا عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه
لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه صلى الله
عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم في المنافقين فئتين
والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم الى كفرهم بما كسبوا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي في الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى
الصبح بأصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف المشركون بالسبخة وكان على
ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وصار سيف الله سله على
المشركين وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان
ابن أمية وقيل عمرو بن العاص رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقال النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير بن العوام استقبل خالد بن الوليد وكن بازائه وأمر جماعة آخرين أن يكونوا بازاء
خيل أخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين الا فرس أو فرسان قال الحلبي وما وقع في الهدى لابن
القيم ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم على
الرماة عبد الله بن جبير بن النعمان الاوسي البدري المستشهد يوم أحد رضي الله عنه وهو أخو
خوات بن جبير رضي الله عنه وكان الرماة خمسين رجلا فأقامهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل
صغير مرتفع وقال لهم احموا ظهورنا لا يأتون من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على
النبل انا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم اني أشهدك عليهم وفي رواية قال لهم ان رأيتمونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم
وأوطأناهم أي مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وفي رواية فان رأيتمونا نقتل
فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم اني أشهدك عليهم ثم عرض رسول الله صلى
الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فقام رجال وبسطوا أيديهم كل انسان منهم يقول أنا يا رسول الله منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير رضي الله عنهم فأمسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الانصاري رضي الله عنه فقال وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال أنا آخذه يا رسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل في الكبول أي مؤخر الصفوف قال لا يا رسول الله فأعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في مثل هذا الموطن وليس في هذه القصة دليل على ان أبا دجانة أشجع من النفر الذين منعهم النبي صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لابي دجانة ولعل ذلك بوحي من الله تعالى لاظهار شأن الانصار وفضلهم حيث اعطاه لرجل منهم قال الزبير رضي الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه أبا دجانة قلت والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا في أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي * ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكبول * اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا من المشركين الا قتله قال أنس فلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه اى قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس اى يشجعهم حمسا شديدا فصمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول اى دعا بالويل اى قال ياويلاه فعلمت انه امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة وعن الزبير رضي الله عنه قال خرج أبو دجانة بعدما أخذ السيف واتبعته فجعل لا يمر بشئ الا أفراه وهتكه ووافى المشركين وكان اذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو كأنه منجل حتى أتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهي تغني تحرض المشركين فحمل عليها فنادت بالصخر فلم يجبها أحد فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فأعجبني غير انك لم تقتل المرأة قال كرهت أن اضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها وكان اول من أنشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق لانه كما تقدم كان في المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج الى مكة وكان يعد قريشا أنه لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج بمن معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يا معشر الأوس

أنا أبو عامر فقالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان والادبار الاعقاب اى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار القاطع ويقلن ايضا

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا البوارق

والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضي الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وأن حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لولم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو اعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدر علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فرجع اليه فقتله فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان ابن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضي الله عنه

وهو يقول انا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخوه عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن ابي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله أخوه مسافع وهو الحارث بن طلحة فرماه عاصم ايضا فقتله وكانت أمهما معهما واسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم أتى أمه و يضع رأسه في حجرها فتقول له يابني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحارث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحارث وكلاب وجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم قتلوا كأبيهم وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه وقيل حمزة رضي الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل ابن هاشم فقتله قزمان ايضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله علي وقيل سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به اى استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لأصحاب اللواء أي لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال يابني عبد الدار انكم قد كنتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذي أراد أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذي هو طلحة بن أبي طلحة استبشر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اى لانه كبش الكتيبة اى الجيش اى حاميهم الذي رأى صلى الله عليه وسلم أنه مردفه في رؤياه المتقدمة ثم قال أولات ذلك اني أقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ماذكر من قتل أصحاب اللواء صار واكتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أماكنهم وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهي شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب وخرج عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر رضي الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة ايضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضي الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش

لقتال أهل الردة شاهرا سيفه فأخذ علي كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلي رضي الله عنه مع الجيش وفي أول الأمر يوم أحد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاثا والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم اى أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن ويهجن بني عبد الدار الخ الابيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فصاروا يحسون الكفار حسا اى يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة أي ما في سوقها من الحلي هي وصواحبها مشمرات هوارب وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم واشتغلوا عن الحرب فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم الغنيمة اى قوم قد غاب أصحابكم فما تنتظرون فقال لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله لا تبرحوا فأبوا أن يطيعوه وقالوا والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا هاهنا فلما أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله صلى الله عليه وسلم ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ووقعت الهزيمة في المسلمين قال الحافظ ابن حجر وفيه شؤم ارتكاب النهي وأنه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولذا قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم اى أصابتكم الهزيمة التي أغمتكم بسبب ادخالكم الغم على النبي صلى الله عليه وسلم في مخالفة أمره ومع ذلك فقد أخبر الله في كتابه بأنه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله اى عباد الله يعني المسلمين أخراكم اى احترزوا من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدة ما دهشهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذي وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبرا واحدا عن موقفه كما في شرح

الزرقاني وعند الاختلاط صار والا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذى يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض فكان ممن قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم وترك ديته وأحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ذلك اليوم قتالا شديدا حتى بلغ الذين قتلهم أحدا وثلاثين رجلا كلهم من شجعانهم وكان رضى الله عنه يقاتل بسيفين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أنا اسد الله وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعى فقال هل من مبارز فبرز له حمزة رضى الله عنه وقال هلم يا ابن مقطعة البظور أي لان امه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة ثم قال له حمزة رضى الله عنه أتحاد الله ورسوله اى تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه حمزة رضى الله عنه فضربه ضربة قتله بها فكان كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضى الله عنه وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضى الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها اليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة فأقبل نحوى ثم وقع فأمهلته حتى مات فجئته فأخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ حاجة غيره لما تقدم أن حمزة رضى الله عنه قتل طعيمة بن عدي يوم بدر فقالت ابنة طعيمة لوحشى ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى أبي فأنت عتيق وفى رواية قال لى مولاى جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمى فأنت حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء فى بعض الروايات عن وحشى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل الا حمزة وكان وحشى يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة مسيلمة الكذاب وكان يقول أرجو أن هذه تكفر تلك وهذا لا ينافى ما ورد أن الذى قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى أو أبو دجانة رضى الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشى ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين فى قتله لعنه الله وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان مصعب بن عمير رضى الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فأخذ اللواء ملك فى صورته وفى رواية لما قتل أعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر وشاع أعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى رضى الله عنه وكان الذى قتله عبد الله بن قميئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن مصعبا رضى الله عنه كان اذا لبس لامته يشبه النبى صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قميئة لعنه الله الخائب أن محمدا قد قتل روى ابن سعد أن مصعبا رضى الله عنه حمل

اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء اى أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذى قال قتل محمد ليس هو ابن قميئة بل ابليس لعنه الله وأنه تصور فى صورة جعال بن سراقة الضمرى وكان رجلا صالحا من أسلم قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمروا الى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا فى الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته فى القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيأ فشيأ لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حى ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذى نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد خوّات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن أعين بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين لو كان لنا من الأمر شئ ماقتلنا ههنا وقال بعض منهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفى ذلك أنزل الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف اسمه ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضى الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان فى قلوبهم وروى ابن اسحاق أن انس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم فقال ان كان قتل فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضى الله عنه قال أنس ولقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون

قال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين
ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال ياسعد الجنة ورب النضر انى أجد ريحها دون أحد قال سعد
فما أستطيع أن أصف ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة
بالرمح و رمية بالسهم و وجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته عرفته
ببنانه وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وانما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضى الله عنه وممن قال
مثل مقالة أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضى الله عنه فانه قال يامعشر الانصار ان كان محمد
قد قتل فان الله حى لايموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من
الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار
ابن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضى الله عنهم
وثبت النبى صلى الله عليه وسلم وقت رجوع المسلمين ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف
عن موقفه الذى وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين قال ابن سعد مازال صلى الله
عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وكان أقرب الناس الى القوم وجاء
عن على رضى الله عنه وغيره كنا اذا اشتد البأس اى حمى القتال اتقينا برسول الله صلى الله
عليه وسلم اى فيجعلونه فى وجه القوم و يكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقى عن
المقداد بن الأسود رضى الله عنه فوالذى بعثه بالحق ما زالت قدمه شبرا واحدا وانه لفى وجه
العدو وتفىء اليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائما يرمى عن قوسه ويرمى
بالحجر حتى انحازوا عنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن على رضى الله عنه قال لما انجلى
الناس يوم أحد نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله ما كان ليفر
وما أراه فى القتلى ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فمالى
خير من أن أقاتل حتى اقتل فكسرت غمد سيفى ثم حملت على القوم فأفرجوا لى فاذا أنا برسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم فى المستدرك بسند
على شرط مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسى فاما ان أستشهد واما ان ألحق حتى ألقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل محمر وجهه ما أدرى من هو فأقبل
المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به فى وجوههم فتنكبوا على أعقابهم
القهقرى حتى أتوا الجبل ففعل ذلك مرارا ولا أدرى من هو وبينى وبينه المقداد فبينا أنا اريد
أن اسأل المقداد عنه اذ قال المقداد ياسعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت
وأين هو فأشار اليه فقمت وكأنه لم يصبنى شىء من الأذى وأجلسنى أمامه فجعلت أرمى وأقول
اللهم سهمك فارم به عدوك و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم
سدد رميته وأجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى اذا فرغ النبل من كنانتى نثر

صلى الله عليه وسلم لى مافى كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتنى والنبى صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل و يقول ارم فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به وجاء أن سعدا رضى الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم مامنها سهم الا و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك أبى وأمى ففداه ذلك اليوم ألف مرة وعن على كرم الله وجهه قال ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبى وأمى الا لسعد رضى الله عنه يعنى يوم أحد فلا ينافى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك للزبير رضى الله عنه يوم الخندق كما سيأتى ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بعد و يقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله اى لان سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول النبى صلى الله عليه وسلم مالى لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضى الله عنه وثبت معه صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضى الله عنهم وكذا على رضى الله عنه قال فى فتح البارى فقد صحت الاحاديث بأن عليا رضى الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لانه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى أن يقال ثبت وسبعة من الانصار وهم أبودجانة والحباب بن المنذر وعاصم ابن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضى الله عنهم و زاد بعضهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه بل جاء أنه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافى فى الروايات لان اختلاف الاحاديث لاختلاف الاحوال فانهم تفرقوا فى القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب عن نفسه ثم عرفوا بقاءه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا اليه أولا فأولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمارا وابن مسعود رضى الله عنهم وفى بعض الروايات لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله فى بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر وثبت أنه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الى يافلان الى يافلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب انا ابن العواتك قال الحلبى فليتأمل فان المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان كان لامانع من التعدد وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى زوج أم انس بن مالك رضى الله عنه فانه استمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يحوزعنه بجحفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر له النبى صلى الله عليه وسلم

كنانته بين يديه وصار رضي الله عنه يقول نفسي لنفسك فداء و وجهي لوجهك وقاء فلم يزل
رمي بها وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم انثرها لأبي طلحة
وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف اي ينظر الى
القوم ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يانبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من
سهام القوم نحري دون نحرك وتطاول أبو طلحة رضي الله عنه بصدره يقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما زال النبي صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف
من طرفي القوس اللذين هما محل الوتر وفي رواية حتى تقطع الوتر وبقي في يده قطعة قدر شبر
فأخذ القوس عكاشة بن محصن رضي الله عنه ليوتره له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده
يبلغ قال عكاشة فو الذي بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا وكان صلى الله
عليه وسلم أقرب الناس الى القوم ومن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضي الله عنه
وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم وكان بايع النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل
يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبلوا سهلا أي
أعطوه نبلا ومن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهي
زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضي الله عنها قالت خرجت يوم أحد لأنظر
ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة الى
روي أنه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قميئة لما ولى
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قميئة يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا
فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضي الله عنه فضربني هذه الضربة فضربته ضربات ولكن
عدو الله كان عليه درعان وجاء في رواية خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها
حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له
نسيبة رضي الله عنها ادع الله أن نرافقك في الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة وعند ذلك
قالت رضي الله عنها ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم في حقها ما التفت
يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دوني وقد جرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحا ما بين
طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضي الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها
عبد الله بن زيد رضي الله عنه مشاركا لوحشي في قتل مسيلمة فعنها رضي الله عنها قالت قاتلت يوم
اليمامة فقطعت يدي وأنا اريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابني
عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكرا لله تعالى وقتله له كان

بعد ضرب وحشي له بحربته وجاء أنه شاركهما في ذلك أبو دجانة رضي الله عنه وأنزل الله يوم أحد
على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه في صدره
فوالله اني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قال تعالى ثم
أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصاري
رضي الله عنه قال لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي الى جنب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة أي لانه لا ينعس الا من يأمن فما منهم أحد الا غط غطيطا حتى
ان الحجف أي الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر
وتقدم في غزوة بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء أن النعاس في الصف من
الايمان وفي الصلاة من الشيطان وأما الطائفة المنهزمة فانها تفرقت فرقا فمنهم من ذهب الى
المدينة فلقيتهم أم أيمن رضي الله عنها فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم هاك
المغزل فاغزل به وهلم سيفك أي اعطني سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ويشكل
على استقبال أم ايمن اياهم أنه جاء أنها كانت في الجيش تسقي الجرحى فقد جاء أن حبان بن
العرقة رمى بسهم فأصاب أم ايمن وهي تسقي الجرحى فتكشفت فأغرق عدو الله في الضحك
فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فرمى به
فوقع عدو الله مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته وفي رواية اللهم استجب دعاء سعد اذا دعاك فكان
مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت في الجيش وبين كونها بالمدينة حين
وصول بعض المنهزمين الى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة
وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه فقد جاء أنه
ترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعل نفسه ترسا فصار يقع النبل على ظهره وهو
منحن عليه حتى كثر فيه النبل وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن السكن
رضي الله عنه حتى أثبتته الجراحة أي أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم أدنوه مني
فوسده قدمه الشريف فمات رضي الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم
وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه حتى قتله ابن قمئة
لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا
كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير أبي بن خلف الجمحي أخو أمية بن خلف المقتول
ببدر الذي كان يعذب بلالا رضي الله عنه وروى انه أقبل أبي بن خلف يوم أحد نحو النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتل
مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه

فأقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر فتناول النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة أو الزبير بن العوام رضي الله عنه فرماه النبي صلى الله عليه وسلم بها فأصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير واحتقن الدم اى لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلني والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك وفي رواية عقلك انا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمي بها فما بك والله من بأس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ماضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز أي السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة وفي رواية لو كان بربيعة ومضر وفي رواية لو كان بأهل الارض لماتوا أجمعون انه قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلني اى فضلا عن هذه الضربة وكان أبي يقول بمكة للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ان عندي العود يعني فرسا له أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف يسع اثني عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان أبي بن خلف قال حين افتدى يوم بدر من الأسر والله ان عندي افرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله تعالى ويمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبي لعنه الله ومن النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته من فرجة من سابغة الدرع وهي مايغطي العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعا من أضلاعه وفي رواية طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وأنه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ثم استقبله فطعنه في عنقه ولا منافاة لأن الترقوة في أصل العنق ولا مخالفة ايضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الطعنة خدشة انما هو بحسب مايظهر للرائي والا فالطعنة شديدة في الباطن وذلك أقوى في النكاية ليكون من المعجزات أيضا ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مرارا من الفرس وكونه خار كالثور الذي يذبح وكون الطعن في العنق يفضي الى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء في رواية أنه ضربه تحت ابطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أحدا الا أبي بن خلف لاقبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال اني لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل واذا نار تأجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فناداني يا عبد الله فلا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن افعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف لعنه الله رواه البيهقي ويدل لهذا ما جاء في الحديث كل من قتله نبي أو قتل بأمر نبي في زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ في الصور وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبي وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فضحكا لأصحاب السعير أي لأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم ان ابن عمر رضي الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقني فاردت أن أفعل فقال الأسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قتلهم أصحابه رواه الطبراني في الأوسط ولا بعد في تعدد الواقعة بل في الخصائص الكبرى للجلال السيوطي ما يدل على التعدد وذكر فيها أن ابن عمر ذكر ذلك الذي رآه ببدر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر الفاسق الذي كان مع المشركين كما تقدم حفرا في موضع المعركة وزعم أن ذلك من مكايد الحرب فوقع النبي صلى الله عليه وسلم في حفرة منها فأغمي عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت اى خدشت ركبتاه وأخذ علي رضي الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا ان ثقل السيف أثر في عاتقه فشكى صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كما رواه الحاكم في المستدرك قال قال حاطب رضي الله عنه لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رضي الله عنك وأما ما ذكره ابن منده من أنه أسلم واستدل بقول أخيه سعد في ابن أمة زمعة عهد الى أخي عتبة انه ولده فليس فيه ما يدل على اسلامه لاحتمال أن يكون عهد اليه وهو في كفره بأن أمة زمعة حملت منه وقد شدد أبو نعيم في الانكار على ابن منده في ذكره في الصحابة واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه فقال اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره في الصحابة غلط وليس في الآثار ما يدل على اسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر فلا معنى لايراده في الصحابة انتهى وروى ابن اسحاق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة حين صنع برسول الله ما صنع ولقد كفاني

فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله وصح أنه لم يولد من نسل عتبة ولد فيبلغ الحلم الا وهو أبخر أى منتن الفم أهتم أى مكسور الثنايا يعرف ذلك في عقبه وجاء ان الذى جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قمئة وفي رواية عبد الله بن شهاب الزهرى جد الامام الزهرى من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم أسلم رضى الله عنه وهو الذى شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهى ما ارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه أى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة واحتضنه طلحة بن عبيدة الله حتى استوى قائما وفي الصحيح عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجاء أن طلحة رضى الله عنه جرح يوم أحد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشل اصبعاه أى السبابة والتى تليها وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائى والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال أدرك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معه من الانصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء وانتزع أبو عبيدة عامر ابن الجراح الحلقتين اللتين كانتا في وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبى عبيدة لان ذلك الهتم حسن فمه وقيل ان عقبة بن وهب بن كلدة هو الذى نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضى الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك ابن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمى لم تصبه النار وفي رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد في هذه الغزوة رضى الله عنه وفي رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقماك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قمئة تيسا جبليا فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة في نكاله وخزيه ووباله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعى بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف به دمه ليمنعه من النزول على الارض ويقول لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يلدوا منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد

حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بأن هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم أنها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي أمة أجابته أولا في كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الانصاري رضي الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران أي تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك في أنه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما نعرفه بتكفئه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وجماعة آخرون وفي خصائص العشرة أن الزبير رضي الله عنه ثبت يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي ابن أبي طالب فممنوع بل ثبت مع علي رضي الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحارث بن الصمة رضي الله عنه فاضطربا ساعة بسيفيهما ثم ضربه الحارث على رجله فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد بن أبي جابر العامري يعدو فضرب الحارث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التي في الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف

وجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنهض به حتى استوى
عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أي فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع
برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع وقد قيل ان طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف أي
اعرج كان به فلما حمل النبي صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشي لئلا يشق عليه صلى الله
عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبي صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا وقد جاء علي
رضي الله عنه بماء في درقته ليغسل به جرح النبي صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه
وسلم من ذلك لتغير وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء فلم
يجد ثم ذهب الى موضع بعيد فأتى بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير
وجاء ان نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما لقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلي يسكب الماء فيتزايد الدم فلما
رأت ذلك أخذت شيأ من حصير فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى
لصق بالجرح فاستمسك الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب مع بعض أصحابه
اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
انهم لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة
من المهاجرين رضي الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل في ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا
وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفي بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي
وقاص رضي الله عنه اردد هم قال سعد فأخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم
أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو
سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به
فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي
لا يفارق كنانتي وكان بعد سعد عند بنيه وجاء في رواية عن سعد رضي الله عنه قال لقد رأيتني
أرمي بالسهم يوم أحد فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه
فظننت انه ملك وصلى صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التي أصابته
صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين
أصابتهم الجراح وقد جاء أنه وجد بطلحة رضي الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة
ورمية وقطعت أصبعه وفي رواية أنامله وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة
ابن عبيد الله التي وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضي الله عنه حتى
غشي عليه فجاءه أبو بكر رضي الله عنه ونضح الماء في وجهه حتى أفاق فقال ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضي الله عنه هو بخير وهو أرسلني فقال الحمد لله كل مصيبة
بعده جلل أي قليلة وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وجرح عشرين جراحة

أكثروا أصاب كعب بن مالك سبعة عشر جراحة وقتل الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بني عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له الاسلام أي رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل في عرض الناس أي جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينا رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك أنصرة لقومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله وبرسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث ان مات في أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول حدثوني برجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم وقتل حنظلة رضي الله عنه وهو ابن أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لابي عامر بن صيفي وتقدم ان أبا عامر خرج من المدينة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبي عامر أن يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج الى الشأم بعد فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكي في تائيته

وما ابن صيفي على الصفة التي * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وسبب قتل ابنه حنظلة رضي الله عنه انه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الأوس وهو غلط والصواب شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة وفي رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صحائف الفضة فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروسا تلك الليلة التي صبيحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعي وفي رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدو وفي رواية انه غسل أحد شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته الملائكة وجاء انه التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بأنه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون في ذلك نزاع قالت لاني رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة

وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق وقد جاء ان أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد أن يمثل بقتلاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله على فيه وعسى ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبو قتادة والله يارسول الله ماغضبت الالله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أى كرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافى انه قد دعا عليهم فى بعض الاوقات فأنزل الله ليس لك من الامر شئ الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لأمثلن بأربعين منهم فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال أصبر وأحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع فقال خذها وأنا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاقلت خذها وأنا الغلام الانصارى وكان قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه فقال خذها وأنا الغلام الانصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك فوالله انى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ماعليكم ان لاتمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته وفى رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ويمكن الجمع بأنه فى أول دخوله الجنة يطأ بها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (وأصيبت) يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الاوسى رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى

رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردنني ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فقال أفعل يا قتادة وفي رواية وان لي امرأة أحبها وأخشى ان رأتني أن تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبراني عن قتادة رضي الله عنه قال كنت أتقي السهام بوجهي دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما أي أقواهما نظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وفي رواية أصيبت عيناي وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطني ان هذه الرواية تفرد بها عمار بن نصر قال النووي وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة وروى الاصمعي عن أبي معشر قال قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال عمن الرجل فقال

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما ردّ

فعادت كما كانت لأول أمرها * فياحسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فقال عمر تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفي رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمي أبو رهم الغفاري واسمه كلثوم بن الحصين بن خالد بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد في يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضي الله عنه قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفي فقتل علي رضي الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بن الرشيد في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر الا أن سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون ﴿واشتغل﴾ المشركون ذكورا وإناثا بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه وجاء وحشي بعد ان مات حمزة رضي الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل أبيك فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة وجاء في رواية ان النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت أن تأكل من قلب حمزة رضي الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج لها وحشي فلذة من قلبه فلا كتها فلم تستطع بلعها فلفظتها (ولما أراد) أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم أحد بيوم بدر أعل هبل وسبب قوله ذلك

انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا وأجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال أعل هبل أى زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه أجبه فقل الله أعلى وأجل وقوله أنعمت فعال بسكون التاء أى أجابت بنعم فى فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة مبالغة يعنى بالغت هذه الفعلة أى الوقعة ثم قال له عمر رضى الله عنه لا سواء أى لا نستوى نحن وأنتم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أى لا ناصر لكم قال ابن اسحاق وعلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر * ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى * شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى * حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب المطلبية أخت مسطح بن أثاثة فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر * يابنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر * بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليثى وعلى صقرى
اذ رام شيب وأبوك غدرى * فخضبا منه ضواحى النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقانى قال الحافظ أبو الربيع فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يخنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم ان الله هداها للاسلام وعبادة الله وترك الاصنام وأخذ بحجزتها عن سوء النار وأدها على دار السلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله ما كان على الارض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبي سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت يرجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عينا خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وشهد غزوة اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفى بالمدينة سنة احدى أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنه وكان أبو سفيان رضى الله عنه فى أول دخوله فى الاسلام مكرها فتألفه النبي صلى الله عليه وسلم حتى شرح الله صدره للهدى وحسن اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضى الله عنه بعد اسلامه أين قولك أنعمت فعال وقولك أعل هبل فقال للعباس

قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك أن تمضي الى طعن الطاعنين فيه أو في أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وهو من أصهاره وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من أشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة اذا فتح المصحف يصيح ويقول هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذي هدانا برسوله أجمعين وقال أبو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفي رواية يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني وفي رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني ويروى أن الحليس سيد الاحابيش مر بأبي سفيان وهو يضرب بزج الرمح في شدق حمزة و يقول ذق عقق اى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذي كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عني فانها زلة ثم بعد اجابة عمر لأبي سفيان قال له أبو سفيان هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال انك عندي أصدق من ابن قميئة وأبر أي لأن ابن قميئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قتلت محمدا كما تقدم وفي رواية ان أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى أفي القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال له كذبت والله يا عدو الله ان الذي دعوت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل ثم ارتحل القوم وسار وا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل اى ركبوا مطاها اى ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم قال علي أو سعد بن أبي وقاص فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعد ما تشاوروا في نهب المدينة فأشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا فانكم لا تدرون ما يغشاهم ثم بعد ذهاب القوم فرغ المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع

أفى الاحياء هو أم فى الاموات اى لان النبى صلى الله عليه وسلم رآى الاسنة قد أشرعت اليه
فقال رجل من الانصار وهو أبى بن كعب رضى الله عنه أنا أنظره لك يارسول الله فقال له
ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تجدك فنظر أبى فوجده جريحا وبه رمق اى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات فقال قد طعنت اثنتى عشرة طعنة
وقد أنفذت الى مقاتلى فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع
يقول لك جزاك الله عنا خيرا ماجزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد
ابن الربيع يقول لكم لاعذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم أى يصل اليه شئ من الأذى
وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره
وفى رواية اقرأ على قومى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس
عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول
أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعنى أبا سفيان وأصحابه
وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء أى بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة
فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وقطعت أذناه ومذا كيره فنظر صلى الله
عليه وسلم الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه وقال أصاب بمثلك ماوقفت موقفا
أغيظ لى من هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله
لأمثلن بسبعين منهم ولما رآى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن
أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب فأنزل الله على النبى صلى
الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك
الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى
عن المثلة وكفر عن يمينه وفى كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبى يجوز أن تكون
مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضى الله عنه مارأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا
أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه فانه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق
و بلغ به الغشى وقال ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة
يا كاشف الكربات ياحمزة ياذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لامع البكاء فلا يقال هذا من
الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى
الجاهلية المنكر وهو النداء بذكر محاسن الميت لأن محل كراهته اذا كان على وجه
التفاخر والتعاظم ولم يكن وجه فانحو صالح للحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم

جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله
وأسد رسوله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن
رؤيته فقال لها يا أمة الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره
وقالت لم وقد بلغنى أنه مثل بأخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك اى أنا أشد
رضا بذلك من غيرى لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فأخبر النبى صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفى رواية ان صفية
لقيت عليا والزبير رضى الله عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فأرياها أنهما لا يدريان اى رحمة بها
فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها
ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفى رواية أنها لما منعها على والزبير رضى الله عنهما
قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمى
حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يحبسها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم أمر به فسجى ببرده وفى رواية قال ألا كفن فرمى رجل من الانصار بثوبه
عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال يا جابر هذا الثوب لأبيك وهذا العمى وفى رواية جاءت
صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الانصار والعله والد جابر
رضى الله عنه وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت
رجلاه وان مدوها على رجليه انكشف رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر
وفى رواية الحرمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير يوم أحد
وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفى رواية قتل
مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل الاسلام فتى مكة
شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما أسلم رضى الله عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله
عنه أنه كان يوما صائما فجىء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن
فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا
ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل
يبكى حتى ترك الطعام وعن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان
الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم
فى حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا اى يتطاول جزعهن وفى رواية لولا تجد صفية فى
نفسها ويكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر فى بطون الطير والسباع
وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر فى بطونها الشدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه

فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة رضى الله عنه واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع و يؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفى رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذى فى صحيح البخارى ولفظه أمر النبى صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو أن الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك أيضا حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت اى دعالهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلى لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد فى شئ من مغازيه الا هذه الرواية فى أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الأئمة بعده نعم جاء أن حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم وممن مثل به عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد بيوم اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يجدع أنفى و يقطع أذنى فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه لان المنهى عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار سيفا فى يده وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب فى قبر واحد وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى وأبو الحكم هذا قتل كافرا فى ذلك اليوم أعنى يوم أحد قتله على رضى الله عنه كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو وهو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر رضى الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجا بعمة جابر أخت عبد الله بن عمرو وجاء أن عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنه أصابه جرح فى وجهه ومات ويده على جرحه فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو وهذا وهو أيضا قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس فأزيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا بأحد وذلك حين أجرى معاوية رضى الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فأتيناهم فأخرجناهم طرايا تتثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث الدم وذكر أنه فاح من قبورهم مثل المسك وفى لفظ على رأس خمسين سنة مع أن أرض المدينة سبخة يتغير الميت فى قبره من ليلة وانما لم يتغيروا لأن الارض لاتأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد بعضهم قارئ القرآن والعالم العامل ومحتسب الاذان ويدل له حديث الطبرانى

بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره اي كشهيد المعركة لا يأكله الدود وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي فقال

لم تأكل الارض جسم النبي ولا * لعالم وشهيد قتيل معترك

ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجري الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لانه كان ابن عمه وذكر أن خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فأجهز عليه وقال الآن شفيت نفسي حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضي الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادي واحدا لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال في قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا أي يمتنعوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ان الله كلم أباك كفاحا فقال سلني أعطك فقال أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اي رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضي الله عنه لم يحضر القتال انما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضي الله عنه قال أصيب أبي يوم أحد فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها اي بلغها خبر موتهم قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال

للشيء الصغير يقال للشيء الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفي رواية أنها مرت بأخيها وزوجها وابنها وأبيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكترث بل صارت تقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل قال البيهقي لا منافاة لأنهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم فلا ينافي أنهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحارث بن الصمة رضي الله عنه قال سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت رأيته في جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحارث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت فقال أما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لاتنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم أنه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب وجاء أنه لما تصور الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يامصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ملك وفي رواية أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقدم مصعب قال يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه وجاء في رواية انه حمله ايضا أخو مصعب واسمه أبو الروم ويجمع بين الاحاديث باحتمال أن يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن (ولما أراد) رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن بأصل أحد وقال اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لاقابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبي فقالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبد الله

بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون هنيئاً له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ماهو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها أن يحسن الله عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد يارسول الله أمي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد أشويت المصيبة أي استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل بأحد بعد أن قال لام سعد يا أم سعد ابشري وبشري أهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في أهليهم قالت رضينا يارسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا ثم قالت يارسول الله أدع الله لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لابواكي له وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن لحمزة رضي الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فأمر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم المغرب فلما رجع من صلاة المغرب الى بيته سمع البكاء فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن يرجع النساء الى بيوتهن وفي رواية خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وان بلالا أذن للعشاء حتى غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يارسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافاة لاحتمال أن يكون الأمر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتي رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة أخرى فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الانصار فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الانصار بعد ذلك لا تبكي على ميتها الا بدأت بحمزة رضي الله عنه أي بكت عليه ثم بكت على ميتها وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى

نساء الانصار عن النوح فقال له الانصار بلغنا يارسول الله انك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا (وجملة القتلى) من المسلمين يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر فانه جاء أن حمزة وحده قتل احدا وثلاثين فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أو دفنوهم ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا ما محمد الاطالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وقالوا لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليسوا يظهرون شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله فقال بلى ولكن تعوذا من السيف وقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله وللمسلمين خير وكان من عادة عبد الله بن أبي ابن سلول انه اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قام فقال يا أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس يا عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني انما قلت شرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران في قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقد ذكر الله تعالى الحكمة في ما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ومن الحكم في ذلك ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انغلبوا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين

على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا ومستورا عن
المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كانخزالهم
وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه ويتكلمون به فيما بينهم ويخفونه عن
المسلمين مصرحا به وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن
الحكم في ذلك أيضا أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها
وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده
المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها
قال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين قال
ابن اسحاق أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة
وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدق ذلك منكم في الايمان بي والصبر على ما أصابكم أى أعاملكم معاملة
المبتلي المختبر ليظهر على لكم ويكون ما أظهره مطابقا لما سبق في علمي ومنها أن الشهادة من
أعلى مراتب الاولياء فساقهم الله إليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل
لقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون
وقال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله
الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذى
نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه
ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذى نفسي بيده لوددت اني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم
أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ومنها أن الله أراد اهلاك أعدائه فقيض لهم الاسباب
التي يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شئ من ظفرهم الصورى بالمسلمين
فازدادوا عتوا وتجبرا وطغيانا في ايذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق بذلك الكافرين
كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أى يهلك الكافرين الذين
حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص
وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ومنها أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والاسقام تعظيما لاجورهم
تأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين وقال
تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال ابن اسحاق أنزل الله في شأن أحد
ستين آية من آل عمران وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها
وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة حمراء الأسد﴾

بفتح الحاء والمد مضافة الى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة وكانت صبيحة أحد اذ وقعة أحد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الأحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكانت لطلب العدو الذين كانوا بالامس قال الواقدي باتت وجوه الانصار على بابه صلى الله عليه وسلم خوفا من كثرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من عند أهله بملل بميم ولامين اسم موضع قرب المدينة اذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيأ أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم فقد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا يارسول الله اطلب العدو لا يقحمون على الذرية اي يدخلون فلما صلى الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج اي أمر بلالا أن ينادي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد الا من خرج معنا أمس يعني من شهد أحدا وأراد بذلك اظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ في الايمان وحب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أيضا الزيادة في تعظيم من شهد أحدا وأيضا خاف اختلاط المنافقين بهم فيعينون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت لما انصرف المشركون عنه صلى الله عليه وسلم خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال الحافظ ابن كثير والمشهور عند أهل المغازي أن الذين خرجوا الى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون قال العلامة الشامي في سيرته والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي لان معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للمشركين لما بلغه أنهم يريدون العود ليخرج لا رهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذي أصابهم

لم يوهنهم عن عدوهم ولم يشتغلوا بدواء جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد ولهم زجل وياتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت ابن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائى والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبى عتبة فأنزل الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وخرج صلى الله عليه وسلم وهو مجروح وفى وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ولقيه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقال له يا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا طلحة أين تظن القوم فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ظننت أما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن ولما وصل صلى الله عليه وسلم حمراء الأسد أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم وكان اللواء فى هذه الغزوة بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحاق ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى بحمراء الأسد معبد بن أبى معبد الخزاعى وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضى الله عنه وكانت بنو خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم كلهم يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فلثواره عبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب بعد الذى كان

منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقذف
الله فى قلبه الرعب ثم رجع صلى الله عليه وسلم بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة
بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه
عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب
عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها من أنت قال ابن عم
عثمان فقالت ليس هو هنا فقال أرسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان
رضى الله عنه فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى
منك رحما فأجرنى فأدخله عثمان رضى الله عنه منزله وجعله فى ناحية ثم خرج عثمان رضى الله عنه
ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضى الله عنه فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها
بأنه فى ذلك المكان بعد ان علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فأخرجوه وأتوا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ماجئت
الا لآخذ له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم أنه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى حمراء الأسد فأقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه
فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضى الله عنهما فقتلاه وقيل انما قتلاه بعد ان جاآ به الى النبى
صلى الله عليه وسلم فأمر بضرب عنقه صبرا بأن أوثقوه حتى أمر بقتله وفى سيرة ابن هشام
وظفر صلى الله عليه وسلم بأبى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وكان قد أسره ببدر ثم منّ عليه
من غير فداء لأجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبى صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه
ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبى صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود الى شئ
من ذلك فلما منّ عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلا به قبل من
السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون
بحمراء الأسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائما فأدركه المسلمون وأسروه وكان الذى أسره
عاصم بن ثابت رضى الله عنه فلما ظفر به صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله أقلنى وامنن علىّ
ودعنى لبناتى وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين
وفى رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ سخرت محمدا مرتين ان
المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا زبير وفى رواية يا عاصم بن ثابت فضربت عنقه
وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأ

على رمح الى المدينة وهى اول رأس حملت فى الاسلام الى المدينة اى على رمح فلا ينافى أن اول رأس حملت رأس كعب بن الاشرف فلا تعارض قال بعضهم فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين أنه ينبغى للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة كانت ولادة الحسن بن على رضى الله عنهما وهى سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضى الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن على رضى الله عنهما وفى هذه السنة أيضا حرمت الخمر فى شوّال بعد وقعة أحد

﴿سرية أبى سلمة﴾

عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبنى أسد بنجد بعث صلى الله عليه وسلم أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة الطاب طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين وسبب ذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم قيس بن الحارث فلم ينتهوا فدعا صلى الله عليه وسلم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم فخرج فأسرع السير حتى انتهى الى أدنى قطن فأغار على سرح لهم مع رعاتهم مماليك ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا فى كل وجه وفى رواية خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا اى حربا وفى رواية فعسكر به اى بقطن وتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين وقد أصابتا نعما وشاء فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة وأخرج منها صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد بن زيد الطائى وهو الدليل ما رضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناما ومدة غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم

﴿سرية عبد الله﴾

ابن أنيس رضى الله عنه الجهنى السلمى الانصارى بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يا رسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يا رسول الله ما فرقت من شئ قط فقال آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته ان أقول فقال قل ما بدا لك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما وصلت اليه بعرنة

غيبته يمشي وورآءه الاحابيش تهيبه وعرفته بنعت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وانا أمشي وأومئ برأسي ايماء ثم دنوت منه فقال ممن الرجل قلت من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك قال أجل اني لفي الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهني ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الارض حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه فقال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفي رواية أنه قال مشيت معه حتى اذا أمكنني حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن في الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه في يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لأصحابه ليس أحد في الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت ما في الاداوة ولبست النعلين ولم يرني أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار حذرا من الطلب أن يدركني حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري فدفع الي عصا وقال تخصر بها في الجنة فان المتخصرين في الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى اذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها في أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى بن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضي الله عنه والله أعلم

﴿بعث الرجيع﴾

وهي سرية عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه وكان رضي الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن بن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت رضي الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعية اي الملاعبة بالرماح حتى تتقصف فاذا تقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضي الله عنه العقبة وبدرا وأحدا وكان بعثه في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة فيكون في أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه وسببه أن بني لحيان من هذيل بعد قتل سفيان ابن خالد بن نبيح الهذلي مشوا الى عضل والقارة وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة

فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه
فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك
يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام وقيل انه صلى الله عليه وسلم
اراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث
معهم ستة من أصحابه للامرين جميعا وهم عاصم بن ثابت ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخبيب
ابن عدي الأوسي البدري وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة
وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف
وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبي مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا
الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم في
رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتي رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا
القوم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم وقالوا ذلك لأنهم
يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا في مقابلتهم مالا لعلمهم أنه لا شئ أحب الى قريش
من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر
وأحد فأبوا أن يقبلوا منهم فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من
مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا
ورقوا وجبلوا ورغبوا في الحياة وفي رواية أنهم لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه
في الارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار لأنهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش
وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة أحد وقتل سفيان بن خالد الهذلي فجاءت امرأة من هذيل
ترعى غنما فرأت النوى فأنكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها وقالت قد
أتيتم من قبل العدو فجاؤا في طلبهم حين أخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل
فأحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا فنزل اليهم على
العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وقال عاصم بن ثابت رضي
الله عنه أيها القوم أما أنا فلا انزل في ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله
لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم
عاصم بنبله حتى فني وكان عنده سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم
حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم اني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره اي
عن أن يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما وأطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدي وزيد
ابن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا أول الغدر لا أصحبكم ان لي بهؤلاء يعني
القتلى اسوة فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم حتى اذا كانوا بمر
الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا

خبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان باسيرين من هذيل بمكة وقيل انهم باعوا خبيبا بأمة سوداء والذى اشتراه بنوا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لان خبيبا هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر وبنوا الحارث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى اهاب حليف بنى نوفل وقد أسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقتل زيدا بأبيه أمية وكان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا وأما خبيب فمكث أسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا فى أول الامر أساؤا اليه فى حبسه فقال لهم ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فاحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضى الله عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لى خبيب وكانوا جعلوه عندى ياموهب أطلب اليك ثلاثا أن تسقينى العذب وأن تجنبنى ماذبح على النصب وأن تعلمنى اذا أرادوا قتلى وقالت ماوية زوج موهب كان خبيب رضى الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له هل لك من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ماذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما اكترث بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحارث موسى ليستحد به اى يحلق عانته لئلا يظهر عند قتله فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها أتخشين أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله ما كنت لاغدر قالت زينب والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا اى عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماوية أيضا مثل ذلك وقالت وما أعلم فى الارض حبة عنب وما كان الارزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال اتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى بن عقبة صلاهما فى موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال لولا أن تروا أن مابى جزع من الموت لزدت وفى رواية لسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا أى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى وفى رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالارض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حى غير ذلك الرجل الذى لبد فى الارض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقد حكى ابن اسحاق عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنت مع أبى اى حين قتلوا خبيبا فجعل أبى يلقينى الى الارض خوفا من

دعوة

دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقانى ان دعوة خبيب أصابت منهم من سبق فى علمه تعالى أن يموت كافرا وأما من سبق فى علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بددا لانهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وبدر لان الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفى رواية ان خبيبا رضى الله عنه قال اللهم انى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأخبر أصحابه بذلك روى موسى بن عقبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم أنشأ خبيب رضى الله عنه يقول

ولست أبالى حين أقتل مسلما * على أى شق كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
لقد جمع الاحزاب فى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله أشكو غربتى بعد كربتى * وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى

قال الزرقانى فى شرح المواهب روى أن قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأمر باؤهم يبدر فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل أباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه الى الكعبة فقال الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله وقد ذكر ابن اسحاق زيادة فى الشعر المتقدم وكذا الواقدى وغيره وهذا لفظهم

لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لانى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتى ثم كربتى * وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع
ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذارى جحم نار ملفع
و والله ما أخشى اذا مت مسلما * على أى جنب كان فى الله مضجعى
فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا انى الى الله مرجعى

قال الحافظ ابن حجر وفى هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته فى دينه وفى رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحارث بن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان يقول ما أنا قتلت خبيبا لانى كنت صغيرا ولكن أبا ميسرة العبدرى أخذ الحربة وجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى و بالحربة فطعنه بها حتى قتله وكان خبيب هو الذى سن لكل

مسلم قتل صبرا الصلاة لانه فعل ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله
وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من عمل العبد وعن عروة بن الزبير
رضي الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب وضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أي طعنوه بها
طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يفديني
بشوكة في قدمه وقيل ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك فقال أبو
سفيان رضي الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم بعد أن
قتلوا خبيبا رضي الله عنه أبقوه على خشبته مصلوبا مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه فأرسل صلى
الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وفي رواية عمرو بن أمية الضمري فأتوه
فاذا هو رطب لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما فحمله الزبير على فرسه وسار فلحقهم سبعون من
الكفار فقذفه الزبير فابتلعته الارض والذي أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمري رضي
الله عنه فقد روى الامام أحمد رضي الله عنه عن عمرو بن أمية قال بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحدي عينا الى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدي لانزله من الخشبة فصعدت خشبته
ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفي فالتفت فلم أر خبيبا وكأنما ابتلعته الارض فلم
أر له أثرا حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسله صلى الله عليه وسلم أولا ثم أرسل الزبير والمقداد
فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه الزبير الى آخر ما تقدم وبعثت قريش في طلب عاصم
ابن ثابت رضي الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه به كرأسه لانه كان
قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ ابن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن أبي
معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحاق صبرا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا
من بدر وقيل الذي قتله هو علي رضي الله عنه ولعلهما اشتركا في ذلك فنسب الى كل منهما
وجاء في رواية أن عاصما لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي أم
مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين أصاب
ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه وهو ما انفلق من الجمجمة
وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعهم منه الدبر أي الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من
الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شيء منه وفي رواية للبخاري فلم يقدروا أن يقطعوا من
لحمه شيأ وفي رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن
يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسي فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به
وفي رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل ان الله
حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد
أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا بمصافحة ونحوها فأعطاه الله ذلك والمراد انه
قوى رجاؤه في الله فعاهده على ذلك أو المراد انه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركا من مسه أو المراد

سأل الله ذلك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته ففيه استجابة دعاء المسلم واكرامه حيا وميتا وانما استجاب الله له في حمايته لحمه من المشركين لقوله اللهم اني حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفي ما طلب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة ونحوه رضي الله عنهم لان المزية لا تقتضي الافضلية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سرية بئر معونة ﴾

وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه الى أهل بئر معونة ليدعوهم الى الاسلام أو مددا لهم و بئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين قريب منه وهو الى حرة بني سليم أقرب قال الزرقاني والظاهر انه لا تنافي لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان ويجاوره أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت هذه السرية في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطلب السلمي رضي الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به وكان مع رعل بطن من بني سليم ومع ذكوان بطن منهم أيضا وتعرف هذه السرية أيضا بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحق عن شيوخه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري واختلف في اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبي والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفي رواية انه أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو انك بعثت معي نفرا من أصحابك لرجوت ان يتبعوا أمرك فانهم ان اتبعوك فما أعز أمرك وفي رواية لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام اني أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار أي هم في ذمامي وعهدي وجواري فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون قال قتادة كانوا رضي الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه وكانوا يشترون الطعام لاهل الصفة ويأتون به الى حجرأزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخو أم سليم خال أنس بن مالك رضي الله عنه بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري وهو ابن أخي أبي براء ومات كافرا بالاجماع وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي رضي الله عنه فلما أتى

حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل لم ينظر فى كتابه بل استمر فى طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله وفى رواية الطبرى فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله ورسوله فخرج رجل برمح فضربه فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحاق وهذا الذى طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابى رضى الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامرأة من قومه هل لك فى رجل ان صح كان نعم الراعى فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول

أباعامر ترجو المودة بيننا * وهل عامر الا عدو مداهن

اذا ما رجعنا ثم لم يك وقعة * بأسيافنا فى عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بنى عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء أى لن ننقض عهده وذمامه لانه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصارى الخزرجى النجارى البدرى رضى الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا باصابة سهم والا عمرو بن أمية الضمرى فانه أسر وأطلق قال ابن اسحاق كان عمرو فى سرح القوم هو ورجل من الانصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم والخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو ماترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل وأما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أى الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضى الله عنه جاء خبرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام فى تلك الليلة فقال هذا سببه عمل أبى براء حيث أخذهم فى جواره قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر ابن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضى الله عنه لربيعة بن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبى براء

ألا من مبلغ عنى ربيعا * بما فد أحدث الحدثان بعدى

أبوك أبو الفعال أبو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد

بنى أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد

تحكم عامر بأبى براء * ليخفره وما خطأ كعمد

فل...

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيغسل عن أبى هذه الغدرة ان أضرب عامرا ضربة أو طعنة قال نعم فرجع فضرب عامرا ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنه ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه وكان أسيرا فى أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى انى لانظر الى السماء بينه و بين الارض ثم وضع وفى هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضى الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحاق عن عروة بن الزبير أن عامر بن الطفيل لما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذى لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضى الله عنه وروى ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذى قتله رجلا من بنى كلاب اسمه جبار بن سلمى وذكر انه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت فى نفسى ما قوله فزت فأتيت الضحاك بن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فأسلمت ودعانى الى ذلك ما رأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علوا قال البيهقى يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضى الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى أنى لانظر الى السماء بينه و بين الارض ولم يذكر فيها ثم وضع وروى ابن سعد مرفوعا أن الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين قال الجلال السيوطى فتوبت الطرق وتعددت بمواراته فى السماء وجبار بن سلمى صحابى رضى الله عنه ووقع فى بعض الروايات أن عامر بن الطفيل هو الذى قتل عامر بن فهيرة رضى الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافرا بالاجماع كما تقدم روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالة النبوة جرت عادة العرب قديما بأن الرسل لا تقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفى رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضى الله عنه و بلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم وفى رواية فكنا نقرأ بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضينا عنه ثم نسخ قال السهيلى هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بنى لحيان وان كانوا ليسوا معهم فى هذه الوقعة وانما هم فى قصة أصحاب الرجيع لان الخبر أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين فى ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين فى دعاء واحد ولهذا جمع البخارى القصتين فى ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة فى موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقانى

لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى رعل وذكوان
وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة
قال وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم
أخبره بنظير ذلك فى كثير من الاشياء لانه سبق فى علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول
ذلك بمجىء أبي براء ومن جاء فى طلب أصحاب الرجيع اه

﴿غزوة بنى النضير﴾

هى قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هارون أخى موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا
العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير فى السنة التى كانت فيها فذهب الزهرى وجماعة وجرى
عليه البخارى انها كانت بعد غزوة بدر وقبل أحد وذهب ابن اسحاق الى أنها كانت بعد
معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا وكانت فى ربيع من السنة الرابعة وسببها ما تقدم
قريبا أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمرى لما قتل أهل بئر معونة وكان عتقه
عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بنى عامر
ثم من بنى كلاب وفى رواية انهما من بنى سليم نزلا معه فى ظل كان هو فيه وكان معهما عقد
وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو وقال لهما عمرو من أنتما فذكرا
انهما من بنى عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر بثار بعض أصحابه الذين قتلوا
ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما
أى أعطى ديتهما أى للجوار والعهد الذى عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بنى
النضير ليستعين بهم فى دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بنى النضير وبنى عامر
عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما أتاهم عليه الصلاة
والسلام يستعينهم فى ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد
آن لك أن تزورنا وأن تأتينا اجلس نطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما
جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه
أحد من أصحابه الانحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا
من يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو
بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه الصخرة وفى رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها
عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وفى رواية
قالوا نمار أو اقلة أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام
مشكم لليهود لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه وفى رواية
قال لهم ياقوم أطيعونى فى هذه المرة وخالفونى الدهر والله لئن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به وان

كوا هذا انقض للعهد الذى بيننا و بينه قال ابن اسحاق وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه
السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا أنه يقضى حاجة خوفا أن يفطنوا له
ؤذوا أصحابه ولذا ترك أصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم ان أصحابه صلى الله عليه
وسلم استبطؤه فقاموا فى طلبه فقال لهم حيى بن أخطب اليهودى لقد عجل أبو القاسم كان يريد أن
نقضى حاجته ونقر به وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيي هو المتولى أمر ذلك وكان سيد بنى
النضير وهو والد صفية رضى الله عنها وفى رواية بينما بنو النضير على ارادة القاء الحجر اذ جاء
رجل من اليهود فقال ما تريدون فذكروا له الامر فقال أين محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار
فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط فى أيديهم أى ندموا وقالوا لقد أخبر بأمرنا
وفى رواية فقال لهم كنانة بن صوريا هل تدرون لم قام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما ندرى
ولا تدرى أنت فقال والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله انه لرسول الله
فأبوا أن يقبلوا قوله ولما انتهى أصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا قمت ولم نشعر فأخبرهم
بما أرادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت
فى الاعرابى الذى اخترط سيف النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة وأراد أن يقتله
فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى يا محمد من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من
يده فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابى من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فعفا عنه
فأسلم وجاء الى قومه ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل فى سبب نزولها
غير ذلك ولا مانع أن تكون نزلت فى الجميع قال ابن اسحاق ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم
أصحابه بالتهيؤ لحرب بنى النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية على بن أبى طالب رضى الله عنه
واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين فى عوالى
المدينة من ناحية قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من
عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة وآخر يسمى اللين وكان ذلك أحرق
الاهم لان ذلك خير أموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل
وحرق بعض نخيلهم ايضا فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما
بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم اصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع فى نفوسهم من هذا
الكلام شئ فخافوا أن يكون فعلهم ذلك فسادا و بعض المسلمين قالوا بل نقطع لنغيظهم بذلك
والذين وقع فى نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن
الهوى فاعتقدوا أن ذلك كان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة
أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين يعنى اليهود قال بعضهم واللينة أنواع
التمر ما عدا العجوة والبرنى وقيل اللينة كرام النخل وقيل كل الاشجار للينها وأنواع نخل المدينة

مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودى مائة و بضع وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بنى النضير
الذى حرق بالبويرة تصغير بورة وهى الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة
الغرب قال ابن اسحاق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبى بن سلول بعثوا الى
بنى النضير حين هموا بالخروج أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان
أخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب فى قلوبهم فلم ينصروهم وفى ذلك نزل
قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم
لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن
أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون
ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم و يكف عن
دمائهم وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم
حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضى الله
عنه أن اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم
عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون وأكتروا من
أناس من أشجع ابلا فأرسل اليهم عبد الله بن أبى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم
فان معى ألفين من قومى من العرب يدخلون حصونكم و يموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم
شئ وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى بن أخطب فيما قاله عبد الله بن أبى
فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك وكان قد نهى
حييا عن فعله ذلك أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له يا حيى منتك نفسك
والله يا حيى ان قول ابن أبى ليس بشئ وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا
فيجلس فى بيته و يتركك فأبى ولما أرسل حيى انا لا نخرج أظهر صلى الله عليه وسلم التكبير
وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود وسار اليهم عليه الصلاة والسلام فى أصحابه مشاة
على أرجلهم لقرب الموضع وقيل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء
بنى النضير فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة
واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله بن أبى ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال
سلام بن مشكم لحيى أين الذى زعمت قال ما أصنع ملحمة كتبت علينا وبنى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بنى
خطمة ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان عزوك اليهودى راميا فرمى فبلغ القبة فحولت الى
مسجد الفضيخ وتباعدت من النبل ثم فقد على رضى الله عنه فى ليلة قرب العشاء فقال الناس
يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس عزوك وكان
قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه على رضى الله عنه

فقتله وفر من كان معه وبعث صلى الله عليه وسلم خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة
فأدركوا اليهود الذين فروا من على رضى الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤسهم فى بعض الآبار
فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فقال لا أقبله اليوم ثم قال لهم اخرجوا منها
ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهى الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه
فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وأيدى المؤمنين
يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا وخزيا لهم وقيل
كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم حسدا وبغضا للمسلمين أن يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن
المدينة قال الله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا اى بالقتل والسبى ولهم فى
الآخرة عذاب النار أى مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل أو ان الله رأى مصلحة فى اجلائهم وان
حربهم قد يؤدى الى سفك دماء المسلمين وقد يرجع حلفاؤهم ويعينونهم وولى صلى الله عليه وسلم
اخراجهم محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وحملوا النساء والصبيان على الهوادج وعليهن
الديباج والحرير والخز الاخضر والاحمر والمعصفر وحلى الذهب والفضة وأظهروا تجلدا
عظيما قال ابن اسحاق خرجوا بالنساء والابناء والاموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات
يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ولم يسلم منهم الا يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب فأحرزا
أموالهما قال وحدثنى بعض آل يامين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت
من ابن عمك وما هم به فى شأنى يعنى عمرو بن جحاش الذى هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من
قيس عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا
أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة
ابن الربيع ودان لهم أهل خيبر فبقوا هناك حتى أهلكهم الله فى غزوة خيبر كما سيأتى ان شاء
الله تعالى وذهب بعضهم الى أذرعات وأريحا من أرض الشأم وروى موسى بن عقبة أنهم
قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر وهى الشأم وقيل الحشر الجلاء
فأول الحشر الجلاء والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى
الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم
حزنا شديدا لكونهم اخوانهم وقبض صلى الله عليه وسلم ما تركوه من الاموال والدروع
والسلاح فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وهى الخودة وثلثمائة وأربعين سيفا فكانت أموال
بنى النضير صفيا اى مختارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى خاصة به لان المسلمين لم يوجفوا
عليهم بخيل ولا ركاب ولم يقع قتال بينهم فكانت حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم فكان ينفق
منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبنى عبد المطلب وما فضل جعله فى
السلاح والكراع اى الخيل هذا ما ذهب اليه الامام أبو حنيفة رضى الله عنه وجاء فى بعض
الروايات أنه خمسها واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام

بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم اى مشقتهم عن الانصار أى بحسب الواقع ونفس الأمر وان
كان الأنصار يرون ذلك من أعظم النعم قال تعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
وكانوا قد قاسموهم فى الاموال والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى الله عليه وسلم فذهب كل
أنصارى بالمهاجرى الذى آخى بينه و بينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا
حتى آل أمرهم الى القرعة فأى أنصارى تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجرى فبلغت
مواساتهم الغاية القصوى رضى الله عنهم حتى ورد فى الصحيح أن سعد بن الربيع الانصارى
رضى الله عنه قال لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه هلم أقسم مالى بينى و بينك نصفين
ولى امرأتان انظر أعجبهما اليك أطلقها فاذا انقضت عدتها تتزوجها فقال عبد الرحمن بارك
الله لك فى أهلك ومالك ثم قال دلونى على السوق وصار يبيع و يشترى حتى كان أكثر الصحابة
مالا رضى الله عنه وعنهم وروى الحاكم عن أم العلاء رضى الله عنها قالت طار لنا عثمان بن
مظعون فى القرعة فكان فى منزلى حتى توفى رضى الله عنه قالت فكان المهاجرون فى دور الانصار
وأموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال
ادع لى قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الانصار كلها فدعا له الأوس
والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم
اياهم فى منازلهم وأموالهم وايثارهم اياهم على أنفسهم ثم قال ان أحببتم قسمت بينكم و بين
المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى
منازلكم وأموالكم وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضى الله
عنه يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين و يكونون فى دورنا كما كانوا وقالت الانصار كلهم رضينا
وسلمنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وفى رواية
وأبناء ابناء الانصار رضى الله عنهم وقسم ما أفاء الله وأعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من
الانصار شيأ غير أنه اعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن
أبى الحقيق اليهودى وكان سيفا له ذكر عندهم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للانصار
ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم و بينهم جميعا
وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا
ماشئت فنزلت و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه
جزاكم الله خيرا يامعشر الانصار فوالله مامثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل فى أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه
سنة وما فضل جعله فى الكراع والسلاح قال ابن اسحاق ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر

بأسرها قال السهيلي اتفاقا وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال الداودي كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن أنه يوم القيامة أو لاجماله فكره النسبة الى غير معلوم وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر في بني النضير وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقاء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم * فأبيد الامار والنهاء
أسلوهم لأول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

﴿غزوة ذات الرقاع﴾

وتسمى غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني انمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحاق انها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخاري الى أنها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بأمور منها ان هذه الغزوة حضرها أبو موسى الاشعري رضي الله عنه وهو انما جاء بعد فتح خيبر وقال الغزالي أنها آخر الغزوات وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالي بأن مراده آخر الغزوات التي صلى فيها صلاة الخوف ونازع بعضهم في ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل ان الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها لأنهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها معه فأشبه ذلك اصلاح خلل الثوب برقعه قال السهيلي وأصح الأقوال كلها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر أي من الاشعر بين ستة بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري اي من الحفاء فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ما قاله ابن اسحاق قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فمحارب وسعد ابنا عم وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أنهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فأخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة

أباذر الغفارى رضى الله عنه وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه وسار الى أن وصل الى موضع
يسمى وادى الشقرة وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحدا فسار حتى
نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضى غطفان فلم يجد فى مجالسهم الا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر
القوم فخافوا وتفرقوا فى رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا المحاربة جيش النبى صلى الله
عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض وأخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبى
صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف فى صلاة العصر ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى
الله فى قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم (وفى هذه الغزوة)
نزل صلى الله عليه وسلم ليلا فى شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه
وسلم بعد نزوله من يكلأنا فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يا رسول
الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضى الله عنهما أنا أكفيك أول الليل
وتكفينى أنت آخره فنام عمار وقام عباد رضى الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتى
أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثنى
حتى يصيب محمدا أو يوثق فى أصحاب محمد دما فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال
هذه ربيئة القوم ففوّق سهما فوضعه فى عباد فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه أيضا فرماه بآخر فانتزعه
فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فجلس عمار فلما رآى المشرك عمارا جلس علم أنه قد نذر به
فهرب فقال عمار لعباد أى أخى ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم رماك به فقال كنت أقرأ فى
سورة يعنى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى رواية جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم شخصين من أصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى
مقابلة العدو فرمى أحدهما اى وهو عباد بن بشر بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع
صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصلى ولم يقطع صلاته وقد قال
عباد معتذرا عن ترك ايقاظ صاحبه لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما انصرفت ولو اتى على نفسى (وفى هذه الغزوة ايضا) وقعت قصة الرجل
الذى اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد تقدمت قريبا استطرادا
عند ذكر عزم بنى النضير على الغدر به صلى الله عليه وسلم واسم الرجل غورث وقيل دعثور
وقيل انهما قصتان لرجلين فى غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم ايضا ان ذلك الرجل أسلم وأسلم
قومه باسلامه ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث
جعال بن سراقة رضى الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين

غزوة بدر الاخيرة

وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها فهى صغرى بالنسبة للتى وقع فيها القتال
وهى الكبرى وتسمى هذه ايضا بدر الموعد للمواعدة عليها مع أبى سفيان يوم أحد وتسمى بدر
الثالثة وكانت فى شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن اسحاق قال ابن اسحاق

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى
وجمادى الآخرة ورجبا ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان وقيل كانت فى ذى القعدة
وميعاد أبى سفيان هو ما سبق ان أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام
القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة
عبد الله بن رواحة الخزرجى رضى الله عنه وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه وخرج
أبو سفيان فى قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى نزل موضعا قريبا من مر الظهران
وقيل نزل عسفان ثم بدا له الرجوع وكان قد دبر ذلك فى نفسه وهو بمكة لما ألقى الله فى قلبه من
الرعب روى أن نعيم بن مسعود الأشجعى قدم مكة فأخبر قريشا بتهيؤ المسلمين لحربهم فكره
أبو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين بعيرا على أن يذهب الى المسلمين ويخذلهم وضمنها له
سهيل بن عمرو وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة وأرجف المسلمين بكثرة العدو حتى قذف فى
قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية فى الخروج حتى خشى عليه الصلاة والسلام أن لا يخرج معه
أحد فجاءه العمران اى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقالا ان الله مظهر دينه ومعز نبيه
وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لوعدهم فوالله ان فى ذلك
لخيرا ان شاء الله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال والذى نفسى بيده لأخرجن وان لم يخرج
معى أحد فأذهب الله عن المسلمين ما كان الشيطان أرعبهم به وقال أبو سفيان لقريش قد بعثنا
نعيما يخذل أصحاب محمد عن الخروج وهو جاهد فى تخذيلهم لكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين
ثم نرجع فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج
أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فلما أراد الرجوع قال
يا معشر قريش لا يصلحكم اى لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر الا عام ذو خصب ترعون
فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس
فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبى صلى الله
عليه وسلم فخرج على الموعد هو وأصحابه وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب
وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد
اجترؤا علينا ورأونا قد أخلفناهم وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر
أبا سفيان لميعاده وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله فى ذلك الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال
لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم

وخافون ان كنتم مؤمنين وقيل ان قوله الذين استجابوا الى أجر عظيم انما نزلت فى شأن حمراء الأسد وهو خروجهم فى أثر قريش بعد وقعة أحد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت فى غزوة بدر الصغرى ولا مانع أن يكون صدر الآية مشيرا الى الأمرين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة دومة الجندل﴾

وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مذكور العذرى رضى الله عنه وكان هو الدليل مع النبى صلى الله عليه وسلم أقم لى حتى أطلع لك على سوائم القوم فانها ترعى هنا فخرج العذرى فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فأخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فأصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا فأقام بها أياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين وأصابوا رجلا من القوم فجاؤا به للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع النبى صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة فى عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة المريسيع﴾

وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحارث بن أبى ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها وقد أسلم لما جاء فى فدائها كما سيأتى سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيأوا للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنه ليعلم حالهم الذى هم عليه واستأذن النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول فأذن له فأتاهم ولقى الحارث بن أبى ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له من الرجل قال منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل فأسير فى قومى ومن أطاعنى فنكون يدا واحدة حتى نستأصله قال الحارث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال لهم بريدة أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومى فسروا بذلك ورجع هو الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا فى جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزوة قط مثل خروجهم فى هذه الغزوة وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون من

الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أباذر
الغفارى وقيل نميلة بن عبد الله الليثى رضى الله عنهم وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضى الله
عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم فى طريقه عينا أى جاسوسا للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر
من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فضرب عنقه و بلغ
الحارث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه فسىء بذلك الحرث هو ومن معه
وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا و بلغ عليه
الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصف أصحابه ودفع راية
المهاجرين لابى بكر رضى الله عنه وقيل لعمار بن ياسر رضى الله عنه وراية الانصار لسعد بن
عبادة رضى الله عنه وأمر عمر فنادى فى الناس قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم
فأبى المشركون أن يقولوها فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة
رجل واحد فما أفلت منهم أحد فقتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا
الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء وكانت الابل ألفى بعير والشاء خمسة آلاف
شاة وكان السبى مائتى بيت ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو هشام بن صبابة أصابه رجل
من رهط عبادة بن الصامت رضى الله عنه خطأ وكان من جملة السبى جويرية بنت الحارث
فاختص بها النبى صلى الله عليه وسلم وأعتقها وتزوج بها وخرج الخبر الى الناس أن النبى صلى
الله عليه وسلم تزوج بها فقال الناس أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم
قالت عائشة رضى الله عنها فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها رضى الله عنها وقيل
انها طلبت قومها من النبى صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا لا يمنع كون
المسلمين حين سمعوا انه تزوجها أطلقوا الاسرى فكان ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه صلى
الله عليه وسلم حتى لا يسأل أحدا منهم فى ذلك شىء أو مجانا ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء أن
جويرية رضى الله عنها قالت رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر
يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى فكرهت ان أخبر بها أحدا من الناس حتى قدم صلى الله عليه
وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقنى وتزوجنى ماشعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى
بفك الاسرى فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض الاسرى انما أطلقوا بفداء ولعل هذا قبل
التزوج بها رضى الله عنها وجاء عن جويرية رضى الله عنها أنها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن على المريسيع سمعت أبى يقول أتانا مالا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس
والخيل والسلاح مالا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
و رجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت انه رعب من الله يلقيه فى قلوب
المشركين ثم ان أباها الحارث قدم على النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه يريد فداء
ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التى يريد أن يفدى ابنته بها فرغب فى بعيرين

منها كانا من أفضلها فأعقمها في شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان اغتيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحارث أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك أحد الا الله وقيل انه أسلم قبل ذلك وهذا اظهار لاسلامه ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبرابنته باسلامه فقالت له أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحي قومك يعني بالرق فقالت اخترت الله ورسوله فرضي أبوها بذلك (وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم) ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره قال ابن عبد البر هي غزوة بني المصطلق قالت حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له ألا ترى الى ماصنعت عائشة رضي الله عنها أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة رضي الله عنها فعاتبني أبو بكر رضي الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت فبعثنا البعير فأصبنا العقد تحته وفي رواية قال أسيد لها جزاك الله خيرا ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال لها أبو بكر رضي الله عنه والله يا بنتي انك كما علمت مباركة (وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك) فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك في غزوة واحدة أو غزوتين فقيل في غزوة واحدة وهي غزوة بني المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضي الله عنه ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر أي بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بأن هذه القصة كانت بعد قصة الافك وبعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بأن ضياع العقد كان في غزوتين قالوا مرة في غزوة ذات الرقاع ومرة في غزوة بني المصطلق واستدل كل قائل بأدلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك في غزوة بني المصطلق قطعا والاختلاف انما هو في قصة التيمم هل هي في تلك الغزوة وبه جزم ابن عبد البر وجماعة أو في غزوة ذات الرقاع أو غيرها وبه جزم آخرون والله أعلم * وحاصل قصة الافك مارواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل

في

فى هودجى وأنزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا
من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش
فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت
فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى
فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم
يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه
وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت
منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون
الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من
وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب
فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت
منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقود بى
الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى كبر الافك
عبد الله بن أبى ابن سلول فانه كان أول من أشاعه فى العسكر لانه كان ينزل مع جماعة من
المنافقين متبعدين من الناس فمررنا عليه فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها
ورب الكعبة وفى لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفى رواية قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار
يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم بها لشدة
عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير أخبرت أن حديث الافك كان
يشاع ويتحدث به عند ابن أبى فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة أيضا لم يسم من أهل
الافك الا حسان بن ثابت رضى الله عنه ومسطح ابن أثاثة رضى الله عنه وحمنة بنت جحش رضى
الله عنها فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك
عصبة منكم وكانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضى الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون
فى قول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك ويريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيسلم على ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت
حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا أى موضع قضاء حاجتنا وكنا لا نخرج
الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الاول
فى البرية أى فى الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهى سلمى ابنة رهم بن المطلب بن

عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة
ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت
أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت
اى هنتاه أي يا هذه أو لم تسمعي ما قال قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها ما قال فأخبرتني بقول
أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأريد أن استيقن
الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتهما فقلت لأمي ماذا يتحدث
الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر
الا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى
أصبحت لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي اى طال لبث نزوله
يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأشار على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة هم أهلك
ولا نعلم الا خيرا وأما علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها
كثير وسل الجارية اى التي كانت تخدم عائشة تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت له بريرة رضي الله عنها والذي بعثك
بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي
الداجن أي الشاة فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من
عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه
في أهلي والله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان بن المعطل رضي الله
عنه ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال أنا
يا رسول الله أعذرك منه فان كان من الأوس قبيلتنا ضربت عنقه وان كان من اخواننا من
الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك قالت عائشة رضي الله عنها فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه
وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من
رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن
عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه أي ولو كان من الخزرج اذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا
أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخفضهم حتى سكنوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فبكيت

يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما
لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى اني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي
وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على
ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل
ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان
كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي
أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فقال أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت لأمي أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت أمي والله ما أدري
ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا
اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني
بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني فوالله لا أجد لي
ولكم مثلا الا أبا يوسف عليه السلام حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت
فاضطجعت على فراشي وأنا أعلم أني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ولكن والله ما ظننت ان الله
تعالى منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت
أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها وعند ذلك قال أبو بكر
رضي الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل لنا هذا في
الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا قالت عائشة
رضي الله عنها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج أحد من أهل
البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي من البرحاء بسبب شدة ثقل
الوحي حتى أنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات قالت فسري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة أما الله فقد برأك أي بما
أوحاه اليه من القرآن قالت فقالت لي أمي قومي اليه صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم
اليه فاني لا أحمد الا الله عز وجل الذي برأني قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك
عصبة منكم العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من
أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم قال السهيلي ان من نسب عائشة رضي الله عنها
الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر
وفي الخصائص للسيوطي من قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قال ابن

عباس رضى الله عنهما وغيره و يقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة رضى الله عنها وحضر بعض الشيعة فى مجلس الحسن بن يزيد الرفاعى وكان من عظماء أهل طبرستان فذكر الشيعى عائشة رضى الله عنها ونسب اليها شيأ من القبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعنى الشيعى الذى تكلم فى عائشة رضى الله عنها فضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينفق على مسطح ابن أثاثة رضى الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة رضى الله عنها ما قال فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضى الله عنه بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وكفر عن يمينه وروى الطبرانى والنسائى انه أضعف له النفقة ﴿لطيفة﴾ وهى أن ابن المقرى منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده يقول

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها عن أمرى فقال لها ماذا علمت او رأيت فقالت يارسول الله أحمى سمعى و بصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة رضى الله عنها وهى التى كانت تسامينى اى تضاهينى وتفاخرنى بجمالها من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضى الله عنه ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى أنه كان حصورا أى عنينا وأن معه مثل

الهدية ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضي الله عنه ويكفي شهادة الله له ولعائشة رضي الله عنها بالبراءة
بقوله في ختم تلك الآيات أولئك أي صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق
كريم والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿وفي هذه الغزوة﴾ قال عبد الله بن أبي ابن سلول
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وسبب ذلك أن رجلا من المهاجرين اسمه
جهجاه بن مسعود كان أجير العمر رضي الله عنه ويقود له فرسه انطلق ليملأ قربا للنبي صلى الله
عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على الماء فأمر الناس
بالامساك ليملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فنازعه رجل من
الانصار وكان أجيرا لعبد الله بن أبي فتنازعا فضرب المهاجري الانصاري فقال الانصاري
باللانصار وقال المهاجري بالمهاجرين فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا أن
يقتتلوا فاسمع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ماهذا فأخبروه فقال دعوها فانها منتنة
يعني دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبي أو قد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل وقال لجماعة من أصحابه آويتموهم وقاسمتموهم أموالكم ويصنعون بكم
هكذا وفي رواية أنه قال والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أي غلبونا وكاثرونا
في بلادنا وأنكرونا ملتنا والله ما أعدنا أي أظننا يعني معاشر الانصار وقريش الا كما قال
الاول اي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني
سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها
الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايضا لأصحابه لو أمسكتم
عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا
للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم
حتى ينفض من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا اي الناس عنه فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره وشاع كلام ابن أبي بين الناس فقال له بعض الانصار انطلق الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى
النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف أنه ما قال ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره
ظاهرا تألفا له كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين ثم أنزل الله تكذيبا لابن أبي
وتصديقا لزيد بن أرقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآيات فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لزيد بن أرقم رضي الله عنه ياذا الأذن الواعية ان الله صدق مقالتك وتلا صلى
الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله دعني أضرب عنق ابن
أبي فانه رأس المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه

وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون وجاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبي ما كان جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فيء شجرة اي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره اي يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة فقلت يارسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه وفي رواية قال عمر يارسول الله ان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة لم يكن يرحل فيها اي لشدة الحر ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد اطفاء الشر وخشي من اتساع الأمر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه اي قال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال يانبي الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها اي لأنه كان لا يرحل الا اذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مابلغك ماقال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أنت والله تخرجه ان شئت وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب براحلته بالسوط في مراقها أي مارق جلده من أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبي ابن يسمى الحباب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم موت أبيه وكان مؤمنا صادقا رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه فقال يارسول الله انه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني أباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فمرني أنا أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا وفي رواية أخرى فوالله لأحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لأخشى يارسول الله أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار وعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى

العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبى حتى أمسك بناقة أبيه وقال والله لا تدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الأعز ومن الأذل وفى رواية حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وأنت الأذل أو لأضرب عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله خيرا وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ثمانية عشر يوما وقدم المدينة فى رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

وليكن هذا آخر النصف الاول من السيرة النبوية
المحمدية تأليف الاستاذ الفاضل بقية السادة
الافاضل مولانا السيد أحمد الزينى
المشهور بدحلان عامله الله
بالاحسان مفتى مكة
المشرفة زادها
الله تشريفا
واجلالا
آمين
م

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله غزوة الخندق